الموسوعة المعارفيّة (١)

تاريخ الفلسفة والتصوّف

العلّامة الحاج الشيخ عليّ النمازيّ الشاهروديّ

ترجمة: جواد السّيد سجّاد الرّضويّ الكربلائيّ

تارِيخُ الفَلْسَفَةِ والتَّصَوُّفِ

العلّامة الحاج الشّيخ علي النمازي الشاهرودي ﷺ

ترجمة

السيّد جواد سجاد الرضوي الكربلائي

تحقيق

الشّيخ مرتضى الأعدادي الخراساني

دار المحجّة البيضاء

مواصفات الكتاب:

اسم الكتاب: تاريخ الفلسفة والتصوف.

المؤلف: العلّامة آية الله الحاج الشَّيخ علي النَّمازي الشَّاهرودي

المترجم: السَّيِّد جواد سجاد الرَّضوي الكربلائي

المحقق: الشّيخ مرتضى الأعدادي الخراساني

التصحيح: السيد حسين المدرسي والسيد فاضل الرضوي

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

الطَّبعة: العربيّة الأولىٰ (١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م)

المطبعة: شركة الطباعة والنشر التابعة للآستانة الرضويّة المقدّسة

النَّاشر: منشورات الولاية - ٠٩١٥١٥٧٦٠٠٣ (٠٠٩٨)

الشابك: ٠ - ٥٠ - ٦١٧٢ - ٩٦٤ - ٩٧٨

دار المحجة البيضاء

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾

يُعدّ العلم والمعرفة أفضل وأكبر النِّعم الإلٰهيّة المهداة لعباد الله الصالحين لأنّ بالعلم يُعينهم الله علىٰ عبوديّته وبه يخضعون له كما يُعدّ العلم من أكبر النِّعم التي بها يفتخرون في حياتهم الدّنيا.

والعلماء الرَّبانيّون والعرفاء الإلهيّون هم من يستضيئون بهدى الأنبياء والأئمّة عليهم السلام ولا يشعرون بالتَّعب أو الملل أبداً في سلوك هذا الطريق، طريق العلم والعمل ويتجنّبون الطُرَق الأُخرى التي لا تنتهي بهم إلىٰ نيل معارف الأئمّة عليهم السلام.

تهدف هذه المؤسسة التي تأسّست بدافع إحياء آثار هذه الثلّة المخلصة التي ذأبت تحمل علىٰ عاتقها فى طول مسيرة التاريخ الشّيعي مهمّة الدّفاع عن المعارف الوحيانيّة والعلوم الإلهية الأصيلة إلىٰ نشر هذا الفكر عبر الوسائل العصرية المتاحة ومن الله التوفيق.

عالم آل محمد

مؤسسة عالم آل محمد المعارفية

email:14alem@gmail.com

الفهرس

الشَّريعة والطَّريقة

حقيقة وحدة الوجود

طريقة الشرايع في الهداية

معرفة الله الفطريّة

الرَّد علىٰ الفلاسفة والصوفيّة

ضرورة الرجوع إلىٰ الكتاب والسُّنَّة

مقدّمة المترجم

هذه ترجمة لكتاب ***تاريخ فلسفة وتصوف*** لمؤلّفه المغفور له العلّامة آية الله الحاج الشّيخ علي النمازي الشاهرودي، وعندما شرعتُ في ترجمة هذا الكتاب القيم، شعرتُ بمسؤلية حقيقية كبيرة. فالكتاب من الطراز الأوّل؛ سواءً من حيث شخصية مؤلّفه ومكانته العلميّة والفقهية في الحوزة العلمية في مشهد المقدّسة، أو من حيث الموضوع الذي يتناوله.

فقد وجدتُ لزاماً عليَّ أن أبذل قصارى جهدي في الترجمة ليكون الكتاب ـ في نسخته العربية ـ عِدْلاً لنسخته الفارسية؛ لغةً وصياغةً ومعنىً وأدباً وفناً ودقةً، لأنّ ذلك لبّ الأمانة التي لا يستبعد أن تكون أمانةً شرعيةً أيضا.

ويسرني أن أضع أمام القارئ الكريم الملاحظات التالية:

١ـ لم ألجأ إلىٰ الترجمة الحرفية، لأنها تُفقد الكثيرَ من معاني الجمل وتقطعها وتُبعثرها وتُشتت فكر القارئ وذهنه. أمّا الأشعار فقد ترجمتها نصاً بدون أي تصرّف، لأنّها تتضمن أفكار ومعتقدات الصوفيين، وقد أوردتها علىٰ حقيقة الشعر للدلالة علىٰ أنّها أشعار في أصلها الفارسي، ولذا جاءت بدون وزن ولا قافية؛ وقد أشرت إلىٰ هذه الملاحظة في الهوامش.

٢ـ ذكرت شروح بعض الكلمات في الهوامش مع بيان أصولها واستعمالاتها.

٣ـ علامات الترقيم في النسخة الفارسية للكتاب (النقاط، والفواصل،

والقواطع، والنقاط الشارحة، وعلامات السؤال والتقي ونحوها) دقيقة جداً وفي أماكنها الصحيحة، ولذا وضعتها كما هي وفي أماكنها ذاتها.

٤ـ بعض المفردات الدارجة عند الايرانيين، مثل: «السماور»، و «القند» و «المشهدي» ونحوها، أوردتها كما هي، ولكنني أوضحت المراد منها في الهوامش.

٥ـ في موارد قليلة جداً خرجت من النص الفارسي، واستخدمت عبارات متداولة في الكتابات العربية وقريبة إلىٰ أفهام وأذواق الناطقين بها؛ ومن امثلتها عبارة: «شريعت‌هاى الهى» ومعناها الشرائع الإلهية، فترجمتها إلىٰ «الشرائع السماوية».

وأرجو حين الانتهاء من ترجمة هذا الكتاب القيم بتوفيق من الله ومنّه أن اكون قد وفقت لأداء جزء يسير من هذه المسؤولية الكبيرة، فأضيف بذلك كتاباً جديداً إلىٰ المكتبة الإسلامية العامرة، كما أرجو أن يحظى بقبول قرّاء العرب مثلما حظي بقبول قرّاء الايرانيين.

وأخيراً، يبقى هذا الجهد جهداً بشرياً لا يخلو من الخطأ والنقص والزلل، والمرجو من القرّاء الكرام أن ينبهوا المعنيين بها ليتم تداركها في الطبعات القادمة، بإذن الله تعالىٰ.

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّآتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾.

نسأل الله أن يثبتنا علىٰ ولاية محمّد وآل محمّد، وأن يرزقنا في الدّنيا زيارتهم، وفي الآخرة شفاعتهم، وفي الجنة جوارهم ببركتهم وببركة الصَّلاة علىٰ محمّد وآل محمّد.

ذكرى ميلاد الإمام علي بن موسى الرضا عليه‌السلام ـ ذو القعدة ١٤٣٢

السيّد جواد سجاد الرضوي الكربلائي

مشهد المقدسة

مُقدَّمة المحقّق

تمهيد

لقد بعث الله سبحانه وتعالىٰ حبيبه وصفيّه النبي الأكرمﷺ بالهداية الكبرى وأعظم العلوم ليوصل الناس إلىٰ أعلىٰ مراتب العبوديّة، وحباه درجة التعليم لكتابه الذي وصفه الله بـ ﴿أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ لما يشتمل علىٰ المعارف السامية، وأورثه علم الكتاب كلّه كي يكون الكتاب معَ النبي وأوصياءه الطريق الوحيد إلىٰ سعادة الخلق ويكون المنهل العذب لكافة البشر علىٰ مرّ العصور ومناراً لجميع الحضارات إلىٰ يوم القيامة.

إلّا أن يد الجور والطغيان عمدت إلىٰ حفر خندق بين كتاب الله وأهل البيتعليهم السلام من جهة وبين الأمة من جهة أُخرىٰ، لئلا يهتدى الناس إلىٰ الحقيقة ويبقون في ضلال دامس وجهل مطبق لا يميّزون بين الحقّ والباطل.

ومن جملة الخطوات التي اتخذها الخلفاء الغاصبَون في هذا الصَّدد أنّهم:

أوّلاً: لمّا تقمّصوا الخلافة ظلماً وزوراً من دون إحاطة بمعارف الكتاب العزيز أخذوا يشغلون الناس بفصاحة القرآن وبلاغته وقراءاته وألفاظه وحركاته، وألهوهم بذلك عن علوم القرآن ومعارفه الجليلة ومطالبه وحقائقه الفائقة، وبالتالي صرفوهم عن الرُّكون إلىٰ معلِّمي القرآن ومفسّريه وموضّحيه.

ثانياً: لقد جعل خلفاء الجور منزلة الرَّسول والأئمّة بمنزلة المجتهد الذي يطلب العلم بالقياس والإستحسان، وحينئذ سوّغوا للناس التشبّث بالمجادلات

الكلاميّة والفلسفية، وسدّوا باب العلم عن البشر.

ثالثاً: ومن جملة ما فعلوه في طريق صرف الناس عن المعلّم الحقيقي للكتاب أنّهم بذلوا مبالغ هائلة ونحلوا أموال طائلة علىٰ ترجمة الكتب اليونانية والإغريقية إلىٰ العربية وبثّها في الأمة كي يروّجوا تلك الأباطيل بين المسلمين فيقع الإختلاف فيما بينهم بواسطتها وبذلك يكتفي الناس بالجدال والكلام والظنون عن العلم الحقيقي الذي معدنه آل محمّد عليه وعليهم السلام.

وهذا من أكبر الأسباب في نشوء مختلف المذاهب والفرق الفكرية بين المسلمين كالمعتزلة والأشاعرة والحشوية والمرجئة وغيرهم، فإنهم لما تركوا مفسّر القرآن ذهب كلّ واحد منهم إلىٰ تحميل القرآن علىٰ آراءه الفاسدة وتفسيره حسب مذهبه ولصالحه، فإنّ كلّ واحد استدل بالقرآن بعيداً عن بيانات أهل القرآن الذين نزل القرآن في بيوتهم وهم محمّد وأهل بيته صلوات الله عليهم.

فهذا القرآن الذي جاء لرفع الإختلاف بين الناس وسوقهم إلىٰ التوحيد ونبذ الأنداد وإثارة العقول والمعرفة والهدى، صار سبباً في الجدال والنزال والإبتعاد عن الهداية الرّبانية.

هذا كلّه في حين أن مدرسة أهل البيت ـ خلافاً لجميع المدارس البشريّة ـ، مؤسَّسة علىٰ التذكير بالمعرفة الفطريّة والإيقاض إلىٰ تلك الحقائق التي يلمسها كل إنسان بأدنى إرشاد، ففتحوا باب المعرفة المودعة في القلوب، وأيضا سدّوا باب التّوهم في الله تعالىٰ والتشبيه بالمخلوقات، فعندما يتوجه العبد إلىٰ استحالة الإحاطة بالله تبارك وتعالىٰ فلا يجوز له بحكم العقل أن يتصور ذاته بأي نحو من الأنحاء، فيرى مباينته له تعالىٰ بحسب المعرفة الفطريّة.

ثمّ انّ الكتاب الذي بين يديك ***تاريخ الفلسفة والتصوف*** أو ***مناظرة الدكتور مع الدرويش*** يُعدّ من الآثار الثمينة للمرحوم المحدّث والفقيه آية الله الشّيخ علي النمازي الشاهرودي‌ﷺ وقد أثبت فيه بطلان الطُرُق البشريّة كالفلسفة والتصوف

استناداً إلىٰ الرّوايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام. وأنّه بتسلّطه الكامل علىٰ معارف أهل البيت عليهم السلام والإستدلالات العقلية، أبطل التأويلات التي تمسّك بها أبناء الطائفتين لإثبات أفكارهم ومشاربهم.

ومن الجدير بالذّكر ـ قبل بيان محتويات الكتاب بنحو موجز ـ أن نحيط القارئ الكريم بترجمة المؤلف وخصائصه الشخصيّة وأفكاره المعرفيّة.

المؤلف في سطور

ولد العلّامة آية الله الشّيخ علي النمازي الشاهرودي في سنة ١٣٢٣ هـق وترعرع في عائلة وجيهة وملتزمة نشأ فيها علماء ورجال دين. فوالده المرحوم الشّيخ محمّد بن إسماعيل النمازي الشاهرودي هو من أعلام محافظة «شاهرود» الإيرانية، وقد نال إجازة الإجتهاد من مرجع الطائفة السيد أبي الحسن الإصفهاني قدس سره وكذلك من المرحوم آية الله السيد مرتضى الحسيني اليزدي الفيروزآبادي رحمه الله الذي خلف مصنفات قيّمة منها **سبعةٌ من السَّلف** و....

لقد كان العلّامة المترجم شخصاً موهوباً فكان صاحب استعداد وذكاء وهمّة فائقة، منذ طفولته ونعومة أظفاره اشتغل في الدراسة لدىٰ والده وآخرين في مدينة شاهرود حتّىٰ بلغ السطوح وهو لا يزال شاباً يافعاً، وفي هذه الفترة حفظ القرآن كلّه.

بعد إتمام المقدمات والسطوح العالية في شاهرود انتقل إلىٰ الحوزة الدينية في مدينة مشهد المقدّسة، وبدأ بالإشتغال عند كبار علماء خراسان.

وإن أهم مَن تبلورت لديه أفكاره وكسب من محضره العلوم هو آية الله الميرزا مهدي الإصفهاني قدس سره وذلك في كلّ من الفقه والأصول والمعارف الإلهية فاستفاد منه بنحو تام وكامل طيلة خمسة عشر سنة إلىٰ حين وافاه الأجل ومع

الإطلاع الكامل والاحاطة التامّة علىٰ مبانيه وأسسه الفكرية قام مضطلعاً بترويج هذه المدرسة الشامخة.

وبعد رحيل المرحوم الميرزا الإصفهانى‌ﷺ شدّ رحله إلىٰ مدينة النجف الأشرف ليكسب العلم أيضا من علماءها بجوار مدينة أميرالمؤمنين (صلوات الله عليه).

وبعد برهة من الزمن رجع الشّيخ إلىٰ مدينة مشهد المقدسة ليبدأ مرحلة جديدة في التدريس والتبليغ لمعارف أهل البيت‌عليهم‌السلام، وقد كان مكرماً وجيهاً لدىٰ أهل الفضل والعلم فصرف همّته في تربية طلاب علوم القرآن والعترة ونشر الحقائق الأصيلة ونبذ الزيف والأفكار المستوردة الباطلة...

لقد كان العلّامة الشّيخ النمازي صاحب حافظة ودقّة قلّ نظيرهما مما ساعده علىٰ الإحاطة علىٰ علوم المعقول والمنقول، فلقد كان عالماً بالتاريخ، الطب، الهندسة، العربية، الفرنسية والعلوم الغريبة، سوى أنّه صبّ جلّ اهتمامه في مدارسة القرآن وأحاديث أهل البيت‌عليهم‌السلام والنظر فيهما، إلىٰ درجة أنّه طالع كلّ موسوعة بحار الأنوار خمسة مرات من بدءها إلىٰ ختمها، وكان ثمرة تلك المطالعات موسوعة: ***مستدرك سفينة البحار*** في ١٠ مجلدات، و ***مستدركات علم رجال الحديث*** في ٨ مجلدات.

وكذلك طالع كلّ من: الكتب الأربعة للمشايخ الثلاثة، وموسوعة الغدير للعلّامة الأميني، وإحقاق الحقّ وسائر الكتب الروائية عدّة مرات، وذلك بتعمق ودقّة وألّف علىٰ إثرها كتباً قيّمة ومصنّفات مهمّة.

فلقد ترك هذا العالم الفذ العديد من الكتب ببركة عمله الدائب المستمر في علوم العترة الطاهرة‌عليهم‌السلام.

توفي الشّيخ في ليلة الإثنين، في الثاني من ذي الحجّة سنة ١٤٠٥ هق (٢٨ مرداد ١٣٦٤ هش) في مدينة مشهد المقدسة، ووُري الثرى عند ثامن الأئمّة الإمام علي بن موسى الرضا عليه آلاف التحية والثناء.

منهج مباحث الكتاب

ألّف المؤلف﵀ هذا الكتاب علىٰ نحو السؤال والجواب وذلك ليسهل علىٰ طالب الحقيقة أن يميّز بين الحقّ والباطل. وقد تمّ ترتيب الكتاب وتبويبه علىٰ ستة فصول:

الفصل الأوّل: الشّريعة والطّريقة. في هذا الفصل أثبت المؤلف﵀ بطلان الطُرُق الصوفيّة لتلقّي الحقائق وتضادّها مع طريقة الإسلام.

الفصل الثاني: حقيقة وحدة الوجود. وقد بيّن فيه المؤلّف معنى وحدة الوجود لدىٰ الصوفيّة والفلاسفة واستند في ذلك إلىٰ كلمات أعلامهم وذكر جملة من أشعارهم في هذا المضمار.

الفصل الثالث: طريقة الشرايع في هداية البشر، وقد تمّ في هذا الفصل الكلام عن الغاية من بعثة الأنبياء وطريقتهم في هداية البشر وتباينها مع طريقة الفلاسفة والعرفاء وأشار المؤلّف في هذا الفصل أيضا إلىٰ بعض المكاشفات الشيطانيّة لدىٰ الصوفيّة وإلىٰ سابقة تاريخ الفلسفة والعرفان في يونان.

الفصل الرابع: معرفة الله الفطريّة، وقد ذكر المؤلّف فيه الرّد علىٰ القول بالجبر في الأفعال الإختيارية، وأشار إلىٰ أنّ معرفة الله معرفة فطرية، وتكلّم عن أوصافه تعالىٰ المشار إليها في الآيات والروايات، وكيفية إنتشار الأفكار البشريّة في المعارف الدّينية.

الفصل الخامس: الرّد علىٰ الفلاسفة والصوفيّة، ذكر فيه المصنّف مذمّة الصوفيّة المذكور في الروايات الشّريفة وتأويلاتهم للآيات والروايات وتحميل

أفكارهم اليونانيّة علىٰ النصوص الدّينية واختلاف فلاسفة ما قبل الإسلام وذكر فيه ردّ العلّامة الكبير المجلسي رحمه الله عليهم، وأشار إلىٰ الكتب التي ألّفها بعض أصحاب الأئمّة عليهم السلام في الردّ علىٰ الصوفيّة.

وفي الفصل الأخير: أكّد علىٰ ضرورة الرَّجوع إلىٰ الكتاب والسنة في جميع المعارف الدّينية ونبّه علىٰ حقيقة العقل والعلم في الآيات والروايات وتباينهما مع العقل والعلم الإصطلاحييّن ودلالتهما علىٰ بطلان الفلسفة والتصوف. وأشار إلىٰ أن معرفة الله هي فعل الله لا فعل العبد وأنّ معرفة الله الفطريّة منشؤها العوالم السابقة، وقد تطرّق المؤلّف في الختام لبعض النَّظريات حول عالم الذّر والجواب عنها.

امتيازات هذا التحقيق

لقد تمّت طباعة الكتاب وإعادة نشره عدّة مرات في حياة المؤلّف وبعد وفاته، وقد كان مورد استقبال الكثيرين، وبعد ذلك تمّ إجراء بعض التغييرات من قِبَل نجل االمؤلّف. وأمّا الإصلاحات التي اُضيفت على الطبعة الأخيرة فأمور:

١ ـ استخراج المصادر الناقصة.

٢ ـ إضافة فهرس المصادر والآيات والراويات في نهاية الكتاب.

٣ ـ تنضيد وترتيب المتن.

نأمل أنّ يكون هذا الأثر وغيره من آثار المؤلّف مورد استفادة القرّاء بالنحو المطلوب وأن نوّفق لتحقيق وطباعة سائر آثاره القيّمة إنّه وليّ التوفيق.

قم المقدسة

٢٧ جمادي الثاني ١٤٣٣

مرتضى الأعدادي الخراساني

مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي لا يُجسُّ ولا يُمسُّ ولا يُدرك بالحواسِّ الخمس ولا يقع عليه الوهم ولا تصفه الألسن، فكلُّ شيءٍ حسّته الحواسّ أو جسّته الجواسّ، أو لمسته الأيدي فهو مُحاطٌ مخلوق موصوف مدرَك محدود، له شبيهٌ ونظير، قابل للزيادة والنقصان والتغيّر والتبدّل، والخالق لا يكون مُحاطاً ولا مخلوقاً ولا مُدرَكاً ولا محدوداً، لا يُتغيَّر ولا يُتبدّل، ولا يُوصَف إلّا بما وَصَفَ به نفسه، وأنّىٰ يوصَف الذي تعجز الحواسّ أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحدَّه، والأبصار عن الإحاطة به، لأنّه الذي أعجز الأوهام أن تنال وجوده، وحجب العقول عن أن تتخيّل ذاته، فكلّما قدّره العقول والأوهام، أو تُدركه الأبصار والأفهام فهو مقدَّرٌ معقولٌ مفهومٌ متناهٍ وهو غيره تعالىٰ، وغيره تحديدٌ لما سواه، لا يتغيّر الله بإنغيار المخلوق كما لا يتحدّد بتحديد المحدود، مشيّءُ الأشياء ومكوّن الأكوان فلا شيءَ ولا كونَ إلّا وهو قائمٌ به وكائنٌ له ومحقَّق به، فالموجودات كلُّها كائنات مختلفات مؤثّرات ومتأثّرات به لا معه، وهو تعالىٰ في مكان الأُلوهيّة والرُّبوبيّة، خِلوٌ من خَلقه وخلقه خِلوٌ منه، لا هو في مرتبتهم، ولا هم في مرتبته لأنّ مرتبته تعالىٰ مرتبة الأُلوهيّة والرُّبوبيّة والمحيطيّة والقيّوميّة، ومرتبة خلقه المخلوقيّة

والمحدوديّة والمربوبيّة والمُحاطيّة فلا يجري عليه ما هو جارٍ في خلقه ولا يُوصَف بما يُوصَف به خلقه، وكلّما في المخلوق لا يوجد في خالقه وكلّما يمكن فيه يمتنع من صانعه، فهو مقدّس ومتعالٍ ومنزّه عن مُجانسة خلقه وأفعال عباده، وأنار العقول في بيوت القلوب حجّةً وبرهاناً علىٰ قدسه وتنزّهه لوضوح تنزّه العقول وتقدّسها عن مجانسة معقولاتها وصفاتها وحالاتها، وما يجري من المكاره عليها، فكذلك ربُّ العزّة وربُّ العرش وربُّ العقول، فهي الآية العُظمىٰ والمَثَل الأعلىٰ للعليِّ القدّوس المتعال وتبارك الذي نزّل الفرقان علىٰ عبده، ليكون للعالمين نذيراً وبشيراً وسراجاً منيراً، أنزله بعلمه وجعله هدايةً لأنامه، وأوجب اتّباعه وأوعد علىٰ ترك الِاقتداء والِاهتداء به، فَمَن جعله أمامه ومُقتداه هداه إلىٰ صراطٍ مستقيم، ومن طلب الهُدىٰ والعِلم من غيره أضلّه الله عن السبيل القويم، إذ لَم يدخل من الباب الذي فتحه الله لخلقه، ولم يأْتِ مدينةَ العلم من أبوابها، واعتمد على الآراء والأفكار والمَقائيس البَشريّة، وطلب العلم والكمال من طريق الفلسفة والتصوّف وأيْم الله أنّهما طريقا الضلال وسبيلا الوَبال.

والصَّلاة والسَّلام علىٰ أفضل خلقه باب الله القويم وصراطه المستقيم، وسبيله المُقيم محمّدٍ وآله الطيّبين الطاهرين الذين جعلهم الله تعالىٰ خُزّاناً لعلمه وحَمَلةً لكتابه، ليُخرجوا النّاسَ من الظُّلمات إلىٰ النّور، فَمَن سلك سبيلَهم هُدِيَ إلىٰ صراطِ الحميد، ومَن تركهم فالشيطانُ له قرينٌ عتيدٌ، فالعِترةُ والقرآنُ لا يفترقان إلىٰ يوم القيامة، وهما خليفتا رسول الله ﷺ، والثقلان العظيمان اللذان يجب علىٰ الأُمَّة التمسُّكُ بهما معاً. واللعنةُ الدائمة على أعدائهم ومعانديهم والمنحرفين عنهم إلىٰ يوم الدين.

أمّا بعد، ليكن واضحاً وجلياً لدىٰ الأخوة المؤمنين وطلاب العلوم الدينية

بأنّ هذا الكتاب الذي يحمل عنوان ***تاريخ الفلسفة***[١] ***والتصوف***[٢] كتاب يكشف الأَسرار غير المعلنة للمتصوفة وعقيدتهم الفاسدة؛ كما أنّه يبين بشكل واضح بأنّ كلام مدَّعي المكاشفة والشهود (أهل التصوّف) لا يختلف عن آراء الفلاسفة وأهل العرفان، وان نتيجتهما واحدة، وان أتباع كلا المسلكين يستمدّ نظرياته من أولئك الذين سبقوا السيّد المسيحعليه‌السلام.

وليس لهؤلاء أيّة علاقة بأية شريعة سماويّة، وينسبون أنفسهم إلىٰ الشَّرع كذباً وزوراً، بيد أنّ جميع الشرائع السَّماوية والعلوم والمعارف الإلهية تخالف طريقتهم، وأنّ القرآن الكريم والروايات والخطب والأدعية، وكذلك العقل والفطرة يحكمان ببطلان وفساد إدّعاءاتهم.

فيا إخواني، اتّبعوا ما أُنزل إليكم من ربّكم، ولا تتَّبعوا من دونه أولياء، واسمعوا واعْقلوا أن تقولوا يومَ القيامة: لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ، فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقاً لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ.

أو تقولوا: رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبيلاَ.

أو تقولوا: تَاللَّهِإِن كُنَّا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ، إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، قَدْ جَاءَكُم مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ.

وهو بيان وهدى وحكمة من ربّكم، يحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون، ولا تتّبعوا أهواءَ قومٍ قد ضلّوا كثيراً وضلّوا عن سَواء السبيل، وكونوا من أولي الألباب الذين يستمعونَ القولَ فيتّبعون أحسنه، وهذا هو الحقُّ من ربّكم، فَمَن شَاءَ

---

١. ***الفلسفة***: علم الاشياء بمبادئها الأولىٰ، والكلمة مركبة من «فيليا»، أي المحبة، و «صوفيا»، أي الحكمة؛ فيكون معناها «محبة الحكمة». (المترجم)

٢. ***التصوف***: مذهب الصوفيّة؛ وهم فئة من المتعبدين، والصوفي عندهم: من كان فانياً بنفسه، باقياً بالله، بعيداً عن الطبائع البشريّة، متصلاً بحقيقة الحقائق. (المترجم)

فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ، وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ، وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُكَذِّبِينَ ولَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ، وهم الذين لا يعلمون علمَ القرآن ولم يستضيئوا بنور الفرقان، وإذا قيل لهم اتّبعوا ما أنزل الله، قالوا بل نتّبع ما ألفينا عليه آبائنا إن يتّبعون إلّا الظنّ، وما تهوى الأنفس، ولقد جائهم من ربّهم الهُدى، فمن تبع هُدَى الله فلا يَضِلّ ولا يَشقىٰ، ومن تركه فإنَّما يحمل يوم القيامة وزراً، فَوَرَبِّ السماء والأرض إنّ هذا لحَقٌّ مثل ما أنّكم تنطقون، ما كان حديثاً يُفترىٰ، ولكن تصديق الذي بين يديه، فماذا بعد الحقّ إلّا الضلال، فأنّىٰ تُصرفون وأنّىٰ تُؤْفكون.

يا أيُّها الذين آمنوا أُدخُلوا في السلم كافّةً ولا تتّبعوا خُطوات الشيطان، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا، واعلموا أنّكم لَستم علىٰ شيءٍ حتّىٰ تُقيموا التوراة والإنجيل وما أُنزل إليكم من ربّكم، ولا تكونوا ممَّن يجادل في الله بغير علم ولا هُدىً ولا كتابٍ منير، وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا إِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ. والسّلام علىٰ مَن اتَّبع الهُدى، وخالَف النفسَ والرّدىٰ.

علي النمازي الشاهرودي

الشَّريعة والطريقة

الوقت ليل...

صمت رهيب يخيّم على السَّهل والصَّحراء...

نجوم السَّماء تُنبئ ـ بتلألئها ـ عن الأسرار الخفيّة للخلقة... خرير المياه ينبئ عن مسيرها الوَعِر، وكأنها تئنّ من الصّخور التي تعرقل ذلك المسير...

القمر أطلّ للتو على الأُفق، وحطّم ـ بنوره ـ جيوش الظلام وأجبرها على التقهقر...

أضواء المدينة ـ التي يمكن مشاهدتها من مسافة كيلومتر واحد ـ قد أضفت علىٰ هذا المكان جمالاً، وتتحدّث عن حضارة سكان تلك المدينة...

في بعض الأحيان يهبّ نسيم عليل[1]، حاملاً معه رائحة ذكية من الأزهار التي غرستها يدُ القدرة في الأرض.

وبعد مرور ساعة علىٰ منتصف الليل، خرج رجل وسيم الوجه نوراني، من منزله الكائن في بستان يقع علىٰ مسافة كيلومتر واحد من المدينة. كان وجهه

---

١. العليل: الليّن، ويطلق أيضا على المريض. (المترجم)

وعيناه النافذتان تكشف عن قلبه الصافي وضميره اليقظ. اتّجه نحو الشَّجرة التي كانت شاخصة في تلك الصحراء ليختلي بنفسه، ويناجي ربّه لفترة من الوقت... ذلك الرجل هو الحاج خليل؛ وقد قضى معظم حياته في مجالس العلماء وملازمتهم.

في فصل الصيف يدعوا أصدقاءه ورفقائه إلىٰ بستانه ذي الشجر الوارف[1] وينكفئ معهم أحياناً إلىٰ المناظرات والمساجلات[2]، ويستمتع هو بذلك المجلس الذي يضمّ اصدقاؤه.

يأكل الحاج خليل قليلاً من الطعام في أول الليل، ثمّ يخلد إلىٰ النوم في غرفته الصغيرة؛ وهي مكتبته الخاصة. وبعد مضي ثلثي[3] الليل، يستيقظ من نومه ويشتغل بتلاوة القرآن الكريم وصلاة الليل ومناجاة ربّه. وبعد أداء صلاة الفجروتناول طعام الفطور، يذهب إلىٰ محل عمله وتجارته.

في فصل الصيف يخرج من بستانه قبل أذان الفجر، ويجلس تحت الشجرة القريبة من ذلك المكان ويشتغل بمناجاة الله، ثمّ يتلو القرآن بصوت يخطف القلب بعد صلاة الصبح.

مع شروق الشمس يتناول طعام الفطور تحت تلك الشجرة في ذلك النسيم الصباحي الهادئ، ثمّ يتوجّه إلىٰ محل عمله في المدينة.

الحاج خليل طبقاً لعادته في كلّ ليلةٍ إستيقظ من نومه وتوضّأ وخرج من البستان وحضر في محلّ مناجاته واشتغل بالصلاة والتضرّع إلىٰ ربّه.

---

١. الوارف: الممتد، المتسع، النضد.

٢. والمباحث الدينية.

٣. بعد مضيِ ثلثي الليل، يحين وقت السحر؛ الشرعي كما لا يخفى.

كان يتصوّر بأنّه في تلك الليلة ـ كما في سائر الليالي ـ بعيد عن أنظار الناس، ولا يسمع أحد صوت بكائه وتضرُّعه إلىٰ ربّه خوفاً من عذابه. لم يكن يعلم بأنّ جاراً جديد الورود يغط في نوم عميق بالقرب منه.[١] في بعض الأحيان، عندما كان يتأوّه في مناجاته وتضرُّعه ويصل صوت التأوه إلىٰ ذلك الجار، كان يستقيظ قليلاً وينظر إلىٰ الحاج بطرف خفي، ثمّ يغمض عينيه ليعود إلىٰ نومه من جديد.

فمن هو ذلك النزيل الجديد؟

إنّه سائح متجوّل، ذو لحية كثّة شمطاء، شاربه طويل جداً بحيث يغطى شفته العليا بكاملها. يرتدي قبعة طويلة بيضوية الشكل، مزيَّنة بخاتم زجاجي شفاف، محاط بخيوط متدلية من الحرير الأسود، وقد نقش عليها هذان[٢] البيتان من الشعر بخط بارز:

حلول واتّحاد اينجا محال است　　　كه در وحدت دويى عين ضَلال است[٣]

مسلمان گر بدانستى كه بت چيست　　　بدانستى كه دين در بت پرستى است[٤]

كان هذا السائح المتجوّل يضع علىٰ كتفه فأساً فولاذية محكوك عليها طلاسم[٥] علىٰ هيئة جداول، ويمسك بيده كشكولاً[٦] أسود ذا سلاسل تتكون

---

١. ربّما بسبب شدّة ظلام تلك الليلة.

٢. ترجمت البيتين وكذلك سائر أبيات الكتاب حسب المعنى دون وزن وقافية (المترجم).

٣. ***گلشن راز***، ص ٤١ (القاعدة في بطلان الحلول والاتحاد البيت رقم ٦): إن الحلول والوحدة هنا محال. لان التثنية فى الوحدة عين الضلال.

٤. ***گلشن راز***، ٧٨ (السؤال عن معنى الصنم البيت رقم ٨): فيا أيها المسلم إذا عرفت ما هو الصنم، لعلمت بأنّ الدِّين في عبادة الصنم.

٥. الطلاسم: جمع طلسم: خطوط يستعملها الساحر ويزعم أنّه يدفع بها الأذى (يونانية).

٦. الكشكول: وعاء المتسوّل يجمع فيها رزقه (ارامته وبه سمي كتاب الكشكول للشيخ بهاء الدين العاملي المعروف بالشيخ البهائي لأنه جمع فيه مواضيع مختلفة).

من حلقات صغيرة، ويضع علىٰ عاتقه خرقة صوفية، ويحمل تحت جُبَّته حقيبة وبهذه الهيئة والصورة كان يسيح في الجبال والمدن والسّهول، ويحطّ أينما وجد الماء والخضراء، ويبتهج كلما رأى منظراً خلّاباً في الصحاري والسّهول. والآن أيضا وبالقرب من هذه الشجرة قد استغرق في نوم عميق لساعتين أو ثلاث بعد أن أنهكه الطريق مشياً على الأقدام.

طلع الفجر ونشر ضياءه في السماء ليجعلها براقة وشفافة. صوت أذان الحاج خليل، أطار النوم من عيني ذلك السائح المتجوّل، فتقلب في فراشه وقال بصوت أجش وهو يرتعش: علي!

الحاج خليل ـ الذي لم يتوقّع أن يكون في المكان شخص غيره ـ انبرى فجأة، وقال: من أنت؟

فقال السائح المتجوّل:

هر لحظه به شكلى بت عيّار برآمد دل برد ونهان شد

هر دم به لباس دگر آن يار برآمد گه پير وجوان شد[١]

لم يفهم الحاج خليل شيئاً من كلمات هذا السائح، وأخذ يمعن النظر في وجهه وهو في حالة من الذهول.

وقد جلب انتباه الحاج خليل شعره الكثيف[٢] الذي كان مُسَرَّحاً إلىٰ كتفي ذلك السائح، وكذلك الكشكول والفأس، فقال له، أهلاً بك أيّها المولى الوَرْد:[٣]

---

١. ***شمس الحقائق***، ص ١٩٩: في كلّ لحظة ظهر الصَّنم بصورة مختلفة أخذ معه القلب واختفى، وفي كلّ آن يبرز ذلك الصديق بصورة من الصُّور فَمَرَّة بصورة شيخ ومرَّة بصورة شاب.

٢. أي كان أشعر. والاشعر في اللغة الكثير الشعر الطويلة جمعه شُعُر مؤنثه شُعْراء.

٣. في الأدب الفارسي، تستخدم كلمة «الورد» للتعبير عن حرارة الإستقبال.

فأجابه السائح المتجوّل: أينما حلّ الدرويش[1]، فإنّ المكان مكانه إنّني نازل عليك ضيفاً.

الحاج خليل: الضيف عزيز عندنا؛ أتاذن لي في أن نصلي ثمّ نذهب إلىٰ المنزل؟ السياح المتجوّل: طاب نَفَسُك! نَفَسُك حق![2]

أقام الحاج خليل للصلاة، ثمّ كبّر بقلب خاشع: الله أكبر، وشرع في الصَّلاة. بعد الانتهاء من الصَّلاة، بدأ بتلاوة إحدى سور القرآن الكريم بصوت حزين وقلب كسير.

في هذه الأثناء وصل المشهدي محمّد[3]، خادم الحاج خليل، ووضع «السماور»[4] وإبريق الشاي علىٰ طرف النَّهر تحت الشجرة.

---

١. الدَّرويش: الراهب. المتعبد. الزاهد. واللفظة فارسية معناها: الفقير طالما ورد لفظ الدرويش علىٰ لسان هذا السائح، فإننا سنستخدم هذا اللفظ بدل من السائح المتجول، منعاً للتكرار المُخل (المترجم).

٢. مصطلح يدل على الموافقة الكاملة. (المترجم).

٣. «المشهدي» و «الكربلائي» من المفردات الدارجة في إيران كما مفردة «الحاج». فقولهم: «المشهدي فلان» أي الذي زار مشهد المقدسة. وقولهم: «الكربلائي فلان» أي الذي زار كربلاء المقدسة. كما أن «الحاج فلان» يطلق علىٰ من يحجّ بيت الله الحرام. ولا يُطلق «النجفي» و «الكاظمي» و «السامرائي» علىٰ من يزور النجف الأشرف والكاظمية المقدسة وسامراء المقدسة لأنّ من يزور كربلاء المقدسة يكون قد زار تلك المدن أيضا. وعليه، فإنّ لفظ «الكربلائي» يشمل من زار كربلاء وتلك المدن.

٤. السماور: وعاء علىٰ هيئة خاصة لتسخين الماء لإعداد الشاي؛ له عروتان وبُلبُل صغير وغطاء. فوق الغطاء مكان يوضع إبريق الشاي عليه، وفي أسفل الوعاء مكان لإشعال النار لتسخين الماء وقد استبدلت بالسماورات النفطية، سماورات تعمل بالكهرباء. ويعد

قال الحاج خليل: يا مشهدي محمّد؛ هاتِ كأساً إضافيةً؛ فعندي اليوم ضيف (وإشار إلىٰ الدرويش).

ذهب المشهدي محمّد مسرعاً وجاء بكأسين وخبز وزبدة وحليب ساخن.
توجه الحاج خليل إلىٰ الدرويش، وقال: يا درويش؛ تفضَّل.

قام الدَّرويش من مكانه، وغسل وجهه ويديه من ماء النَّهر ووضع قُبَّعته علىٰ رأسه وأمسك بالكشكول والفأس بيده، وقال بصوت أجشّ: «هُو»[1]! ثمّ جلس جنب الحاج علىٰ البساط، متّكئاً علىٰ جذع الشجرة وقال: (يا علي)[2]

ولم يكن الحاج خليل ملمّاً بمصطلحات الدَّراويش، ولم يكن يعرف ما هو جواب قولهم: يا علي، فقال: نَفْسي فداء لعليعليه السلام.

الحاج خليل: يا درويش؛ هل أصب لك الشاي أوّلاً أم الحليب؟

الدرويش: كلّ ما يأتي من الصديق فهو حسن.

صبَّ الحاج خليل الحليب في الكأس ووضعها أمامه، وأخذ ينظر إلىٰ هيئة الدرويش، وبدأ يفكر في نفسه: ألا يكون طول شاربه مانعاً من الأكل والشرب؟ ألا يكون الشَّارب الطويل الذي يُخفي الشفتين سبباً في تشويه جمال وجه هذا الدرويش؟! ثمّ خاطب نفسه: ما الفرق بين هؤلاء (الدراويش) والآخرين وما هو مرامهم ومن أين يستقون مشاربهم وأفكارهم؟ من المناسب في هذا اليوم ـ الذي

السماور من أبرز علامات تكريم الضيف في إيران، ويعتبر بعض أنواعه من القطع الأثـرية النادرة. يشيع استعماله في إيران، وفي تركيا وفي بعض بلاد الخليج.

١. لفظة «هُو» ـ هنا ـ ليست ضمير الغائب المفرد المذكّر، بل هي صوت يطلقه الفرد عندما يهمّ بحركة معيّنة كالنّهوض مثلاً ويختلف مثل هذا الصوت من شعب لآخر. (المترجم)

٢. أي: السلام عليكم عند الدراويش. (المترجم)

هو يوم الجمعة حيث يأتي الأصدقاء والدكتور إلىٰ البستان لتناول طعام الغداء، وحيث من المقرّر أن يدور الحديث حول: ما هو الشيء الضروري الذي يسعد البشريّة وينقذهم؟ ـ أن ندعوا هذا المولى الورد، ونسأله عن معتقداته وأفكاره. وإذا كان الحقّ معه، فإنّنا نتحرّر أيضا من هذه القيود ونصبح مثله.

بعد هذا التفكير، توجَّه الحاج (خليل) إلىٰ الدَّرويش، وقال: في هذا اليوم سيأتي بعض الأصدقاء من المدينة إلىٰ هذا البستان، فهل يمكن أن تتناول معنا طعام الغداء، وتشرّفنا بوجودك معنا؟

فقال الدرويش: يا علي! طابَ نَفَسُك.

يوجد في نهاية البستان مسبح كبير تقريباً، وهناك عدد من البط والأوز تسبح فيه. أشجار الصنوبر[1] والسرو[2] والصفصاف[3] المزروعة حول المسبح تُضفي عليه جمالاً...

وأمام المسبح أرض مستوية تستظل بتلك الأشجار؛ مفروشة بسجادتين متوسطتين...

والوسائد مهيّأة لاتّكاء الضيوف...

أطراف المكان مفروشه بمفارش ومزيَّنه بشراشف بيضاء.

الدرويش جالس في صدر المجلس علىٰ طرف المسبح متّكئاً؛ وهو حاسر

---

١. الصنوبر: جنس اشجار من فصيلة الصنوبريات، منابته النصف الشمالي من الكرة الأرضية؛ يزرع بعضها للتزيين.

٢. السرو: جنس شجر من فصيلة الصنوبريات؛ يزرع منذ القديم للزينة في الطرق والمعابر، أو يزرع به سياجاً للمزروعات التي يراد حمايتها من الرياح.

٣. الصعفاف: جنس شجر من فصيلة الصفصفيات؛ ينمو في المناطق الباردة المعتدلة وعلى الاخص بالقرب من المياه؛ يزرع للتزيين.

الرأس، شعر رأسه مضفور[١] شاربه الطويل يمنع رؤية شفتيه... لحيته كثّة... عيناه خضراوان جذابتان.

سماور كبير مع عدد من كؤوس الشّاي المذهّبة الموضوعة في صينيّه نُحاسيّة[٢]، تضفي الدفء على المجلس، وأكواب «القند»[٣] والصحون المملوءة بالفواكه: التفاح والمشمش والكرز، والخيار والطماطم، تزين المجلس.

الساعة تشير إلىٰ العاشرة والنصف[٤]... طُرِق باب البستان، نادى الحاج خليل :يا مشهدي محمّد؛ أسرع وافتح الباب، فقد وصل الأصدقاء.

دخل الحاج محمّد علىٰ بُنَكدَار، والحاج صمد التاجر، ونـاديا بصوتٍ عالٍ من ممرّ البستان: يا حاج خليل؛ سلام عليكم.

توجّه الحاج خليل بسرعة نحوهما راداً جواب سلامهما، ورحّب بهما بحرارة، وطلب منهما الجلوس علىٰ المفرش بجوار الدرويش. توجَّها نحوه وقالا: سلام عليكم، رفع الدرويش رأسه، وقال: يا علي!

بعد أن انتهى الحاج خليل من السؤال عن صحة الضيفين القادمين ومن عبارات الترحيب بهما، قال: اذن؛ لماذا لم يأت سائر الأصدقاء؟

أجاب الحاج محمّد علي: كنتُ أظن بأنّهم قد انطلقوا قبلنا؛ أينما كانوا فإنّهم سيصلون قريباً.

لم تمض برهة، وإذا بباب البستان يُطرق. الحاج خليل: يا مشهدي محمّد؛

---

١. ضفر الشعر: نسج بعضه علىٰ بعض.

٢. الصينية: طبق يتخذ لتقديم الشيء عليه، يكون من القش المضفور أو من المعدن.

٣. القند: مكعبات السكر، ويطلق علىٰ عسل قصب السكر إذا جمد، وفي إيران يقدم مع الشاي. (فارسيّة)

٤. واضح أنّه المقصود: العاشرة والنصف صباحاً.

الباب يُطرق.

هَبّ المشهدي محمّد وفتح الباب، وقال: السلام عليكم؛ تفضّلوا دخل كل من: الدكتور حسين خان[1] والفيلسوف «هزبر» وقالا: سلام عليكم.

قام الحاج خليل وسائر الضّيوف احتراماً للقادمَيْن وتواضعاً لهما وقال: تَفضّلا.

بعد الإنتهاء من عبارات الترحيب، جلس الفيلسوف هزبر والدكتور حسين خان أمام الدرويش متّكئين، ثمّ توجّها نحوه وقالا: صباح الخير أيّها الرجل المحترم.

الدرويش: يا علي!

الحاج خليل: يا مشهدي محمّد، هات الشّاي.

قام المشهدي محمّد بتقديم الشاي للضيوف، وضع أمام كلّ واحد منهم كأسأمن الشاي.

توجّه الدكتور حسين خان ـ الذي كان ذا ثقافة عالية، وبالأضافة إلىٰ دراسته الأكاديمية الحديثة، كان ملماً بالعلوم الدينية القديمة وكان يقضي معظم أوقات فراغه بالمطالعة ـ توجّه نحو الحاج خليل، وقال: أيّها الحاج العزيز؛ أبارك لك قدوم الضيف الجديد. ثمّ توجّه نحو الدّرويش وقال: من الجيّد أن يُعرِّف الضَّيف المحترم نفسه لكي نزداد له احتراماً.

الدَّرويش: أنا فقير وصاحب الأسرار... أنا قبلة سالكي هذا الطريق... أنا ساقي حفل مَحَلَّة الحبيب... أنا مطّلع علىٰ جميع الأسرار أنا مرشد جميع الأبرار... لم يكن عملي في الدّنيا سوى هذا.

---

١. الخان: لقب السلطان عند الأتراك وقد أصبح إسماً شائعاً بين الناس، محل نزول المسافرين (فارسية).

عندما سمع الحاضرون هذه الجمل، أخذ ينظر بعضهم إلىٰ بعض، وأطرقوا برؤوسهم، وخيّم عليهم صمت مطبق يفصح عن أن تلك الجُمَل لم تُعرِّف الدرويش لهم!!

توجّه الحاج خليل نحو الدّكتور، وقال: كنتُ أرغب في أن يُعرِّف الرجل المحترم نفسه بصورة أفضل، وأن يرشدنا إلىٰ مسلكه ومعتقداته.

في هذه الأثناء وقع بصر الدكتور حسين خان علىٰ قُبَّعَة الدّرويش التي كان قد وضعها علىٰ أحد المساند، وقال: لقد قراتُ بيتاً من الشّعر المنقوش علىٰ قُبَّعَتك؛ أنظر، هل اقرأه صحيحاً؟!

الحلول والأتحاد هنا محال لأنّ التثنية في الوحدة عين الضَّلال

إذا سمحت؛ أريد أن أقرأ البيت الثاني المنقوش علىٰ الطرف الآخر من قُبَّعَتك. أدار الدرويش قُبَّعَته، وبدأ يقرأ هو بلحن خاص:

فيا أيّها المسلم إذا عرفتَ ما هو الصَّنم لعلمتَ بأنّ الدِّين في عبادة الصَّنم!

شُحب وجه الدكتور حسين خان، فقلق لحاله الحاضرون. إلتفت الحاج محمّد علي إلىٰ الدكتور وقال: أيّها الدكتور؛ أنّا لم أفهم معنى البيت الأوّل، أما البيت الثاني فقد آلمني كثيراً. فإمّا إنّني لم أفهم معنى هذا البيت فله معنى آخر، أو إنّني فهمت معناه؛ وفي هذه الحالة فإنّه يحق لكل مؤمن بالله أن يتأثّر ويتألّم. ثمّ قرأ بيت الشعر وهو في حالة من الاستياء والألم الروحي ومن باب التعجب والإنكار:

فيا أيّها المسلم إذا عرفتَ ما هو الصَّنم لعلمتَ بأنّ الدِّين في عبادة الصَّنم!

الدكتور: هلّا[1] يقوم هو بشرح معنى هذين البيتين من الشِّعر لنستفيد.

---

١. هلّا: حرف تحضيض مركب من: هل ولا. إذا دخل علىٰ الماضي، كان للّوم، وإذا دخل على المضارع، كان للحثّ. (المترجم)

الشَّريعة والطَّريقة وسقوط الشَّريعة

قال الدرويش بلهجة شديدة: إنّكم مقيَّدون بالشَّريعة، ولم تدخلوا الطَّريقة بعد.

إنَّ فَهم هذه الأسرار لا يحصل بدون سلوك نهج الطَّريقة والرياضة[١]. إذهبوا إلىٰ «الخانقاه»[٢]، وسلّموا أمركم إلىٰ المُرشِد[٣] حتّىٰ تصلوا إلىٰ الحقيقة وتشربوا من كأس الوحدانيّة، وتتّصلوا بالحق، وتطلعوا علىٰ جميع الأسرار، وتخرجوا من ذواتكم، ولا تروا سواه.

قال الفيلسوف هزبر: من خلال الألفاظ نستدلّ على المعاني، إنّ ألفاظ هذا البيت من الشعر: (المسلم، إذا، علم، بأنّ، الصنم، ما هو، لعلم، بأنّ، الدّين، في، عبادة الصنم) ودلالاتها معروفة لدينا. ولأنّ دلالة الألفاظ على المعاني حجّة لدىٰ جميع العقلاء في العالم، ولأنّ اللّوم أو المدح يكون طبقاً للمعاني التي تدل عليها الكلمات، فإنّ معنى هذا البيت من الشعر يصبح كالتالي: إذا كان المسلم يعلم حقيقة عبادة الصنم، لعلم يقيناً بأن التديُّن هو عبادة الصنم. من هنا، فإنّه لا حاجة إلىٰ الذهاب إلىٰ «الخانقاه»، ولا حاجة ـ أيضا ـ إلىٰ الجلوس مع المرشد؛ أليس كذلك؟!

الدكتور حسين خان: يا هزبر المحترم؛ أرجو أن تسمح بأن ندخل في

---

١. يقصد، ترويض النفس بالخلوة لمدة أربعين يومًا؛ كما يزعمون. (المترجم)

٢. الخانقاه: كلمة مركبة من «خان» بمعنى الأكل و «گاه» بمعنى المكان، فسيكون معناه مكان الأكل. وقيل «خونقاه» وهو المكان الذي يأكل فيه الملك (فارسية).

٣. المرشد: لقب أحد رموزهم الدينية، واتخاذ المرشد واجب عيني عندهم. (المترجم)

الموضوع من أصله وجذره وأساسه. إنّ فهم هذا البيت من الشعر يتوقف علىٰ أن نعرف ما هي الطّريقة؟ وما الفرق بينها وبين الشَّريعة؟ الرّياضة التي يقصد بها كيف تكون؟ أين «الخانقاه»؟ وماذا يجري فيه؟ من هو المرشِد؟ وماذا يعني التسليم له؟ ما معنى الوصول إلىٰ الحقيقة؟ كيف هي كأس الوحدانيّة؟ ومن أين يحصل عليها؟ ماذا يعني الوصول إلىٰ الحقيقة؟ كيف نخرج من ذواتنا؟ ماذا يعني: عدم رؤية سواه؟ عندما نفهم كلَّ هذه الأمور، سندرك معنى هذا الشعر، وسنتوصل إلىٰ مراد الشاعر وعقيدته ومسلكه. إذَن، وبعد إذْن جناب الدرويش، نطلب منه شخصياً أن يوضّح لنا كلَّ هذه الأمور.

الدرويش: الشَّريعة عبارة عن الأحكام الشرعيّة؛ كالصَّلاة، والصَّوم، والزَّكاة، والحجّ، وأمثالها[1]، وعلى الفرد أن يؤدِّيها في الظّاهر عندما يكون في مرحلة «التفرقة» و «الكثرة»[2]، ولم يشرب بعد من كأس الوحدة وكما يقول شيخي، الشّيخ الشبستري الذي شرب من كأس الوحدة وأصبح أعلىٰ مرتبة من الجميع ـ:

ولى تا با خودى زنهار زنهار عبادات شريعت را نگه دار[3]

وبناءً علىٰ كلام هذا العجوز، فإن الشَّريعة مختصة بمن لم يفن، ولم يتّصل بالحق بعد.

---

١. هكذا ورد علىٰ لسان ذلك الدرويش. ولا يخفى بأنّ الصَّلاة والصَّوم والزّكاة والحجّ وأمثالها هي عبادات وليست أحكاماً شرعية (المترجم).

٢. يعتقد الصوفيون بأنّ العبادات لعوامّ الناس؛ أمّا هم فيعتبرون أنفسهم من الخواصّ.

٣. *گلشن راز*، ص ٦٦ (السؤال عن المعاني الشعرية المصطلحة، البيت ١٧): وطالما كنتَ محتفظاً بنفسك وطورك وهويّتك، فاحتفظ بالعبادات الشرعيّة. ويقصد: استمرّ في أدائها.

أمّا الطَّريقة فهي عبارة عن السير والسلوك والرياضة، والجلوس الأربعيني[١] بإجازة وأمر المرشد والإلتزام بآدابه وشروطه. فإذا سلكتم هذا الطريق، فإنّكم ستصلون إلىٰ الحقيقة عن طريق المشاهدة والمكاشفة وستُفنون في الحقّ وتتَّصلون به، وستُفنون عن أنفسكم، وستزول عنكم التثنية، وستصلون إلىٰ مقام «جمع الجمع». وفي هذه الحالة، فإنّكم سوف لن ترون غيره، وستشربون من كأس الوحدانيّة، وستسقط عنكم هذه العبادات الشرعيّة الظّاهريّة.

يقول الصنعي في ديوانه:

إنّ روح وباطن أحكام الشَّريعة أهم من ظاهرها الصوريّة. إن ظواهر الشَّريعة ـ وهي الصَّلاة، والصَّوم، والحجّ، وسيلة لكمال المبتدئ. وأمّا عندما يتصل السالك[٢] بالحقيقة، فإنّ هذه التكاليف الظّاهريّة تسقط عنه.[٣]

ويدَّعي «المولوي» أيضا أنّ السالك ـ إذا وضع قدمه في وادي الطَّريقة طبقاً لإرشاد وهداية «الولي الكامل»، وبدأ يهتم بالسير والسلوك وتهذيب النفس ـ فإنّه سيصل بالمآل إلىٰ الحقّ، ويتفانى فيه؛ وتوضيحه ـ كما جاء في مقدمة الدّفتر الخامس ـ كمايلي:

إن الشَّريعة كالشمعة التي تنير الطريق، وبدون حصولك على الشمعة لا يمكن سلوك الطريق ولا عمل أيّ شيء، وعندما تدخل في الطريق، فإنّ دخولك

---

١. يقصد: جلوس التأمل في الخانقاه لمدة أربعين يوماً.. ويدَّعي الصوفيّون بأنّ مَن زهد في الحياة أربعين يوماً، ظهرت له كرامات !!

٢. يقصد: سالك الطريقة الصوفيّة. (المترجم)

٣. *ديوان الصنعي*، ص ٣٢ ـ ٣٣.

هذا يكون هو «الطَّريقة»، وعندما تصل إلىٰ الغاية، فإنّها تكون هي «الحقيقة»؛ ولذا قالوا:

لو ظهرت الحقائق، بطلت الشرائع.[1]

ويقول، أيضا:

أو أنّ مَثَل الشَّريعة كمثَلَ تعلّم علم الطب؛ و«الطَّريقة» هـي الحِـمْية[2] وتناول الدواء طبقاً لعلم الطب؛ و«الحقيقة» هي وجدان الصحة الأبديّة والفراغ من الشَّريعة والطَّريقة.[3]

ويقول أيضا في موضع آخر:

شـــرع بـــهر زنـــدگان و اغـــنياست　　شرع بهر اصحاب گورستان كجاست ؟
آن گـــروهى كـــز فـــقيرى بـــىبرند　　صـد جـهت زان مـردگان فـانى تـرند
مـــرده از يک روست فـانى در گـزند　　صوفيان از صد جـهت فـانى شـدند[4]

وكان «أبو مَدْيَن» ـ وهو أحد مشايخ محيي الدين ـ يأمر أصحابه بإظهار العبادة والطاعة، لأنّه كان يعتقد أنّه لا يوجد فاعل في العالم سوىٰ الله.[5]

---

١. *المثنوي المعنوي*، الدفتر الخامس، ص ٧٥٥.

٢. الحِمْية: الاسم من حمى المريضَ إذا منعه عما يضره.

٣. راجع: *المثنوي المعنوي*، الدفتر الخامس، ص ٧٥٥.

٤. *المثنوي المعنوي*، الدفتر السادس، ص ٥٦٩: إن الشرع للاحياء والأغنياء، ومتى كان الشرع لأصحاب القبور؟، أولئك الذين أصبحوا من دون رأس من الفقر، فإنّهم أكثر فناءً من الأموات من مائة جهة، إن الميت أصبح فانياً وفي أذى من جهة واحدة فقط، وأما الصوفيون فإنهم فانون من مائة جهة.

٥. *الفتوحات المكية*، ج ٢، ص ٢٢٢ (الباب ١٣٥).

الحاج محمّدعلي: نعم؛ عندما يصبح الفعل والفاعل والمفعول واحداً، فلا يكون هناك معنى للصلاة!

وينقل عن العلّامة الحليّ أنّه قال:

رأيت جماعة من الصوفيّين في حرم الإمام الحسين عليه السلام، وهم يصلّون إلّا واحداً منهم.. وبعد فترة، سألت أحدهم: لماذا لم يصلّ ذلك الفرد؟ قال: وما حاجته إلىٰ الصَّلاة؟! لقد اتّصل بالله! هَل يجوز وضع الحجاب للواصل؟! إنّ الصَّلاة حجاب بين العبد وربِّه». [1]

بطلان سقوط الشَّريعة مع حكمة الشَّريعة

الدكتور حسين خان: أيّها الرجل الجليل؛ أتأذن في الكلام؟

الدرويش: تفضّل.

الدكتور حسين خان: هل توافق علىٰ أنّ الإنسان يقبل الفكرة ـ أيّة فكرة ـ من صميم قلبه ويعمل بها إذا كان فيها دليل وبرهان ويتركه فيما إذا كانت مخالفاً لهما؟

الدرويش: نعم؛ إنّه كذلك، وهذا هو الحقّ.

الدكتور حسين خان: إذن؛ وبعد إذْن جنابك، ولكي يستقر كلامك في قلوبنا، فإمّا أن ندرك كلامك بعقولنا، أو أن نصل إلىٰ مرحلة المشاهدة والمكاشفة؛ كما تقول، وإمّا أن يكون له دليل من الشرع.

ومن الثابت في محلّه أنّ العقل له مُدْرَكات خاصة به، وأنّ سقوط التكاليف الشرعيّة خارج عن حدود الإدرك والعقل، ومعلوم ـ أيضا ـ أنّ المشاهدة

---

١. *عين الحياة*، ص ٥٢؛ *الأنوار النعمانية*، ج ٢، ص ٢٨٢.

والمكاشفة قد تحصل من إلقاء الشيطان، وعليه فإنّ الاستدلال بها ساقط عن الاعتبار، ولا يوجد في الشرع أيّ دليلٍ علىٰ سقوط التكاليف الشرعيّة؛ لا في الآيات الكريمة[١] ولا في الأحاديث الشّريفة.

إضافة إلىٰ ذلك إنّ القرآن الكريم يعتبر هذه العبادات طريقاً للوصول إلىٰ الدَّرجات العليا في الجنّة، وإلىٰ مقام القرب من الله تعالىٰ، ويصف المؤمنين والمتَّقين بهذه الصفات وهذه العبادات.

وقد ورد عن خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام والأئمّة الأحد عشر عليهم السلام بعده، أنّ الصَّلاة وسيلة القرب إلىٰ الله تعالىٰ[٢]، وعندما يشتغل العبد بالصلاة، تنزل عليه الرحمة[٣]، وتحفّ به الملائكة[٤] ولقد وصفوا الصَّلاة بأنّها «عمود الدين»[٥]، وأنّ قبول الأعمال الصالحة مشروط بقبولها.[٦]

وقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

---

١. مثالاً علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ الآية ٥٦ من سورة الذاريات وقوله تعالىٰ: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً**﴾ الآية ١٦٢ من سورة النساء، فإنّ الله لم يقيّد العبادة والصلاة والصوم بوقت بل هي واجبة حتّى الممات.

٢. راجع: ***بحار الأنوار***، ج ٧٩، ص ٣٠٧، ح ٤ (الباب الرابع من كتاب الصَّلاة).

٣. راجع: ***غرر الحكم***، ص ٨١٧، رقم ٦٠.

٤. راجع: ***بحار الأنوار***، ج ٧٩، ص ٢١٥، ح ٣٠ (الباب الأوّل من كتاب الصَّلاة).

٥. راجع: ***بحار الأنوار***، ج ٧٩، ص ٢١٨، ح ٣٦ (الباب الأوّل من كتاب الصَّلاة).

٦. راجع: ***بحار الأنوار***، ج ٧٩، ص ٢٢٧، ح ٥٣.

حَجَّةٌ أَفْضَلُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَصَلاةٌ فَرِيضَةٌ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ حَجَّةٍ.[١]

وحول الصوم، روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال:

الصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ.[٢]

وقد أجاب ﷺ علىٰ سؤال جماعة من اليهود، فقال:

مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَصُومُ شَهْرَ رَمَضَانَ احْتِسَاباً إِلَّا أَوْجَبَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ سَبْعَ خِصَالٍ:... وَالْخَامِسَةُ أَمَانٌ مِنَ الْجُوعِ وَ الْعَطَشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالسَّادِسَةُ يُعْطِيهِ اللَّهُ بَرَاءَةً مِنَ النَّارِ، وَالسَّابِعَةُ يُطْعِمُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ طَيِّبَاتِ الْجَنَّةِ....[٣]

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام، أيضا أنّه قال:

نَوْمُ الصَّائِمِ عِبَادَةٌ وَصَمْتُهُ تَسْبِيحٌ وَعَمَلُهُ مُتَقَبَّلٌ وَدُعَاؤُهُ مُسْتَجَابٌ.[٤]

لا يمكننا أن نتطرّق إلىٰ جميع فضائل وعلل وحِكَم العبادات والأحكام الشرعيّة الأخرى في هذا المجلس، ولكن ما يمكن قوله في هذا الصدد، بالقطع واليقين، هو أنّ جميع الأعمال لها هذه الآثار علىٰ جميع أفراد البشر حتّىٰ آخر لحظة من لحظات حياتهم في الدّنيا.

---

١. ***تهذيب الأحكام***، ج ٢، ص ٢٤٠، ح ٢٢ [٩٥٣] (الباب ١٢: فضل الصَّلاة ...).

٢. **كتاب من لا يحضره *الفقيه***، ج ٢، ص ٧٤، ح ١٧٨١ (باب فضل الصيام من كتاب الصوم).

٣. **كتاب من لا يحضره *الفقيه***، ج٢، ص ٧٤، ح ١٧٦٩ (باب علة فرض الصيام من كتاب الصيام؛ ***بحار الأنوار***، ج ٦٦، ص ٣٦٨، ح ٤٩.

٤. **كتاب من لا يحضره *الفقيه***، ج ٢، ص ٧٦، ح ١٧٨٣؛ ***بحار الأنوار***، ج ٩٣، ص ٢٥٣، ح ٢١.

من هنا فإنّ جميع الأنبياء وأوصيائهم لم يتوانوا عن أداء هذه العبادات طوال فترات حياتهم، ولم يعتبروا أنفسهم مستغنين عنها بأيّ حال من الأحوال. كما أنّ أتباعهم الصّادقين كانوا ملتزمين بهذه الأوامر الشرعيّة الظّاهريّة في حياتهم، وكانوا يعملون وفقها ولا يزالون كذلك.

ولكنّك تقول: إنّ هذه العبادات ضروريّة لأولئك الذين لم يصلوا إلىٰ الحقّ بعدُ، ولم يتقدّموا خطوة نحو الأمام. وأنت في مقابل كلّ هذه النصوص الشرعيَّة، تنقل عن شيخك، الشّيخ الشبستري بيتًا من الشعر يقول:

وطالما كنت محتفظاً بنفسك وهويتك   فاحتفظ بالعبادات الشرعيّة

الحاج محمّدعلي بنكدار: أيّها الدكتور؛ بناءً على أقواله (ويشير إلىٰ الدرويش) فإن القرآن الكريم يضع البشر في المرحلة الإبتدائية، وأن تعليمات الأنبياء عليهم السلام تمنع رقي البشريّة ولا تدعهم يتقدّمون خطوة نحو الأمام! إن هذا الكلام جديد حقاً؛ أليس كذلك؟!

توجَّه الدرويش نحو الحاج محمّدعلي وقال: نعم؛ أنّ تعليمات الأنبياء عليهم السلام تُحدِّد البشر!

رياضة الصّوفييّن وتعارضها مع الشرايع السماويّة

الدكتور حسين خان: ما هي تعليمات المرشد بالنسبة إلىٰ الرياضة؟ وكيف هي صورتها عندكم؟

الدرويش: الرياضة ـ عندنا ـ عبارة عن ترك أكل اللُّحوم، وعدم الزّواج، والجلوس في خلوةٍ مع الإشتغال بأذكار خفيّة، وجلية، وتطبيق تعليمات

«المرشد» صاحب «الخرقة»[1]، وتُلبس الخرقة عادة بإجازةٍ من «القُطب».[2] الدكتور حسين خان: إنّ هذه التعليمات تتعارض مع العقل والعلم حقاً، وتخالف جميع الأحكام الإلهيّة. إنّكم لن تستطيعوا إيصال أنفسكم إلىٰ السعادة والنَّجاة من الهلاك بهذه التعليمات، فكيف بأن تكونوا هادين للبشريّة إلى سعادتها.

إنّ أحد أنواع الغذاء الضروري المفيد لجسم الإنسان[3] هو اللَّحم الذي يساعد علىٰ تقوية الجسم ونُموّه ويزوّده بالطاقة اللازمة ويوصي الأطبّاءُ المرضى المصابين بالضَّعف الشديد والهِزال بأكل الكباب[4]؛ بالإضافة إلىٰ أنّه قد ورد في رواية:

اللَّحْمُ يُنْبِتُ اللَّحْمَ وَمَنْ تَرَكَهُ أَرْبَعِينَ يَوْماً سَاءَ خُلْقُهُ، وَ مَنْ سَاءَ خُلْقُهُ فَأَذِّنوا

---

١. الخرقة: قطعة من القماش؛ وعند الصوفيين لباس خاص أزرق اللّون، ولبسه هو الإرتباط بين الشّيخ والمريد.

٢. القطب عند الصوفيّة هو الإنسان الكامل، ويسمّونه «الوليّ الكامل»، وهو معصوم كما يزعمون. والقطب ـ في اللغة ـ ملاك الشيء ومداره، ونجم تبنىٰ عليه القبلة، وطرف محور الأرض.

٣. العناصر الغذائية الضرورية لجسم الإنسان، هي:

البروتينات: وهي مجموعة اللحوم والبقول.

الكربوهيدرات: وهي مجموعة السكريات والحلوىٰ.

المواد الدهنية: وهي مجموعة الزيوت.

الفيتامينات: وهي مجموعة الفواكه والخضراوات.

الالبان: وهي مجموعة الحليب ومشتقاته.

الماء. (المترجم)

٤. الكباب: اللحم المشرح أو المفروم يشوى علىٰ النار.

فِي أُذُنِهِ.[١]

ومن الأمور الضروريّة الأُخرى للبشر التي أودعها الله تعالىٰ في كلّ إنسان هو الغريزة الجنسيّة، وبها يرغب الرجل في المرأة وترغب المرأة في الرَّجل؛ وهناك حِكمٌ ومصالحُ كبيرة في هذه الغريزة لا مجال لذكرها.

يقول رسول الله ﷺ:

النِّكَاحُ سُنَّتِي، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي.[٢]

ويقول رسول الله ﷺ، أيضا:

مَنْ تَزَوَّجَ فَقَدْ أَحْرَزَ نِصْفَ دِينِهِ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي النِّصْفِ الْبَاقِي.[٣]

ويقول رسول الله ﷺ أيضا:

مِنْ أَخْلَاقِ الْأَنْبِيَاءِ، حُبُّ النِّسَاء.[٤]

ويقول رسول الله ﷺ، أخيرا:

حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا، النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَقُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاة.[٥]

---

١. ***بحار الأنوار***، ج ٦٣، ص ٦٧، ح ٤٢ (الباب السابع، فضل اللحم والشحم من كتاب السماء والعالم).

٢. ***بحار الأنوار***، ج ١٠٠، ص ٢٢٠ (الباب الأوّل من كتاب العقود والإيقاعات).

٣. ***بحار الأنوار***، ج ١٠٠، ص ٢١٩، ح ١٤.

٤. ***بحار الأنوار***، ج ١٠٠، ص ٢٣٦، ح ٢٤.

٥. ***بحار الأنوار***، ج ١٠٠، ص ٢١٨، ح ٧.

بالإضافة إلىٰ ذلك نجد أن الفساد الخُلقي والأمراض الجنسيّة [١] والتناسُليّة قد تفشت في صفوف شبابنا بسبب عزوفهم عن الزِّواج وعدم الإعتناء به.

أمّا الخَلوة واعتزال الناس؛ فإنّنا نعلم بأنّ الإسلام قد اهتَمَّ بالإجتماع أيَّ [٢] اهتمام؛ وهناك ثواب كبير لتزاور الإخوة والأصدقاء، وتشييع جنازة المؤمن، والحضور في صلاة الجماعة، وعيادة المرضى، وقضاء حوائج المؤمنين ونحوها، وهي الأُمور الّتي لا تتحقّق إلّا بالحضور الفعّال في المجتمع.

هل تريدون هداية البشريّة إلىٰ معرفة الله، ودعوة الشعوب المتحضّرة في العالم إلىٰ الإسلام بإتّباع طريقتكم هذه؟!!

إنّكم تريدون أن تقولوا: أيّها الناس؛ إذا أردتم أن تعرفوا الله وتكونوا مسلمين، عليكم بالإمتناع عن أكل اللُّحوم، وعدم معاشرة النّاس، والعزوف عن الزِّواج!!!

كونوا علىٰ يقينٍ بأنّ الشعوب المتحضّرة في العالم لا يقابلون الدِّين الذي يأمر بهذا السُّلوك لمعرفة الله، إلّا بالضِّحك والسُّخرية والإستهزاء!!!

الحاج صمد: أيّها الدكتور الجليل؛ بناءً علىٰ ذلك، هل أن معرفة الله تنحصر في الرجال، أم أن النساء ـ أيضا ـ عليهم ممارسة الرياضة، وترك أكل اللّحوم، والعزوف عن الزِّواج ليعرفن الله ؟!!

---

١. الأمراض الجنسية كثيرة، منها: الزهري، السيلان، الهربس، الإيدز، إلىٰ جانب تفشي الفساد الخلقي؛ ومن أبرز صوره «الشذوذ الجنسي»، وهو: اكتفاء الرجل بالرجل (اللواط)، واكتفاء المرأة بالمرأة (السّحاق).

٢. أي ـ هنا ـ دالة على الكمال وتكون صفة للنكرة؛ فيكون معنى العبارة: ... اهتم بالاجتماع كامل الاهتمام؛ ولـ«أي» استعمالات عديدة أُخرى. (المترجم)

وحينئذٍ، ألا تغرق الدّنيا في بحر الفحشاء والمنكر والفساد؟!

أين «الخانقاه» ؟

الدكتور حسين خان: نظراً إلىٰ قرب حلول فترة الظهيرة، ولأنّنا جائعون جدّاً، وحيثما يأمر الحاج خليل بإحضار الطعام، هلّا بيّنت لنا أين «الخانقاه»؟ وماذا يجري فيه؟

الدرويش: كما أن المسجد مكان أهل الشّريعة والمتديّنين، فإن «الخانقاه» مكان الفقراء وأهل الطّريقة والحقيقة.

الحاج محمّدعلي: هل يعني ذلك أنّ الدراويش يجتمعون في «الخانقاه» لأداء الصّلاة، وتلاوة القرآن، وقراءة الأدعية؟

الدرويش: نعم؛ إنّ أهل الحقّ يجتمعون في «الخانقاه»، إلّا أن لهم عبادات أُخرىٰ.

الحاج صمد: أرجو أن تبيّن لنا ما هي عبادتهم في «الخانقاه»؟

الدرويش: إن «الخانقاه» مركز الإستراحة والعبادة والذّكر والسّرور والصّفاء؛ أي أن الضّيوف والقادمين يُستضافون بصدقٍ وصفاء. فإذا رغب أحد في العبادة، يجلس في حلقة الذكر. وإذا كان يرغب في الرياضة، يجلس في زاوية ما[١] لمدة أربعين يوماً لممارسة طقوسها. ومن يرغب في المزيد يستطيع أن يشارك أهل الصدق والصفاء في قراءة الأشعار وترديد كلمات الشّيخ[٢]. والخلاصة ان

---

١. ما ـ هنا ـ جاءت اسماً للإبهام، أي: في أيّة زاوية من زوايا الخانقاه؛ ولها استعمالات عديدة أُخرىٰ. (المترجم)

٢. يقصد: شيخ الطريقة.

«الخانقاه» هو المكان الذي يُعامل فيه الفرد بما يوافق طبعه، ولا توجد هناك قيود أو موانع شرعية.

الدكتور حسين خان: لو فُرض أن زائراً جديداً ـ ليس من الدراويش ولا من أتباع الطَّريقة ـ دخل «الخانقاه»، فكيف يقضي وقته هناك؟

الدرويش: إنّه ضيف يرد علينا؛ وسواءٌ كان من أهل الطَّريقة أو من أهل الشَّريعة، وسواءٌ كان مسلماً أو كافراً، فإن ما يطلبه ويوافق طبعه متوفّر له.

الحاج صمد: إذن، يستحسن أن نذهب إلىٰ «الخانقاه» لنتحرّر من كلّ القيود!!!

وكان الحاج خليل منهمكاً في ذلك الوقت في إعداد الطعام، وإثر سماعه لأصوات ضحك الحضور، إنتبه لهم واطلع علىٰ بحثهم، وقال بغضب: يا حاج صمد؛ ماذا تقول؟!! يبدو أنّك تريد أن تخرج من قيد العبوديّة لله تعالىٰ، وأن تبتعد عن دائرة الكمالات الإنسانيّة والأوامر الإلهيّة!!!

ضحك الحاج صمد بصوت عال وقال: نعم يا سيدى... أُريد أن أصبح من أهل الطَّريقة والحقيقة، وأكون درويشاً!!

قطع الدكتور حسين خان كلام الحاج صمد، وقال:

إسمح لنا أن نتناول طعامنا أولاً، ثمّ نواصل بحثنا.

في ذلك الوقت ذهب الجميع نحو المسبح، وغسلوا أيديهم، ثمّ جلسوا علىٰ مائدة الطعام.

وُضِع في وسط المائدة طبق الأرز بمنظره الجذّاب ورائحته الذكيّة، وحوله أطباق من أنواع الإدام[1]، كـ«القيمة» و «الكوسا» ...

---

١. الإدام: كلّ موافق وملائم. ومنه «إدام الطعام» وهو ما يجعل مع الخبز فيطيّبه. ويطلقون عليه مرقة. (المترجم)

أباريق ضياح[١] اللبن، وشراب «السكنجين»[٢] تزيد المائدة جمالاً...

الأكواب المملوئة في مكعبات الثلج تجذب نحوها الشفاه الظمأىٰ والأكباد الحرّى...

في الزّوايا الأربع للمائدة، وضعت أربع دجاجات مشويّة...

الضيوف يقدّم بعضهم بعضاً للشروع بالأكل، ثمّ يبدأ الجميع بتناول الطعام.

الدكتور حسين خان يميل كثيراً إلىٰ إدام «الكوسا»[٣]...

الحاج صمد يرغب ـ غالباً ـ في إدام «القيمة»[٤]...

الحاج خليل يُقدِّم الطعام في صحون أمام كلّ ضيف...

الفيلسوف هزبر يأكل من اللَّحم لأنّه مصاب بمرض ارتفاع ضغط الدَّم...

الحاج محمّدعلي يشرب شراب «السكنجين» ويقلِّل من الطعام الحارّ في فصل الصيف...

الدرويش يمسك بيده فخذ الدجاج المشوي ويضعه في فيه[٥]، ويبدأ بمضغه

---

١. ضوّح اللبن: مَزَجَه بالماء.

٢. السكنجين: مادّة تشبه العسل في قوامها، طعمها حلو وحامض قليلاً بسبب إضافة الخل إليه. تخفف بالماء فتصبح عصيراً لذيذاً. يكثر شربه في فصل الصيف لأنّه يروي العطش. وفي الشتاء يؤخذ مع الخس. له فوائد طبية كثيرة مذكورة في كتب الطب القديمة (فارسية).

٣. الكوسا: بقلة زراعية مستطيلة كالخيار من فصيلة القرعيات؛ أصغر من القرع واليقطين.

٤. القيمة: إدام لذيذ شائع في إيران والعراق وفي بعض بلاد الخليج؛ قوامه اللحم والعدس الأحمر، والبطاطس.

٥. فيه ـ هنا ـ بمعنى فمه. وهو أحد الأسماء الخمسة؛ يرفع بالواو، وينصب بالألف، ويجر بالياء بشرط أن يكون مفرداً مضافاً إلىٰ غيرياء المتكلم. فنقول: «فوه وفاه وفيه» أي: فَمَهُ وفَمَه وفَمه. والأسماء الخمسة، هي أبٌ، اخٌ، حمٌ، فو، ذو. (المترجم)

من تحت شاربه الطويل...

وكثر على المائدة المزاح واشتدّ الضحك... وبين كلّ دقيقتين أو ثلاث تتعالى أصوات ضحك الحضور.

الحاج صمد: أيّها الدكتور؛ أرجو أن تواصل هذا الحديث مع حضرة الدرويش لعدة أسابيع، لكي تمتنَّ علينا أولاً، وتُكسب الحاج خليل أجراً كبيراً.

الحاج محمّدعلي: بشرط أن يُعِدُّ الحاج خليل مائدة «درويشيّة»[1]، وأن لا يقدّم لنا الطعام الذي يخالف الطَّريقة، لأن حضرة الدرويش قال بأنّ أهل الطَّريقة لا يأكلون اللحوم، ولا يتزوّجون.

الفيلسوف هزبر: أنا أيضا أريد أن أمازح، فهل تسمح لي بذلك؟ (وأشار إلىٰ الدرويش):

الدرويش: تفضّل؛ طاب نَفَسُك.

الفيلسوف هزبر: أنّه هو أيضا مشغول الآن بأكل اللحم، وأنّه في صراع مع فخذ الدجاج، وأظن أنّه إذا عرضت عليه فكرة الزِّواج، فإنّه لا يمانع هذه الفكرة؟!

أجاب الدرويش بالضِّحك الدَّال على الموافقة: لقد خرجنا من مرحلة الطَّريقة والتحقنا بالحقيقة، واتصّلنا بالحبيب، ولا يوجد حجاب أو مانع للواصل؛ كالقطرة التي تصل إلىٰ البحر فتصبح بحراً.

قال الدكتور حسين خان: عندما كان حضرة الدرويش جائعاً، كنا نسمع منه مثل هذه الكلمات كثيراً؛ والآن إتّضح الأمر كثيراً!!!

تعالت أصوات الضِّحك من الجميع.

---

١. نسبته إلىٰ درويش، أي فقير، ويقصد: المائدة البسيطه التي تعد للفقراء.

كراهة إطلاق الشارب

الحاج صمد: أيّها الدرويش الجليل؛ هل تطويل الشارب مع شعر الرأس الكثيف من علامات أهل الطَّريقة؟

الدرويش: هذه إحدى العلامات البارزة والظّاهريّة لنا أهل الطَّريقة. ويقيناً، إذا رغب حليقوا اللّحية في أن يكونوا من أهل الطَّريقة، فإن عليهم أن يطلقوا شواربهم.

الحاج محمّدعلي: إذن؛ كان من الأفضل أن يفكروا في طريقة ما لربط الشارب الطويل إلىٰ جهة ما أثناء تناول الطعام حتّىٰ لا يعرقل الأكل، ولا يمسّه الودك!![1]

الفيلسوف هزبر: يا حاج محمّدعلي؛ تريد أن تربط شوارب الناس بالخيط شيئاً فشيئاً؟!!

تعالت أصوات ضحك الحضور، وكذلك الدرويش نفسه ضحك بصوتٍ عالٍ، وقال: يا سيد هزبر؛ طاب نَفَسُك، سأجيبك بعد الطعام.

هزبر: نعم؛ الآن ليس من المصلحة لأنك ستتخلف عن القافلة؛ أليس كذلك؟! مرة أُخرىٰ، تعالت أصوات ضحك الحضور.

الدكتور حسين خان: ان إطالة الشارب خلاف التعليمات الصحيّة. وعدا ذلك فقد سمعنا وقرأنا في كتبنا بأنّ هذا العمل مكروه.

---

١. الودك: الدّسم من اللحم والشَّحم. (المترجم)

فقد ورد أنّ رسول الله ﷺ قال لاثنين [1] من الإيرانيين، كانا قد حلّقا لحيتيهما وأطلقا شاربهما: مَنِ الذي أمركما بهذا؟ قالا: ربّنا (يريدان: كسرى [2]، ملك الفرس). فقال ﷺ:

لَكِنْ رَبِّي أَمَرَنِي بِإِعْفَاءِ لِحْيَتِي وَقَصِّ شَارِبِي. [3]

وتمّ بكلمات الدكتور حسين خان هذا المزاح، وانتهى الحضور من تناول الطعام، وقالوا: من الأفضل أن نستريح قليلاً.

الدكتور حسين خان: لأنّ المائدة كانت ممدودة، لا أريد أن أزعج الحضور؛ علينا أن نصلّي حتّى لا يفوتنا وقتها. استحسن الحضور كلام الدكتور؛ فقاموا وتوضّؤوا وشرعوا في الصَّلاة. وأمّا الدرويش فقد اتكأ علىٰ إحدى الوسائد، وملأ «غليونه» [4] من التبغ والترياق [5]، وبدأ بالتدخين.

فرغ الحضور من الصَّلاة، فقال الحاج صمد: الحقّ يقال؛ لقد كانت مباحثة شيّقة في هذا اليوم، يستحسن أن تستمرّ إذا كان الأخوة يوافقون علىٰ ذلك.

الدكتور حسين خان: نعم؛ لأنّه من الممكن أن لا نرى الرجل الجليل (وأشار

---

١. هما: بانويه، كاتب «باذان»، عامل كسرى علىٰ اليمن، ورجل آخر يقال له «خرخسك». (نقلاً عن كتاب ***منتهى الآمال*** للشيخ عباس القمي، ج ٢، ص ٤١) المترجم.

٢. كسرى: اسم كلّ ملك من ملوك الفرس (فارسية).

٣. ***بحار الأنوار***، ج ٢٠، ص ٣٩٠ (باب ٢١ من تاريخ نبينا). معلوم أن ترك اللحية طويلة هو أن لا تطول بما يزيد عن حدّ القبضة (المترجم).

٤. الغليون: انبوب قصير علىٰ شكل معروف؛ له رأس مجوّف، يحرق فيه التبغ، جمعه غلايين.

٥. الترياق: دواء يدفع السّم؛ مخدّر (يونانية).

إلى الدرويش). من الضروري أن ننهي كلامنا في هذا الموضوع ونستفيد من حديثه الشيّق.

حقيقة وحدة الوجود

الحقيقة والوحدة في كلام الصوفييّن والفلاسفة

الفيلسوف هزبر: اسمحوا أن يشرّح الرَّجل الجليل لنا معنى الحقيقة، لأنّه إذا لم يوضّح ذلك، فإنكم لم تعرفوا أفكار وعقائد هؤلاء.

الدَّرويش: هل إنّ جنابك حكيم ومطلّع علىٰ آراء الفلاسفة والحكماء!

الدكتور حسين خان: إنّه (أي: هزبر) فيلسوف، ويعتقد بأقوال الحكماء والفلاسفة.

الدرويش: إذن، فأنا وأنت، وإن كُنّا نسير في طريقين مختلفين، إلّا أنّنا سنصل إلىٰ هدف واحد.

تغيّر لون وجه الفيلسوف هزبر، ولم يقل شيئاً. ملأ الدَّرويش غليونه بالتبغ مرة أُخرىٰ، ثمّ بدأ بالاستنشاق العميق المصحوب بالصفير وبدأ بقراءة الأبيات التالية بلهجة ونغمة خاصتين:

ما چونایيم[١] و نوا در ما ز تُست ما چو کوهيم و صدا در ما زتُست
ما عَدَمهاييم و هستی‌های ما تو وجودِ مُطلقی فانی نُما[٢]
نی دو باشد تا تویی صورت پرست پيش او يک گشت کز صورت برست
چون به صورت بنگری چشمت دواست تو به نورش در نگر کان دو يک است
منبسط بوديم يک گوهر همه بی سر و بی پا بُدِيم آن سَر همه
يک گهر بوديم همچون آفتاب بی گره بوديم و صافی همچو آب
چون به صورت آمد آن نور سره شد عدد چون سايه‌های کُنگره
کنگره ويران کنيد از منجنيق[٣] تا رود فرق از ميان اين فَريق[٤]
چون که بی رنگی اسير رنگ شد موسيئی با موسيئی در جنگ شد
چون به بيرنگی رسی کان داشتی موسی و فرعون دارند آشتی[٥]

---

١. الناي: آلة من آلات الحروب ينفع فيها. (فارسية).

٢. *المثنوي المعنوي*، الدفتر الأوّل، ص ٣٢، الأبيات ٥٩٩ و ٦٠٢. نحن كالناي الصوت فينا منك، نحن كالجبل الصوت فينا منك. نحن أعدام وكذا وجوداتنا، انت الوجود المطلق بمظهر الفاني.

٣. المنجنيق: آلة حربية قديمة تقذف بها القذائف (يونانية).

٤. *المثنوي المعنوي*، الدفتر الأوّل، ص ٣٥، الأبيات: ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٨٧ إلىٰ ٦٩٠. توجد اثنينية في عبادة الصور، فإن الصورة ترجع إلىٰ ذلك الواحد. عندما تنظر إلىٰ صورتك لك عينان، انظر إلىٰ نوره فإن ذلك الاثنين واحد. كنا جميعاً جوهرة منبسطة، كنا بدون الرأس والرِّجل في ذلك الوقت جميعنا. كنا جوهرة واحدة كالشمس، كنا بدون عُقَد أصفياء كالماء. عندما تحوَّل ذلك النور المقدس إلىٰ صورة، كانت جميع الأعداء كالظِلال الشُرَفة. حطموا لا تلك الشرفة (حتّىٰ) المنجنيق، حتّىٰ يزول الفرق عن هذا الفريق.

٥. *المثنوي المعنوي*، الدفتر الأوّل، ص ١١٥، الأبيات رقم ٢٤٦٨ ـ ٢٤٦٩: فحيث أن عدم

متّحد بوديم با شاه وجود حكم غيريّت بكلّى محو بود
ناگهان در جنبش آمد بحر جود جمله را در خود ز خود بيخود نمود
امتياز علمى آمد در ميان بى نشانى را نشانها شد عيان
واجب وممكن ز هم ممتاز شد رسم آيين دويى آغاز شد [١]

ارتفع صوت: «طاب نَفَسُك؛ أحسنت، أحسنت» من الحاج محمّدعلي، فقال الحاج صمد: في الحقيقة إنّ المرشد يتلو جيّداً، ولكن للأسف إننا لا نعرف معاني شعره.

الدَّرويش: نعم؛ إنكم لن تستطيعوا أن تفهموا ذلك بهذه السرعة، إلّا أن تدخلوا في الطَّريقة.

الفيلسوف هزبر: يستحسن أن تقول: ما لم تصبحوا دراويش، لن تستطيعوا تقييم هذه الأشعار العرفانيّة المليئة بالآف الإشكالات الدينيّة. وعندما تصبحون من العرفاء، ستعتبرون هذه الأشعار عِدْلاً [٢] للقرآن وحتّى أفضل منه!!

الدَّرويش: أرجو أن تشرحِ لنا معاني هذه الأشعار لنعرف ماذا فهمت أنت منها.

اللون وقع في أسر اللون، دخل موسى مع موسى في عراك. أما عندما تصل إلى عدم اللون تجد، بأنّ موسى وفرعون كانا متصالحين.

١. *شرح المثنوي المعنوي*، ج ١، ص ٢٠ ـ ٢١: كنا متحدين مع ملك الوجود، كان ممحياً حكم الغيريّه كلياً. فجأة، جرى بحر الجود، فجعل جميع النفوس خارجة من إنيّتها. برز إلى الوجود التفاضل العلمي، وأصبحت عياناً علامات مَن لا علامة له. افترق الواجب عن الممكن، وبدأ مبدأ التثنية.

٢. العِدْل: المِثْل والنظير.

الفيلسوف هزبر: إنّ عقيدتكم ـ أنتم أهل التصوّف ـ عقيدة سيّئة؛ يمتنع عن قبولها عقل أيّ عاقل. إنّ نتيجة كلامكم هو أنّ الخالق والمخلوق واحد، وأنّ جميع المخلوقات هي عين الخالق، وأنّه هو الذي ظهر بمظهر الجزء، وأنّ جميع الأفعال فعله، وأنّ جميع الموجودات شؤونه وأطواره!

وهذه الأشعار أيضا من العارف الرّومي، رئيس سلسلتكم، والذي يقول فيها: أن هذه الكثرة والتّعدد أمر ظاهري، وإذا ما أزيلت هذه الصُّور والمظاهر والألوان والحدود والقيود، سيتبين بأنّ جميع الموجودات هي ذاته، التي ظهرت بصور مختلفة.

إنّ شيخكم الآخر ـ وهو الشّيخ الشبستري ـ يقول الكلام ذاته:

نماند در ميان هيچ تميز   شود معروف وعارف جمله يک چيز[1]

انّ مثل هذه الأقوال كثيرة في كتاب ***گلشن راز***[2]، وحتّىٰ بيتي الشعر المكتوبين علىٰ قُبَّعَتك، يفيدان أنّ عبادة الله لا تختلف عن عبادة الصنم!!!

كما يقول الشّيخ اللاهيجي في شرح ذلك:

... يعني: هل عرف المسلم ـ الذي يقول بالتوحيد وينكر الصَّنَم ـ ما هي حقيقة الصَّنَم؟ وأنّه مَظهَر لمن؟ ومن هو الذي يظهر بصورة الصَّنَم؟ ولو عرف ذلك حينئذ يعلم بأنّ الدّين الحقّ هو في عبادة الصَّنَم؟ إنّ الصنم مَظْهَر للوجود المطلق. إذن، فالصَّنم ـ في الحقيقة ـ هو الحقّ...![3]

---

١. ***گلشن راز***، ص ٣٧ (السؤال عن شرائط معرفة الوحدة...، البيت ١٩): لا يبقى في الأوساط أيّ تمييز، يصبح المعروف والعارف شيئاً واحداً.

٢. اسم الكتاب الفارسي، ويعني: دوحة السِّر.

٣. شرح ***گلشن راز***، ص ٦٤١ و ٦٤٢.

ويقول الشبستري، أيضا:

جان مغز حقيقت است وتن پوست‌ببين   در کسوت روح، صورت دوست ببين
هر چيزکه آن نشان هستی دارد   يا پرتو نور اوست يا اوست ببين[١]

ويقول شاه نعمة الله ولي، أيضا:

در مرتبه‌ای ساجد در مرتبه‌ای مسجود   در مرتبه‌ای عابد در مرتبه‌ای معبود
در مرتبه‌ای عبداست در مرتبه‌ای رب‌است   در مرتبه‌ای حامد در مرتبه‌ای محمود
در مرتبه‌ای آدم در مرتبه‌ای خاتم   در مرتبه‌ای عيسی در مرتبه‌ای داوود
در مرتبه‌ای موسی در مرتبه‌ای فرعون   در مرتبه‌ای مقبول در مرتبه‌ای مردود[٢]

وبناء علىٰ ما يقوله مشايخكم ومرشدوكم، فإنّ جميع الموجودات والأشياء الخارجيّة ـ حتّىٰ الظالمين والكفّار والمشركين ـ إما مظاهرُ للحقّ، أو أنّها هي الحقّ!! ومن البديهي أنّ من يجهل عقيدتكم سيطرب كثيراً لهذه الأشعار وخاصة إذا قُرئت بصوت جميل كصوتك[٣]؛ أمّا نحن فنستاء كثيراً لأننا نعرفكم ونعرف

---

١. *مرآة المحققين*، ص ٨٠ (الباب السابع): انظر أن الرّوح مخّ الحقيقة والجسم جلده، انظر في كساء الرّوح صورة الصديق. كلّ شيءٍ له علامة على الوجود، أنظر فإنّه إما شعاع نوره أو هو النور.

٢. كلّيات ديوان شاه نعمة الله ولى، ص ٢٥٦، رقم ٧٠٢: في مرحلةٍ ما ساجد وفي مرحلةٍ ما مسجود، في مرحلةٍ ما عابد وفي مرحلةٍ ما معبود. في مرحلةٍ ما عبد وفي مرحلةٍ ربّ، في مرحلةٍ ما حامد وفي مرحلةٍ محمود. في مرحلةٍ ما آدم وفي مرحلةٍ ما خاتم، في مرحلةٍ ما عيسى وفي مرحلةٍ ما داوود. في مرحلةٍ موسى وفي مرحلةٍ ما فرعون، في مرحلةٍ ما مقبول وفي مرحلةٍ ما مردود.

٣. في المجتمع الصوفي يتغنّون بالأشعار مع دقّ الطبول، ويعتبر ذلك من عباداتهم.

عقيدتكم بشكل كامل.

استشاط الدرويش غضباً، وقال: يا دكتور حسين خان؛ هل هذا هو الذي قلت عنه بأنّه حكيم وفيلسوف، ويعتقد بأقوال الفلاسفة؟!

الدكتور حسين خان: نعم.

الدرويش: إذن لا يستطيع أن يستشكل عليَّ وأن ينتقد أشعار مشايخنا؛ لأنّ عقائدنا واحدة. إنّني ـ وبهدف توضيح الفكرة ـ أنقل لكم هذه الواقعة.

أحد كبار الطَّريقة هو الشّيخ محمّد حسين الشيرازي، وهو عمّ رحمت علي شاه توفّي عام ١٢٤٩ هجري وهذه الأشعار له؛ ثمّ بدأ بقراءتها بلحن خاصّ:

حاكم احكام قضا وقدر　　مبدع اطباق جنان وسقر[1]

مطلع انوار حدوث وقدم　　مقطع اطوار وجود وعدم

پا چو بر او رنگ تقدّس زده　　خيمه بر آفاق وبر انفس زده

كرده پديد از عدم اشباح را　　داده به اشباح ره ارواح را

روح مجرّد متجسّد شده　　واحد بى چون متعدّد شده[2]

الدكتور حسين خان: أيّها الرَّجل الجليل هل تريد أن ترُدَّ على السيد هزبر بهذه الكلمات؟ قل لي: كيف أصبح الواحد الأوحد متعدّداً؟ وكيف يقبل رئيس

---

١. السَقَر: عَلَم لجهنم؛ والكلمة ممنوعة من الصرف. نقول: سقرته الشمس إذا آذت دماغه بحرّها.

٢. *طرائق الحقائق*، ج ٣، ص ٣٦١: حاكم احكام القضاء والقدر، مبدع أطباق الجنان والسقر. مطلعُ أنوار الحدوث والقدم، مقطع أطوار الوجود والعدم. وحيث اختفى عليه لون التقدس، خيّم على الآفاق والأنفس. خلق الاشباح من العدم، منح الاشباح طريق الأرواح. تجسدت الروح المجردة، الواحد الأوحد أصبح متعدّداً.

الطَّريقة هذا (والأحسن أن نقول: إمام الضَّلالة) أن يكون هذا الكفر طريقاً لمعرفة الله ؟!!

الدَّرويش: انّ جواب السيد هزبر لا يكون عن طريق هذه الأشعار. لقد أردتُ أن أذكر نموذجاً من أقوال وكمالات هذا الأستاذ؛ ليس غير. إنه يكتب في كتابه الطرائق:

> انّ الحاج محمّد حسين هذا كان امام جماعة في المسجد الجامع في شيراز مكان والده الحاج محمّد حسين، وكان يرتقي المنبر، أيضا، وكان يعلّم الناس نهج الطَّريقة، وكان يُجري علىٰ لسانه بعض أقوال العرفاء والمتصوّفة.
>
> وقد عُرف بين الناس بأنّه يروّج أفكارَ التصوف الأُلحاديّة.
>
> وقد وقع نزاع شديد بين الناس حوله، وكاد أن ينتهي بالإقتتال في ما بينهم. تدخّل حاكم شيراز في الأمر. وبهدف رفع غائلة[1] الأُختلاف، تقرّر اختيار بعض الأشخاص ليحكموا بالعدل بين الناس وبين الحاج محمّد حسين ومريديه. وقد تم اختيار كلّ من: الآخوند الملا محمّد تقي الحكيم، والحاج ميرزا إبراهيم لهذه المهمّة.
>
> توجّه الآخوند إلىٰ الحاج محمّد حسين، وقال له: يقول الناس بأنّك تطرح على المنبر مسألة وحدة الوجود[2]، ومن المعلوم بأنّك تعتقد ذلك اعتقاداً كاملاً؛ أليس كذلك ؟!

---

١. الغائلة: الشرّ. الحقد الباطن.

٢. وحدة الوجود: أصل عقيدة الصوفيين؛ ويعني بأنّه ليس هناك موجود غير الله، وليس غيره في الوجود. ﴿وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (المترجم).

قال الحاج محمّد حسين: ما هو ضرر مسألة وحدة الوجود؟

الآخوند: من البديهي أنّه كفر.

الحاج محمّد حسين: هل هذا هو اعتراضكم المبدئي؟

الآخوند الحكيم: نعم.

الحاج محمّد حسين: أنت تقول بأنّني طرحت[١] على المنبر. أولاً: من أين جاءت هذه النسبة إليَّ؟ ثانياً: ربّما نقلتُ كلام الآخرين ليس غير. ثالثاً: بأيّ دليل تقول بأنّ وحدة الوجود كفر؟ رابعاً: من أين القول بأنّ هذا هو إعتقادي؟ خامساً: أنتم تثبتون كلّ يوم في دروسكم بالأدلّة والبراهين هذه المسألة، وتقولون:

«بسيط الحقيقة كلّ الأشياء، والوجود حقيقة واحدة».

إذن، أنت أكثر كفراً منّي. إنقطع الحديث إلىٰ هنا.[٢]

إذن، لا تستطيع ردّ كلامنا وطريقتنا؛ لأنّنا (أنا وإيّاك) نقول بوحدة الوجود والموجود في النّهاية؛ كما سيتّضح في ما بعد.

جلس الفيلسوف هزبر صامتاً وقد قَطَّبَ حاجبيه ولم يقل شيئاً.

الدكتور حسين خان: هناك حكاية أُخرىٰ كهذه؛ وهي قضيّة حول عارف خراسان الشهير، أبوسعيد فضل الله بن أبي الخير، والشّيخ أبي علي حسين بن سينا[٣]، الحكيم الأيراني المعروف.

فقد نقل أنّه قد جرت مناظرة بين هذين الرَّجلَين. وبعد انتهاء مجلس

---

١. يريد: طرحتَ مسألة وحدة الوجود على المنبر.

٢. *طرائق الحقائق*، ج ٣، ص ٣٦١.

٣. يلقّب بـ«شيخ الرئيس».

المناظرة، وخروج ابن سينا من «الخانقاه» سأل روّاد الطَّريقة حال ابن سينا من شيخهم؛ فقال أبوسعيد: ما يعلمه هو نراه نحن. أينما ذهبتُ بعينٍ قَلِقَة ومصباحٍ منير، كان ذلك الأعمى الذي يضرب بعصاه الأرض، يقتفي أثري وكما سألَ طلّاب ابن سينا حال شيخ الطَّريقة من أستاذهم الفيلسوف؛ فقال: ما يراه هو نعلمه نحن.[١]

لقد اطّلعت على كُتب الفريقين (والكلام للدكتور حسين خان)[٢]؛ ولكنني لم أتحدث مع السيد هزبر حول هذا الموضوع حتّى الآن، وآمل أن أستطيع أن أثبت له فساد عقيدته، كي يتخلّي هو عن هذه العقائد الفاسدة. إذا كنتَ مستعدّاً لسماع كلامي بإنصاف، فمن المؤمَّل أن تعدل عن هذه الطَّريقة الضالّة.

ابتسم الدَّرويش مستهزءً وقال: أيّها الدكتور، بعد الوصول إلى الحقّ تريد أن تدعو إلى الحقّ ؟! إنّني مستعدّ أن أثبت لك في هذه الساعة، ومن واقع كلمات كبار الصوفيّة ومشايخ الطَّريقة أن الحقّ هو ما توصلنا نحن إليه.

الدكتور حسين خان: بشرط أن لا تعتبر الردّ على كباركم تَعَدٍّ عليهم وأن تحكم بإنصاف، فإنّني على استعداد لسماع كلامك.

الدَّرويش: على البشر أن يرتقي في هذا العالَم، وإنّ طريق الوصول إلى المقامات العالية هو الطريق الذي نسلكه نحن، لأنّ الوصول إلى الحقّ يتمّ عن طريق الرياضة والسير والسلوك. أنت أيضا يمكنك أن تصل إلى ذلك المقام، كما وصل كبراؤنا إلى مقامات؛ كانوا ينادون فيها بـ: «أنا الحقّ»، وكانوا يقولون: «ليس في جُبّتي سوى الله»!

---

١. راجع: ***ديوان الصنعي***، ص ٤٤؛ ***طرائق الحقائق***، ج ١، ص ١٥٤.

٢. ما بين الأقواس توضيحات من المترجم.

أحد كبار مرشدينا هو: أبو يزيد البسطامي[١]، وتنسب إليه جملة: «ليس في جُبّتي سوى الله».[٢]

ويقول العارف الرومي[٣] في مدحه:

بـا مـريدان آن فـقير مـحتشم	**با يزيد آمد كه تكِ يزدان مـنم**
گفت مستانه عـيان آن ذوفـنون	**لا إله إلّا أنـــاها[٤] فـــاعبدون**
نـيست انـدر جُـبّهام إلّا خـدا	**چند جويى بر زمين و بر سما[٥]**

ونُقل عنه أنّه كان يقول:

سبحاني، سبحاني، ما أعظم شأني![٦]

وكان يقول، أيضا.

لوائي أعظم من لواء محمّدﷺ!

ويقول، أيضا:

١. من أعلام شعراء الصوفيين وأئمتهم، والنسبة إلىٰ «بسطام» من توابع مدينة «شاهرود» الواقعة في شمال إيران. (المترجم)

٢. ***حديقة الشيعة***، ص ٥٦١.

٣. جلال الدين الرومي، شاعر فارسي، وهو شيخ أحد الطرق الصوفيّة المعروف بـ«الطريقة المولويّة».

٤. ها: اسم صوت يُدعى به ـ غالباً ـ للتشجيع والتشويق.

٥. ***المثنوي المعنوي***، الدفتر الرابع، ص ٦٧٢، الأبيات: ٢١٠٢ و ٢١٠٣ و ٢١٢٥: مع مريدي ذلك الفقير المحتشم، جاء بايزيد قائلاً أنا الله وحدي. قال صاحب ذلك الفنّ وهو ثَمِل علناً، لا إله إلا أنا، ها، فاعبدون! لا يوجد في جبّتي إلّا الله، كلّما فتّشت على الأرض والسماء.

٦. ***حديقة الشيعة***، ص ٥٦١؛ راجع: ***سفينة البحار***، ج ٥، ص ٢٠٨ (لغة: صوف).

ما هي نار جهنم؟ والله، إذا رأيتها سأطفئها بطرف لباسي!
وكان يقول، أيضا:
لقد ذهبتُ إلىٰ الحجّ في السَّنة الأولىٰ، رأيت البيت! وفي الحجّة الثانية، رأيت صاحب البيت ولم أر البيت. وفي الحجّة الثالثة، لم أر البيت ولا صاحب البيت![1]

ويقول هو، أيضا:
إذا كان أهل الجنة منعَّمين في الجنّة، وأهل النار معذَّبين في النَّار، وميَّزتَ بين الفرقتين، فقد خرجت من دائرة المتوكلّين وجماعتهم.[2]

الحاج محمّدعلي: في الواقع أنّ رُقيّه وتقدّمه ـ كما يقول هو ـ أعلىٰ من رسول الله ﷺ الذي يُعتبر الشخصية الأولىٰ في العالَم؛ لأنه يقول: لوائي أعلىٰ من لواء رسول الله ﷺ.

نعم؛ أنّ من يستطيع أن يطفئ نار جهنم[3] بطرف لباسه، أفضل من الإمام علي عليه السلام الذي كان يبكي ويئنُّ في منتصف الليل خوفاً من نار جهنم!!! إذا لم يعتبر الرجل الجليل كلامي هذا جسارة في حقّه، أعتقد أنّه قد تفوَّه بهذه الكلمات في حالة نشوة الترياق؛ وإلّا فلا يوجد عاقل واحد يقول بأنّه لا يوجد فرق بين أهل الجنّة المتنعّمين وبين أهل النار المعذّبين؛ بل إنّ من يفرِّق بينهما يخرج من دائرة المتوكّلين. إنّ هذا الكلام يشبه أن يقول الرَّجل الجليل: لا يوجد أيّ فرق بين أولئك الذين يعانون من العطش الشَّديد في الصحراء الحارة القاحلة وبيننا نحن

---

١. **حديقة الشيعة**، ص ٥٦١؛ راجع: **سفينة البحار**، ج ٥، ص ٢٠٨.
٢. **مصباح الهداية**، ص ٣٩٨ (الباب التاسع).
٣. جهنم: دار العقاب الأبدي بعد الموت، ممنوع من الصَّرف (عبرانية).

الجالسين الآن قرب هذا المسبح في بستان الحاج خليل والمتنعّمين بنعمه!!!

تغيّر حال الحاج صمد، وقال: إذن، فإن حضرته قد رأى البيت في حَجّه الأوّل، ورأى صاحب البيت في حجّه الثاني، وفي الحجّة الثالثة لم ير البيت ولم ير صاحب البيت!!! يبدو أنه قد رأى نفسه فقط!!! كم كان معتدّاً بنفسه شامخاً بأنفه... مرحباً بماء مدينة «بسطام» في «شاهرود»... ماذا يفعل، وماذا يُهرَج منه[1]؟!! هنا، تعالت أصوات قهقهة الجمهور.

الدكتور حسين خان: أيّها السّادة؛ أرجو أن تتأملّوا حتّىٰ يُبيّن جناب الدَّرويش لنا رُقيّ كبرائهم حتّىٰ نتعرَّف علىٰ طريق رُقِيّهم، ونقارنه مع رُقيّ الأنبياء وأوصيائهم عليهم السلام. عند ذاك يتبيّن الحقّ من الباطل. ثمّ توجّه الدكتور إلىٰ الدرويش، وقال: هات لنا المزيد.

كلمات جنيد البغدادي في وحدة الوجود

الدَّرويش: نعم؛ لأنّكم لم تصلوا بعد إلىٰ مقامات أولئك النفر، فأنّكم تستغربون هذه الأمور. كبير آخر من كبار مشايخ الطَّريقة، هو «جُنيد البغدادي»، وهو سلطان المتصوّفة، الذي ينقل عنه الشّيخ العطّار[2] هذه الأبيات؛ وشرع في قراءة هذه الأبيات بلحنه الجذّاب:

سالكى مر جنيد را پرسيد   كاى ز سر تا قدم همه اسرار
در تكلم درآ كه مشرك كيست   گفتش اى هرزه گرد گردن سار[3]

---

١. هذه العبارة مدح يراد به الذَّم؛ كما لا يخفىٰ.

٢. شاعر ايراني معروف من مدينة «نيسابور» التي تقع في محافظة خراسان.

٣. سَأَل سالك من الجنيد، يا من مُلئتَ سرّاً من رأسك إلىٰ قدمك. تكلم وقل من هو المشرك،

إلىٰ أنّ يقول جنيد:

هـر كـه از وى نَـزَد انـا الحـقّ سر بـــود او از جـــماعت كـــفّار
هــر كـــه مـنكر شـود بـود مشـرك مــن از او چـــون خـداى او بـيزار
چــون دويـــى از مـــيانه بـرخـيزد تـــو نـــمانى او كــــند اقــرار[١]

إلىٰ أن يقول:

گـفت هـــيهات[٢] اى يگـانهٔ عـصر ســـخن مشـــركانه را بگـــذار
مـــن هـــمى گـــويم و هـمى شـنوم نـــيست در دار غـــير او ديّـــار[٣]،[٤]

ومن كلمات جنيد أيضا:

حقيقة المعرفة هي أن يتّحد العارف مع المعروف.[٥]

وله هذا الكلام، أيضا:

فقال: أيّها الطائش استيقظ!.

١. كلّ من لم يعتقد بأنّه هو الحقّ (أي الله)، يكون من جماعة الكفّار. من ينكر ذلك فهو مشرك، انا بريء منه كما اني بريء من ربّه. إذا ذهبت التثنية مِن البَين، انك لن تبقىٰ وهو الذي يُقرّ بذلك.

٢. هيهات: اسم فعل معناه بَعُدَ؛ وفيها لغات عديدة، منها: أيهات، وهيهات، وهايهان.

٣. الدَّيار: صاحب البيت الذي يسكن فيه.

٤. *طرائق الحقائق*، ج ٢، ص ٣٩٧: قال: هيهات يا وحيد الزمان، دع عنك كلام المشركين. إني أقول هذا وأنا الذي أسمَعُ هذا: ، لا يوُجَد في الدَّار غيره ديّار.

٥. *مصباح الهداية*، ص ٨٢(الباب الثالث في المعارف).

عند جنيد، التوبة هي نسيان الذَّنب.[١]

الحاج محمّدعلي: إستناداً إلىٰ معاني هذه الأشعار، فإنّ الموحّد هو الذي يزيل التثنية، ويعتبر كلّ شيء هو الله، وينسب جميع أفعال وأعمال البشر إلىٰ الله لقد وجدتم طريقة عجيبة وحقيقةً عجيبة. هل أنتم بطّالون حيث تذهبون إلىٰ مثل هذه الثقافة التي لا تنسجم مع العقل السَّليم؟!

من أقوال الحلّاج

قال الدَّرويش (غاضباً): نعم؛ إنّ كلامكم هذا هوَ الذي أردىٰ بحياة شيخ الطَّريقة وكبير الصوفيين، حسين بن منصور الحلّاج الذي كان قد اتّصل بالحقّ وتفانى فيه. لقد أصدر علماؤكم أمر قتله وأراقوا دمه. فما الذي كان قد قاله؟ هل أنّ كلّ من يقول الحقّ يجب أن يُقتل؟!

من أشعار هذا الحلّاج نفسه، يقول فيها:

ثم بَدَا في خلقه ظاهراً … في صورة الآكل والشّارب
حتّىٰ لقد عايَنَه خلقُهُ … كلحظة الحاجب بالحاجب[٢]

الحاج محمّدعلي (معترضاً بلهجة ساخرة): يا هذا؛ انّ لكم شخصيّات غريبة كبيرة؛ إستطاع كلّ واحد منهم أن يُضلّ الآلاف من البشر بهذه الطَّريقة والمسلك، ووضعوا للبشريّة حُرِّية غريبة أطلقت لهم العنان في الذِّهاب إلىٰ أيّ مكان وارتكاب أيّ عملٍ شنيعٍ من دون أن يكون لهم أقلّ حَذَر أو خوف من جزاء

١. ***مصباح الهداية***، ص ٣٧١ (الباب التاسع في بيان المقامات).
٢. ديوان الصنعي، ص ٣٤.

وعقاب الأعمال! لا ينبغي أن يكون المرء إلىٰ هذه الدرجة من الوقاحة وعدم الحياء بحيث أنّه لا يزال يذكر، بالإكبار والإجلال، الشخص الفقير والضعيف والمحناج الذي ادّعى الربوبيّة، ونال جزاءه بالموت شنقاً!

الدكتور حسين خان: أيّها الحاج؛ لا تغضب. أرجو أن أستطيع شرح وبيان عقائد الصوفيّة في هذا المجلس بصورة كاملة بعد كلمات الدِّرويش. إنّ الكلام أكبر من هذا بكثير. إذاكنت تستاء من هذا الكلام بسبب فطرتك السَّليمة التي فطر الله الناس عليها وتفقد صوابك، أخشى أن لا أستطيع مواصلة الحديث؛ فانّه لديّ كلام أكبر من هذا عن حسين بن منصور الحلّاج.

لقد قرأت في كتاب ***الاحتجاج*** للطبرسي بتوقيع الإمام الحجةعليه السلام بأنّه تبرّء من جماعة ولعنهم، وكان من بينهم حسين بن منصور الحلّاج.[1]

وورد في كتاب ***الأنوار النعمانية*** بأنّ حسين بن منصور قال:

«ليس في جُبَّتي سوى الله». وكان يمنع أصدقائه من الذهاب إلىٰ مكّة المكرَّمة ويقول: «طوفوا حولي؛ لأنّ الكعبة بيت الله وإنّني أنا الله.[2]

وورد في كتاب ***سفينة البحار*** في شرح مفردة «حلج» نقلاً عن «ابن نديم» بأنّه وجد في كتابات حسين بن منصور أنّه يقول:

أنا الذي أغرقتُ قوم نوح، وأهلكتُ عاداً وثمودا!.

كما وجدت رسالة بخطّ يده تحمل عنوان:

من طرف الرَّحمان الرحيم إلىٰ فلان....

---

١. ***الاحتجاج***، ج ٢، ص ٤٧٤ (التوقيعات الواردة من الناحية المقدسة).

٢. ***الأنوار النعمانية***، ج ٢، ص ٢٨١.

وقد قيل له: كنتَ تدَّعي النبوَّة، والآن تدَّعي الألوهيّة؟! فقال: لا أدَّعي الألوهيَّة؛ ولكن هذا هو عين الجمع؛ لا يوجد كاتب غير الله واليَدُ آلة.[1]

الحاج محمّدعلي: يا دكتور؟! إذن، فأعمال الزّناة والقَتَلَة والظالمين والخَوَنة لا تعتبر ذنوباً في مذهب وطريقة هذا الدَّرويش ومرشدهم حسين بن منصور الحلاج، وليسوا مقصِّرين، وسوف لن يؤاخذوا ولن يعذبوا، إنّ هذا الكلام يخالف ضرورة الدين!

الدَّرويش: إنّ كبراءنا يعتبرون حسين بن الحلّاج من الواصلين (بالحقّ)، ومن هنا فإنهم يصحِّحون كلامه هذا.

ويعتقد المولوي بأنّ حسين بن منصور الحلّاج كان من الواصلين بتزكية نفسه وتهذيبها وسلوكه طريق الحقّ، وأنّ قوله: «أنا الحقّ» يعتبر رحمة وفوزاً في حين أنَّ شخصاً كفرعون، بما أنّه لم يسلك هذا الطريق، فانّ إظهار: ﴿**أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ**﴾[2] ـ أو كما يقول المولوي «أنا الحقّ» ـ منه قد خَلَّف اللعنة وراءه.

يقول المولوي:

آن أنا بى وقت گفتن لعنت است　　وين أنا در وقت گفتن رحمت است

آن أنا منصور رحمت شد يقين　　آن أنا فرعون لعنت شد ببين[3]

---

١. ***سفينة البحار***، ج ١، ص ٦٩١.

٢. النازعات، الآية ٢٤.

٣. ***المثنوي المعنوي***، الدفتر الثاني، ص ٢٩٦، الأبيات ٢٥٢٢ و ٢٥٢٣: قول ذلك «الأنا» في غير وقته لعنة، وقول هذا «الأنا» في وقته رحمة. ذلك «انا منصور» أصبح رحمة يقيناً، وذاك «أنا فرعون» أصبح لعنة؛ فانظر.

ويقول في مكان آخر:

بـود أَنـا الحَـق در لبِ مـنصور نـور   بـود أَنـا الله در لبِ فـرعون زور [١]

ويقول أيضا:

گفت فرعونی أنا الحق گشت پست   گفت منصوری أنا الحقّ وبـرَست
آن أنـا را لعـنة الله در عَـقِب   ویـن أنـا را رحـمة الله ای مُـحِبّ [٢]

ويقول الشبستری حول ادعاء «أنا الحقّ» من قِبَل الحلاج:

أنا الحقّ كشف اسرار است مطلق   جز از حقّ كيست تا گويد أنا الحقّ؟
هـمه ذرّات عـالم هـمچو مـنصور   تو خواهی مست گير وخواه مخمور
در ايـن تسـبيح و تـهليل‌انـد دائـم   بـدين مـعنا هـمی بـاشند قـائم
درآ در وادی ايـمن كـه نـاگـاه   درخـتی گـويدت إنّـی أنـا الله
روا بـاشد أنـا الحـقّ از درخـتی   چـرا نـبود روا از نـيک بـختی [٣]

---

١. *المثنوي المعنوي*، الدفتر الثاني، ص ٢٠٢، البيت ٣٠٥: كان «أنا الحقّ» في لسان منصور نوراً، وكان «أنا الله» في لسان فرعون، زوراً.

٢. *المثنوي المعنوي*، الدفتر الخامس، ص ٨٥٣، الأبيات ٢٠٣٥ و ٢٠٣٦: قال فرعونٌ أنا الحق، فأصبح حقيراً. وقال منصورٌ أنا الحق فأصبح عالياً، ذلك الأنا خلف وراءه لعنة الله. وهذا الأنا رحمة الله؛ يا محبّ.

٣. *گلشن راز*، ص ٤٠: «أنا الحقّ» كشف مطلق للأسرار، مَن غير الحق يقول أنا الحقّ؟. جميع ذرّات العالم مثل منصور، خذ كلامي هذا سواء كنت سكراناً أو مخموراً. انها في هذا التسبيح والتهليل دائماً، وهي قائمة على هذا المعنى دائما. ادخل في الوادي الايمن ففجأةً، تقول لك شجرة: إنّي انا الله. يمكن أن يصدر «أنا الحقّ» من شجرة، فلماذا لا يمكن أن يصدر من سعيد الحظ.

كان الكلام جارياً علىٰ لسان الدَّرويش إذ نادىٰ الحاج خليل فُجأة: إلتزموا الصــــــمَّت

ولا تجروا علىٰ ألسنتكم كلام العار. أنّني لا أرضَىٰ أن يجري مثل هذا الكلام علىٰ أرضي وعلىٰ فرشي حتّىٰ إذا كان علىٰ سبيل المثال!

انّكم تعلمون بأنّ كلّ عاقل وشريف يشعر بالحزن والعار من هذا الكـلام. فكيف إذا كان يعتقد بها؟!!

الدكتور حسين خان: أيّها الكرام؛ انّكم جميعاً تعرفون ردّ هذه الكلمات، بل ان أيَّ عاقل أو منصف يخالف هذه العقائد، ولكن أتمنّىٰ أن تصبروا حتّىٰ يَجُولَ الدرويش بفرسه وأن يحدّثنا ما يعرفه عن رؤساء ومشايخ الطَّريقة والتـصوّف حتّىٰ يأتي دورنا في الردّ. فأنّى آمل، بعون الله تعالىٰ، أن تزول جميع هذه الأقوال (العقائد) بأجوبة بسيطة وواضحة.

من أقوال الخواجة عبدالله المغربي

الدرويش: يقول الخواجة عبدالله المغربي، كبير سالكي الطَّريقة في رسـالة «*نور الوحدة*»،في شرح وحدتنا نحن أهل الوحدة:

أيّها السيد؛ كلّ فرقة في نزاع وجدال مع فرقة أُخرىٰ إلّا أهل الوحـدة الذين هم متحّدون مع بعضهم.

إلىٰ أن يقول:

أيها السيّد؛ الموجود واحد ويظهر بصورة وهميّة ومتعدّدة.

إلىٰ أن يقول:

أيّها السيد؛ العابد هو والمعبود هو؛ عابد في مرحلة التقييد، ومعبود في مرحلة الإطلاق، والتمييز في المراتب من الأمور العقليّة، ولا توجد سوى حقيقة واحدة وهي الوجود المحض.

إلىٰ أن يقول:

أيّها السيّد؛ كلُّ ما يمكن إدراكه فانه هو، وكلّ ما لا يمكن إدراكه فإنّه هو. كلّ ما يطلق عليه الوجود، ظهوره. وكلّ ما يطلق عليه العدم، باطنه. هو الأوّل، هو الآخر، هو الباطن. هو المُطلَق، هو المقيَّد، هو الكلّي هو الجُزئي هو المنزَّه، هو المشبَّه.[1]

الحاج محمّدعلي الذي نفد صبره وقد تأثّر من هذه الكلمات كثيراً، توجّه نحو الدَّرويش وقال له بصوت خشن (متهكماً):

لا تخف؛ قل هو موسىعليه السلام، هو فرعون، هو الفاعل، هو المفعول، هو إبراهيمعليه السلام، هو نمرود، هو عمر، هو أبوبكر، هو عثمان، هو عليّعليه السلام، هو محمَّدصلى الله عليه وآله، هو الزّهراءعليها السلام، هو الشيطان، هو المشرك، هو الكافر!!

يا عمِّ؛ إذا هممتَ بهذا الكلمات في أُذُن الحمار، سيهيج!!! هل تعلم ماذا تقول؟! إنك بهذا الأسلوب وهذه الطَّريقة لا تُميّز بين الشمر والإمام الحسينعليه السلام، وبين يزيد والإمام السجادعليه السلام، وبين معاوية وعليعليه السلام، أُفٍّ[2] لهذا التوحيد وأهله!! ﴿**سُبْحَانَهُ وَتَعَالى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً**﴾.[3]

---

١. *رسالهٔ نور وحدت*، ص ٨٧ ـ ٩٠.

٢. أف: اسم فعل المعنى: اتضجر أو اتكرَّه.

٣. الأسراء، الآية ٤٣. والمراد ما كان يقوله المشركون بأنّ الله قد اتخذ من الملائكة إناثاً؛ أي

من كلام المُلّا عبدالرحمٰن الجامي

غضب الدَّرويش غضباً شديداً وقال: شخصيّة أُخرىٰ من كبار شخصيّاتنا هو المُلّا عبدالرّحمن الجامي الذي يقول:

هم مقيّد خوداست و هم مطلق

گه ز باطل نموده گه از حقّ

اوست مغز جهان جهان همه اوست

خود چه مغز وچه پوست چون همه اوست[1]

العطّار النَّيسابوري وما قيل فيه

كما أنّ أحد كبرائنا هو فريد الدّين محمّد بن أبي بكر المعروف بـ«العطّار». عندما سمع سلطان زمانه كلماتَه، أرسل أحد الجلّادين ليقطع رأسه، فقال الشّيخ للجلّاد:

أنت ربّي؛ في أيّ صورة شئتَ، إظهر.

فذبحه الجلّاد.[2]

أنّهم بناته (التوضيح من المترجم).

١. ***رياض العارفين***، ص ٦٩: هو المقيَّد وهو المطلق، ظهر حيناً من الباطل وحيناً من الحق. هو مُخّ العالَم والعالَم كلّه هو، وهو، سواء المخّ أو الجلد، فكلّ هو.

٢. راجع: ***الأنوار النعمانيّة***، ج ٢، ص ٢٨٣؛ ***روضات الجنات***، ج ٨، ص ٦٨٦؛ ***حديقة الشيعة***: ٥٨١.

وهذا العطّار نفسه يمدح الحلّاج كثيراً في كتابه «*جوهر الذات*»، ويذكر اشعاراً كثيرة في وحدة الوجود.[١]

قال الدكتور حسين خان بصوت عال: أيّها المحترم؛ لماذا غضبت؟ كلّما غضبت أكثر، ستقول كلاماً أكثر في غير صالحك.

الحاج محمّدعلي: إرفعوا أيديكم عن هذه الأوهام والمغريات؛ عليهم أن يذكروا هذا الكلام في «الخانقاه» لا عندنا نحن المسلمين.

الدكتور حسين خان: يا حاج محمّدعلي؛ كان قرارنا أن نصبر حتّىٰ ينقل الدَّرويش لنا أفكار كبار الطَّريقة، ثمّ نردّ عليه، ان شاء الله. وعليه، فلا تستاء واسمح له أن يكمل كلامه.

محيي الدِّين ابن العربي وأقواله في وحدة الوجود

الدرويش: أحدُ كبار سلسلة مشايخنا هو محيى الدّين بن عربي الذي يقول:

إعلم بأنّ تنزيه الحقّ عند أهل الحقيقة هو عين التحديد والتقييد. إذن، فالمنزِّه إمّا جاهل أو عديم الأدب.

الحقّ محدود بكلّ حَدّ، لأنّ كلّ ما هو محدود مظِهر من مظاهره؛ الأشياء الظّاهرة من اسمه الظّاهر، والأشياء الباطنة من اسمه الباطن، والمُظهِر عين الظّاهر باعتبار الأحديّة.

إلىٰ أن يقول:

---

١. *جوهر الذات*، ص ٤٥ ـ ٤٧.

من يجمع بين التنّزيه والتّشبيه في المعرفة، ويصفه بهذين الوصفين، يكون قد عرفه.[١]

ثمّ بدء الدرويش بقراءة شعر محيى الدين بلحنه الخاص:

فَـإن قُـلتَ بـالتَّنْزيه كـنتَ مـقيَّداً — وإن قُـلتَ بـالتَشْبيه كُـنْتَ مُـحَدِّداً

وإنْ قُـلْتَ بـالأمْرينِ كُـنْتَ مُسَـدِّداً — وَكُنْتَ إماماً فـي المَـعارِفِ سَـيِّداً[٢]

ويقول أيضا:

إنَّ العارِف من يَرى الحقَّ في كلِّ شيء بل يراه عينَ كلِّ شيء.[٣]

ويقول في مكان آخر:

فسبحانَ من أظهر الأشياء وهو عينها.[٤]

ويقول أيضا:

[العابد للصنم عابد لله]. فكان عدم قوّة إرداء هارون بالفعل أن ينفذ في أصحابه بالتسليط على العجل كما سلّط موسىٰ عليه حكمةً من الله تعالىٰ ظاهرةً في الوجود لِيُعبَد في كلّ صورة، وإن ذهبتِ تلك الصورة بعد ذلك، فما ذهبت إلّا بعد ما تلبست عند عابدها بالألوهية.[٥]

---

١. ***فصوص الحكم***، ص ٦٨ و ٦٩، فصّ (٣) نوحيّه؛ راجع: ***ممد الهمم***، ص ١١٠ ـ ١١١.

٢. ***فصوص الحكم***، ص ٧٠، فص (٣) نوحيّه.

٣. ***فصوص الحكم***، ص ١٩٢، فص (٢٤) هارونيّه.

٤. ***الفتوحات المكيّة***، ج ٢، ص ٤٥٩؛ روضات الجنات، ج ٨، ص ٥٥؛ ***عين الحياة***، ص ٥١.

٥. ***فصوص الحكم***، ج ١، ص ١٩٤، فص (٢٤) هارونيّة.

ويقول أيضا:

انّه عين الأشياء والأشياء محدودة وإن اختلفت حدودها؛ فهو محدود بحدّ كلّ محدود. فما يحدّ شيء إلّا وهو حدّ الحقّ، فهو السَّاري في مسمّى المخلوقات والمبدعات.... [١]

الحاج صمد الذي كان ينصت إلىٰ كلام الدرويش ويُحدق النظر فيه، جَثىٰ علىٰ ركبتيه وقال: أيّها المحترم؛ إنّ كلامك هذا يشبه بعضُه بعضاً وليس فيه أيَّ جديد، والإختلاف فيها في الألفاظ فقط. بهذه الكلمات، إتضح مسلككم جيداً ولا حاجة إلىٰ الرِّياضة والخانقاه وتدخين الحشيشة وتعاطى المخدِّرات و.... إذهب وضع شُبّاك الصَّيد هذا علىٰ دجاجة أُخرىٰ [٢] لأنّنا لن نخدع بهذه الكلمات إنّ من رآى مدرسة الإمام الصادق عليه السلام وتنوّر قلبه بأحاديث الأئمّة الأطهار عليهم السلام، لا ينحرف بهذه الأباطيل والأراجيف [٣]. لا أدري علىٰ أيّ أحمق فتحنا أعيننا هذا اليوم؛ فابتلينا بهذه الكيفيّة!! [٤]

تعالت أصوات ضحك الحضور.

---

١. ***فصوص الحكم***، ج ١، ص ١١١، فص (١٠) هوديّة.

٢. مَثَل يضرب لمن يحاول أن يخدع من لا يمكن خداعه (برو اين دام بر مرغ دگر نِه).

٣. الأراجيف: الأخبار المختلفة الكاذبة السيئة. يقولون: «إذا وقفت المخاويف كثرت الأراجيف» أي: عند الخوف تكثر الأخبار الكاذبة. (المترجم)

٤. ورد في كتاب ***الأنوار النعمانيّة***، ج ٢، ص ٢٨٦، أنّه حكى عن محيي الدين العربي في فتوحاته قوله: «أنّه عرج إلىٰ السماء مرات عديدة وذكر أنّها كانت تسع مرات وقال فيه عندما كان يصل إلىٰ العرش كان يرىٰ أبابكر الصديق وأنّه كان يرىٰ أحد الأنبياء في كلّ سماء لذا فإنّ درجته ودرجة أبي بكر أعلىٰ وأشرف من أنبياء أولي العزم.

الدكتور حسين خان: يا حاج خليل؛ أُطلب لنا الشاي.

جاؤوا بصينيّة الشاي، ووضعوا أرجيلة جميلة أمام الحاج محمّدعلي.

الحاج صمد والفيلسوف هزبر انشغلوا بالتدخين. الدَّرويش، أيضا، انشغل بالتدخين من غليونه، وقال اسمحوا لي أن أقرأ عليكم أشعاراً من المرشد الكبير الملا الرَّومي.

أشعار من الملا الرُّومي

بدأ الدرويش بقراءة الأشعار بصوت جذاب:

اى عاشقان اى عاشقان من عاشق رسواستم

عشقم چو سر بر می‌زند من واله شیداستم

هم عاشق و شیداستم هم واله یکتاستم

اینجاستم آنجاستم نه زیر و نه بالاستم

در عرش و در کرسی منم والاصل لا یخطی منم

با حاملان عرش گو من پیش از این برخاستم

عالم منوّر شد ز من، آدم مصوّر شد ز من

هم عالمم هم فاضلم هم قاضی القضاستم

قاضی به من نازد همی فتوا ز من سازد همی

فتوا به ناحق می‌دهد نه زین و نه زینهاستم

برخاستم برپاستم پیداستم برجاستم

پنهان نِیَم پنهان نِیَم من میر مولاناستم

هم پیر و هم برنا منم هم شیخ و هم رعنا منم
هم زشت و هم زیبا منم هم شیر و هم خرماستم
هم با صلاة دائمم هم بی صلاة قائمم
هم صبح را بشناختم هم شام را آشناستم
دنیا منم عُقبا منم طوطی منم قُمری منم
اِنسی منم جنّی منم من حوت این دریاستم
هم کوه و هم صحرا منم هم گوهر دریا منم
در شعله‌های عشق بین کاندر زبان گویاستم
دریای بی پایان منم با نوح کشتیبان منم
یوسف منم عیسی منم هم موسی وشعیاستم
ایّوب را درمان منم یعقوب را هم جان منم
هم حکمت لقمان منم هم یونس ویحیاستم
هم احمد و حیدر منم هم بادهٔ احمر منم
هم صاحب کشور منم زان بادهٔ تقواستم
آن دم منم این دم منم هم ریش و هم مرهم منم
هم درد هم درمان منم با درد او افراستم
فرمانبر و فرماندهم هم جانستان هم جان دهم
جان از من و من هم ز جان از حضرت اعلاستم [1]

---

١. *شمس الحقائق*، ص ٤٢. أيها العشاق أيّها العشاق أنا العاشق المفضوح، عندما يظهر عشقي، فأنا الواله. إنّني عاشق وواله وكذلك أحد وواحد، إنّني هنا إنّني هناك، لا تحت ولا

⇦

ويقول أيضا:

هــر لحــظه بـه شكـلى بت عـيّار بـرآمـد دل بـرد و نـهان شـد

هــر دم بــه لبـاس دگـر آن يـار بـرآمـد گـه پـير و جـوان شـد

گــاهى بــه تک طــينت صــلصال فــرو رفت غَــوّاص معانى

گــاهى ز تک کَــه گِــل فــخّار بـرآمـد زان پس بـه جـهان شـد

گه نوح شد و کرد جهان را به دعا غـرق، خـود رفت بـه کشـتى

گــه گشت خــليل و بــه دل نـار بـرآمـد، آتش گُـل از آن شـد

يــوسف شــد و از مــصر فــرستاد قــميصى روشــنگر عــالم

از ديــدۀ يــعقوب چــو انــوار بــرَآمــد تــا ديـده عـيان شـد

فوق. في العرش والكرسي أنا والأصل الذي لا يحظى أنا، قل لحملة العرش بأنني نهضتُ قبل هذا. العالم تنوّر مني وآدم صُوِّر مني، أنا العالم أنا الفاضل أنا قاضي القضاة. القاضي يفتخر بي ويصدر الفتوى مني، يصدر فتوى بغير حق لست من هذا ولا من هؤلاء. قمت ونهضتُ وظهرت وصمدت، لست مخفياً لست مخفيّاً أنا أمير المولى. أنـا العـجوز وأنـا الشاب وأنا الشّيخ واليافع، أنا القبيح وأنا الجميل وأنا الحليب وأنا التَّمر. أنا دائم بـالصلاة وقائم بدون الصّلاة، عرفت الصّباح والمساء، أيضاً. أنا الدّنيا أنا العقبى أنا البغبغاء أنا القُمري (القُمري: ضرب من الحمام حسن الصوت، الأنثى «قُـمريّة»)، أنـا الأُنس وأنـا الجـنّ وأنـا الحوت في هذا البحر. أنا الجبل أنا الصحراء وأنا لؤلؤ البحر، انظر إلىٰ لهـيب العشـق فأنـا المتكلم باللّسان. أنا البحر اللامتناهي وأنا ربّان السّفينة مع نوح، أنا يوسف، أنا عيسى، أنا موسى، أنا شعيا. أنا علاج أيوب وأنا روح يعقوب، أنا حكمة لقمان وأنا يونس وأنا يحيى. أنا أحمد وأنا حيدر وأنا النبيذ الأحمر، أنا صاحب البلاد من نبيذ تلك التقوى. أنا في ذلك الوقت وأنا في هذا الوقت وأنا الجُرح وأنّا المَرهَم، أنا الداء وأنا الدواء وأنا الظّاهر مع الداء. أنا الآمر وأنا المأمور وأنا أمنح الروح وأقبضها، الروح مني وأنا من الروح من الحضرة الأعلىٰ.

حقّا که هم او بود که اندر ید بیضا می‌کرد شبانی
درچوب شد و بر صفت مار برآمد زان فخر کیان شد
می‌گشت دمی چند بر این روی زمین را از بحر تفرّج
عیسی شد و برگنبد دوّار برآمد تسبیح کنان شد
بالجمله همو بود که می‌آمد و می‌رفت هر قرن که دیدی
تا عاقبت آن شکل عرب وار برآمد دارای جهان شد
منسوخ چه باشد به تناسخ که حقیقت آن دلبر زیبا
شمشیر شد و در کف کرّار برآمد قتّال زمان شد
نی نی که هم او بود که می‌گفت «أنا الحق» در صورت بَلْها
منصور نبود آن که بر آن دار برآمد، نادان به گمان شد
رومی سخن کفر نگفته است و نگوید منکر مشویدش
کافر بود آن کس که به انکار برآمد از دوزخیان شد [1]

---

١. ***شمس الحقائق***، ص ١٩٩، ينقل الفقيه الكامل الميرزا القميﷺ في ***جامع الشتات***، ج ٢، ص ٧٦، هذه الأشعار من الملا الرومي، ويستدل بها على كفره. في كل لحظة ظهر الصنم بصورة مختلفة أخذ معه القلب واختفى، وفي كل آن يبرز بصورة الشّيخ أو الشاب من الصورة مَرَّة بصورة شيخ ومرّة بصورة شاب. احياناً اختفى غوّاص المعاني في صلصال من الفخار، أحياناً يخرج من داخل الفخّار ثم يأتي إلى العالم. أحياناً أصبح نوحاً وأغرق العالَم بدعائه وركب هو في السفينة، وأحياناً أصبح خليلاً في قلب النار فاصبحت له النار وردة (إشارة إلى قوله تعالى ﴿**يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ**﴾ (المترجم)). أصبح يوسف وأرسل من مصر قميصاً ينيرُ العالَم، عندما أرتدّ يعقوب بصيراً، ظهر المخفي. حقاً كان هو الذي يضمم يده إلى جيبه تخرج بيضاء، وكان راعٍ للغنم، دخل في العصا وخرج على حقيقة الأفعى و ظهر

☜

ويقول أيضا:

آنان كه طلبكار خدايید ، خدايید
حاجت به طلب نيست شمايید شمايید
چيزى كه نكرديد گم از بهر چه جوييد
كس غير شما نيست كجايید ، كجايید ؟
در خانه نشينيد و نگرديد به هر روز
زيرا كه شما خانه و هم خانه خدايید
ذاتيد و صفاتيد گهى عرش وگهى فرش
در عين بقاييد ومبرّا ز فناييد
حرفيد و حروفيد و كلاميد و كتابيد
جبريل امينيد و رسولان شمايید [1]

منه الفخر. كان يتجول أحياناً علىٰ هذه الأرض بهدف التفرّج، أصبح عيسى وخرج علىٰ القُبَّة الدّوارة مُسَبِّحاً. وبالجملة هو الذي كان يغدو ويروح كما رأيته في كل قرن، حتّىٰ خرج بصورة العربي وملك الدنيا. لا يضر المنسوخ في التناسخ حيث أنّه في الحقيقة ذلك الحبيب الجميل، أصبح سيفا في يد الكرّار، وصار قتّال الزّمان. كلا هو الذي كان يقول «أنا الحقّ» في صورة بَلَى (إشارة إلى قوله تعالى ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾، لم يُعدَم منصور (الحلّاج) والذي اعتقد ذلك فهو جاهل. لم يقل الرّومي كفراً ولن يقول، لا تنكروه، الكافر هو الذي أنكر ما قاله ـ الرومي ـ فأصبح من أصحاب السَّعير.

١. ***شمس الحقائق***، ص ١٨٨. أنتم الذي تطلبون الله، أنتم الله، ليست الحاجة في الطلب، فأنتم أنتم. إذا لم تفقدوا شيئاً فَلِمَ تبحثون عنه، لا يوجد أحدٌ غيركم، أينكم، أينكم. لا تجلسوا في

قال الحاج محمّدعلي بقلب حزين وصوت خشن: يكفينا!! لقد سمعنا خرافات الملّا، يجب عليك أن لا تتفوّه بمثل هذه الأشعار بعد هذا.

الدكتور حسين خان: أرجو أن تصبر حتّىٰ يقرأ علينا كلمات وأشعار «شاه نعمة الله ولي» حتّىٰ نتعرف عليه، ونعرف أباطيل الصوفيين بشكل جيّد. وبهذه الطّريقة يصبح الحقّ أوضح عندنا، وكما قال أميرالمؤمنين عليه السلام:

وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ، حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ وَلَمْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ الْكِتَابِ، حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ وَلَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ....[١]

أشعار من الشّاه نعمة الله ولي

الدرويش: بعد إذن الأخوة؛ أنقل عدّة عبارات من شاه نعمة الله ولي.

الدكتور حسين خان: تفضّل؛ لنرىٰ ماذا يقول حضرته؟!

الدرويش: انّه يقول:

إنَّ الموحِّد يرىٰ الحقّ تعالىٰ فيْ مرايا الأعيان الممكنة، ويرىٰ الأعيان علىٰ حالة كأنّها لم تكن، وهذا هو منتهى الغيبة المِحمودة وبداية الفناء،

☜ البيت ولا تجولوا كلّ يوم، لأنكم أنتم والبيت نفسُ الله. أنتم الذات وأنتم الصفات وأنتم أحياناً العرش وأنتم الفرش، أنتم في عين البقاء ومبرَّؤن من الفناء. أنتم الحرف وأنتم الحروف وأنتم الكلام وأنتم الكتاب، أنتم الأمين جبرائيل وأنتم الرُّسُل.

١. ***الكافي***، ج ٨، ص ٣٩٠، ح ٥٨٦. وقد ورد حديث بهذا المضمون عن الإمام المجتبى عليه السلام في ***تحف العقول***، ص ٢٢٧.

والفناء نهاية السَّير إلىٰ الله وبقاء بداية السَّير في الله.

ابـــتدا دارد و نـــهايت نـــى   غايتش چون بود چو غايت نى
موجود يكى بيند و باقى معدوم   كرديم اشارتى وبـاقى مـعلوم[1]

ويقول أيضا:

لا إسم له ولا نعت له ولا صفة له إلّا بحسب المظاهر.

يك وجود است ومظاهر بى شـمار   آن يكــى را در مـظاهر مـى‌شمار[2]

إلىٰ أن يقول:

ثــم بـدا فـي خـلقه ظـاهراً   في صورة الآكِل والشَّـارب[3]

أيضا من أشعار شاه نعمة الله ولي يقول فيها:

در مــرتبه‌اى جســم است، درمــرتبه‌اى روح‌است
در مـــــرتبه‌اى جــان است، در مــرتبه‌اى جــانان
در مـــــرتبه‌اى جـــام است، در مــرتبه‌اى بــاده
در مـــــرتبه‌اى ســـاقى، در مـــــرتبه‌اى زنـــدان
در مـــــرتبه‌اى شـــاه است، در مــرتبه‌اى درويش
در مـــــرتبه‌اى بـــنده، در مـــــرتبه‌اى ســـلطان

---

١. *طرائق الحقائق*، ج ٣، ص ٢٨، (رسالة مكاشفات شاه نعمة الله ولي): له ابـتداء وليس له نهاية، غايته تكون مثل غاية المزمار. يرىٰ الموجود واحداً والباقي عدم، أشـرنا إلىٰ ذلك والباقي معلوم.

٢. الوجود واحد والمظاهر لا تُعَدّ، لا تَعدّ ذلك الواحد في المظاهر.

٣. *طرائق الحقايق*، ج ٣، ص ٣١ ـ ٣٢(رسالة مراتب شاه نعمة الله ولي).

در مرتبه‌ای فرعون، در مرتبه‌ای موسی
در مرتبه‌ای کفر است، در مرتبه‌ای ایمان
در مرتبه‌ای مخمور، در مرتبه‌ای سرمست
در مرتبه‌ای غمگین، در مرتبه‌ای شادان
در مرتبه‌ای تورات، در مرتبه‌ای انجیل
در مرتبه‌ای صحف است، در مرتبه‌ای قرآن
در مرتبه‌ای یعقوب، در مرتبه‌ای یوسف
در مرتبه‌ای مصر است، در مرتبه‌ای کنعان
در مرتبه‌ای آب است، در مرتبه‌ای کوزه
در مرتبه‌ای قطره، در مرتبه‌ای عمّان
در مرتبه‌ای عقل است، در مرتبه‌ای نفس است
در مرتبه‌ای حیوان، در مرتبه‌ای انسان
در مرتبه‌ای دوزخ، در مرتبه‌ای جنّت
در مرتبه‌ای زندان، در مرتبه‌ای بُستان
در مرتبه‌ای طه، در مرتبه‌ای یس
در مرتبه‌ای حم، در مرتبه‌ای سبحان
در مرتبه‌ای دریا، در مرتبه‌ای چشمه
در مرتبه‌ای جوی است، در مرتبه‌ای باران
این مرتبه‌ها از ذوق، ما با تو بیان کردیم
گر ذوق همی خواهی، این گفتهٔ ما برخوان

هــم جسـمی و هـم جـانی ، هـم اینی و هـم آنـی

هـم سـیّد وهـم بـنده ، بـا خـلق نكـو مـیدان[1]

الحاج صمد: أعتقد بأنّ شاه نعمة الله ولي لم يكن علىٰ ما يرام، لأنّ الذي لم يفقد شعوره، ولم تختلّ مشاعره لا يتفوّه بمثل هذا الهراء. إنّني أقول الشعر أفضل منه. ثمّ بدأ الحاج يقرأ الشعر في لهجة متهكمة:

در مرتبه‌ای پا است ، در مـرتبه‌ای مـوزه هم كوزه بدان او را ، هم شيره و خربوزه[2]

تعالت أصوات ضحك الحضور.

الحاج صمد: لماذا تضحكون؟! ألم تكن أشعار شاه [نعمة الله ولي] من هذا

---

١. ***طرائق الحقائق***، ج ١، ص ٤٥٦؛ ***جامع الشتات***، ج ٢، ص ٧٧٤: في مرحلة جسم وفي مرحلة روح، في مرحلة روح وفي مرحلة أرواح. في مرحلة كأس وفي مرحلة نبيذ، (النبيذ: الخمر المعتصر من العنب أو التمر). في مرحلة ساق وفي مرحلة ماكر. في مرحلة مَلك وفي مرحلة درويش، في مرحلة عبد وفي مرحلة سلطان. في مرحلة فرعون وفي مرحلة موسى ،في مرحلة كفر وفي مرحلة إيمان. في مرحلة مخمور وفي مرحلة ثمل، في مرحلة مغموم وفي مرحلة فرح. في مرحلة توراة وفي مرحلة إنجيل، في مرحلة صحف (الصحف: الكتب السماوية المنزلة قبل القرآن الكريم) وفي مرحلة قرآن. في مرحلة يعقوب وفي مرحلة يوسف، في مرحلة مصر وفي مرحلة كنعان. في مرحلة ماء وفي مرحلة جرّة، في مرحلة قطرة وفي مرحلة عمّان. (ربّما يقصد: بحر عمّان). وفي مرحلة نفس، في مرحلة حيوان وفي مرحلة انسان. في مرحلة جهنم وفي مرحلة جنّة. في مرحلة سجن وفي مرحلة بستان. في مرحلة طه وفي مرحلة ياسين، في مرحلة حم وفي مرحلة سبحان. في مرحلة بحر وفي مرحلة بئر، في مرحلة جدول وفي مرحلة مطراً. تحدثنا معك حول هذه المراحل ذوقاً، إذا أردت هذا الذوق اقرأ كلامنا هذا. أنت الجسم أنت الروح أنت هذا وهو ذاك، هو سيد وهو عبد فعامل الخلق بإحسان.

٢. في مرحلة رِجل وفي مرحلة متحف، إعتبره جَرّة ماء ودبساً وبطيخا!!

القبيل. أرجو أن تستمعوا دقائق معدودة حتّى أقرأ أنا أبياتاً من الشِّعر لإثبات النتائج الفاسدة لها ليتَّضح بأنّ كلّ تلك الأفكار تخالف القرآن الكريم وضروريّات الدِّين:

در مرتبه‌ای رازق، در مرتبه‌ای مرزوق
در مرتبه‌ای مدیون، در مرتبه‌ای دیّان
در مرتبه‌ای حامل، در مرتبه‌ای محمول
در مرتبه‌ای دزد است، در مرتبه‌ای هم خان
در مرتبه‌ای دافع، در مرتبه‌ای مدفوع
در مرتبه‌ای محکوم، در مرتبه‌ای منّان
در مرتبه‌ای غافر، در مرتبه‌ای مغفور
در مرتبه‌ای مغلوب، در مرتبه‌ای گلدان
در مرتبه‌ای شاکی، در مرتبه‌ای واطی
در مرتبه‌ای موطوء، در مرتبه‌ای خندان
در مرتبه‌ای سارق، در مرتبه‌ای ممنوع
در مرتبه‌ای مملوک، در مرتبه‌ای امکان
در مرتبه‌ای فانی، در مرتبه‌ای مضطرّ
در مرتبه‌ای مقهور، در مرتبه‌ای پستان
در مرتبه‌ای محسوب، در مرتبه‌ای مرضی
در مرتبه‌ای غمگین، در مرتبه‌ای شیطان
در مرتبه‌ای آدم، در مرتبه‌ای جنّ
در مرتبه‌ای احمق، در مرتبه‌ای حیوان

در مرتبه‌ای طفل، در مرتبه‌ای شیخ

در مرتبه‌ای جاهل، در مرتبه‌ای سودان[١]

إنّ من لوازم عقيدة هؤلاء أنّ جميع صفات وحالات المخلوق تجري على الخالق، بل إنّه هو الذي يظهر في أطوار مختلفة، وجميع الأفعال فعله، خلافاً للقرآن الكريم الذي ينادي من أوّله إلىٰ آخره بالتباين بين الخالق والمخلوق، ويبيّن لنا بأنّ الخالق مُنزَّه عن الإدراك بالحواس الظّاهرة والباطنة.

إنّ كلّ ما يُدرَك بالحواس فهو مخلوق. والمخلوق علىٰ عدّة أقسام:

خبيث وطيّب، مؤمن وكافر، المؤمن حبيب الله؛ ولكنّ الكافر عدوّ الله، وقد غضب الله علىٰ الكفّار والمشركين ولعنهم.

أمّا عند الصوفيّة، فإنّ جميع الموجودات هي تجلّيات وأطوار وجود الحقّ، وجميع أعمال الخلق فعله.

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً﴾.[٢]

في هذه الآية المباركة، ينزّه الله تعالىٰ ذاته عما يقول المشركون، أمّا عند

---

١. في مرحلة رازق وفي مرحلة مرزوق، في مرتبة مديون وفي مرتبة دائن. في مرحلة حامل وفي مرحلة محمول، في مرتبة سارق وفي مرتبة خان (مرّ توضيحه فيما مضىٰ).
في مرحلة دافع وفي مرحلة مدفوع، في مرحلة محكوم وفي مرحلة منّان. في مرحلة غافر وفي مرحلة مغفور، في مرحلة مغلوب وفي مرحلة سندان. في مرحلة شاكٍ وفي مرحلة واطئ، في مرحلة موطوء وفي مرحلة ضاحك. في مرحلة سارق وفي مرحلة ممنوع، في مرحلة مملوك وفي مرحلة امكان. في مرحلة فانٍ وفي مرحلة مضطر، في مرحلة مقهور وفي مرحلة ثدي. في مرحلة محسوب وفي مرحلة مرضىٰ، في مرحلة حَزين وفي مرحلة شيطان. في مرحلة إنس وفي مرحلة جِنّ، في مرحلة أحمق وفي مرحلة حيوان. في مرحلة طفل وفي مرحلة شيخ، في مرحلة جاهل وفي مرحلة متعلّم.

٢. الإسراء، الآية ٤٣.

الصُّوفية، فإنّ هذا الكلام الشريف ليس صحيحاً، لأنّ جميع الأقوال قوله: وهو عين الجميع، ولا يمكن أن يقدّس ذاته وينزّهها من أقوال نفسه؛ في حين أنّ كلّ عاقل يعلم بأنّ كلام المشركين ليس كلام الله وإنّ الله بريء منه، كما أنّ الرّسول الأعظمﷺ والأئمّة الأطهار عليهم السلام بريئون منه، أيضا.

يقول تعالىٰ:

﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾.[1]

وواضح أنّ الرّسول الأعظمﷺ والأئمّة الأطهار عليهم السلام لا يتبرّئون من أفعال الله.

ويقول تعالىٰ أيضا:

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾.[2]

ويقول تعالىٰ أيضا:

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.[3]

في هذه الأثناء، نظر الدكتور حسين خان إلىٰ السّاعة وقال: الوقت يقترب من السّابعة مساءً، ولم يبق شيء للغروب، وإلىٰ أن نعود إلىٰ المدينة سيجنّ علينا الليل، من الأفضل أن نحدّد وقتاً آخر.[4]

الحاج خليل: يا دكتور؛ ربّما تقع موانع غداً، من الأفضل أن يبيت الضيوف الكرام هنا هذه اللّيلة، وفي الصباح الباكر نعود جميعاً إلىٰ المدينة.

الحاج صمد والحاج محمّدعلي: إنّنا موافقون، لكن ماذا يقول الدرويش.

---

١. الشعراء، الآية ٢١٦.

٢. الصافات، الآيتين ١٥٩ ـ ١٦٠.

٣. الصافات، الآية ١٨٠.

٤. يقصد: لمواصلة الحديث. (المترجم)

الدرويش: كما ترون؛ أنا صديق موافق.

تقرّر المبيت، وأبدى الجميع رغبتهم في شرب الشاي والتدخين. جاء الشاي والسيجار والغليون. حمل الدرويش غليونه وانشغل به، بدأ المزاح، وأصبح المجلس دافئاً بالمودَّة والصميميّة.

الدكتور حسين خان: من الأفضل أن نصلّي المغرب والعشاء، ثمّ نواصل الحديث.

الحاج صمد: ربّما يوجد لدىٰ البعض مانع من أداء الصَّلاة!

تعالت أصوات الضحك الدافىء من الجميع.

الحاج صمد: إنّني لم أمزح؛ لأنَّ الدرويش لم يُصَلّ الظهر والعصر، فقلت ربّما لديه مانع!!!

في هذه الأثناء، بدأ الحاج خليل برفع الأذان بصوت جميل، وقام الحضور وتوضّؤوا، ثمّ فرشت سجّادات الصَّلاة، وصلّى الجميع. وبعد الإنتهاء من الصَّلاة وتعقيباتها، رتّبوا المجلس من جديد، وجلس كلّ واحد منهم في مكانه وهم ينتظرون كلام الدكتور.

صدر الدِّين الشِّيرازي ونظريته في وحدة الوجود

الدكتور حسين خان: أرجو من الأخوة الكرام أن لا يفقدوا الإنصاف، وأن يبتعدوا عن العصبيّة والعناد لأنّ هذه الأَحاسيس تقود بالسالك إلىٰ النَّار.

يقول صدر المتألّهين، وهو أحد فلاسفة المسلمين:

كلُّ بسيط الحقيقة من جميع الوجوه فهو بوحدته كلُّ الأشياء.[١]

ثمّ يعتبر بأنّ الشيء البسيط من كلّ الجهات منحصر في الله تعالىٰ.

ويقول في موضع آخر:

إذا ثبت تناهي سلسلة الموجودات من العلل والمعلولات إلىٰ حقيقة واحدة، ظهر أنّ لجميع الموجودات أصلاً واحداً ذاته بذاته، فيّاض للموجودات، وبحقيقته مُحقّق للحقائق، وبسطوع نوره مُنوّر للسّماوات والأرض؛ فهو الحقيقة والباقي شؤونه، وهو الذّات وغيره أسماؤه ونعوته، وهو الأصل وما سواه أطواره وفروعه....[٢]

ويقول أيضا:

ليس في الوجود إلّا ذاته وصفاته وأفعاله التي هي صور أسمائه ومظاهر صفاته.[٣]

ويقول أيضا:

ومما ينبّهك علىٰ أنّ وجوده تعالىٰ وجود كلّ شيء، أنّ وجوده عين حقيقة الوجود وصرفه...؛ فهو الأصل والحقيقة في الموجوديّة، وما سواه شؤونه وحيثيّاته. وهو الذّات، وما عداه أسماؤه وتجلياته. وهو النور، وما عداه أظلاله ولمعاته....[٤]

---

١. ***شواهد الربوبية***، ص ٤٧ (اشراق عاشر).

٢. ***شواهد الربوبية***، ص ٥٠ (اشراق حادي عشر).

٣. ***اسرار الآيات***، ص ٢٤.

٤. ***اسرار الآيات***، ص ٣٧.

ويقول في مكان آخر:

[إنّ الأفعال] كلّها بالحقيقة صادرة عنه تعالىٰ واقعة بتأثيره مع كمال وحدانيّته وفردانيّته، فكلّ ما هو مقدور ومجعول الفاعل، فهو من حيث صدوره عن ذلك الفاعل صادر عن الحقّ تعالىٰ كما أنّ وجود كلّ ممكن من حيث وجوده، شأن من شؤون الحقّ ووجه من وجوهه.... [١]

ويقول في مكان آخر:

لا شك أنّ الآخرة إنّما تحصل بارتفاع الحُجُب، وظهور الحقائق، وزوال التعيّنات، وتميّز الحقّ عن الباطل. [٢]

من البديهي أنّ مراده (أي: مراد صدر المتألهين) هو زوال التعيّنات الوجوديّة للموجودات، وزوال ألوان الحدود والقيود الوجوديّة ـ وهو أمر باطل ـ من الوجود المطلق كما يقول المولوي:

فحيث ان عدم اللّون وقع في أسر للّون دخل موسى مع موسى في عراك
أماعندما تصل إلىٰ عدم اللّون تجد بأنّ موسى وفرعون كانا متصالحين [٣]

ويقول أيضا:

فإذا علم [العارف] هذا بلغ إلىٰ مقام التوكّل والرضا، فإن بلغ إليهما وأحكمهما يصل إلىٰ مقام الوحدة، فيصير عبداً مخلصاً عن شوب الشرك بالكلية، إذ في الشكر ضرب من الشرك الخفيّ لكونه

---

١. ***أسرار الآيات***، ص ٥١.

٢. ***تفسير سورة الواقعة***، ص ١٣٩؛ ***تفسير القرآن الكريم***، ج ٧، ص ١٩.

٣. ***المثنوي المعنوي***، الدفتر الأوّل، ص ١١٥، الأبيات ٢٤٦٨ و ٢٤٦٩.

لاستجلاب المزيد، وكذا في التوكّل فإنّه يستدعي متوكّلاً ومتوكّلاً عليه يتكلّف المتوكّل في حوالة أمره إلىٰ الوكيل، والرضا ـ وإن كان باب الله الأعظم ـ ففيه أيضا رائحة من الإشراك فإنّ الراضي يستدعي وجوداً مقابلاً لوجود المرضيّ عنه، وله مجال تصرّف تركه بالاختيار، وهذه المرتبة أيضا قاصرة عن درجة الواصلين إلىٰ درجة التوحيد، فإن ارتقىٰ من هذه الدرجات وصل إلىٰ مقام الفناءِ المحض، ومحو الأثر بالكليّة، وهو منزل أهل الوحدة المطلقة فإنّ إلىٰ الله المنتهىٰ وإليه الرُّجعىٰ.[١]

يقول في الأسفار:

محصل الكلام أنّ جميع الموجودات عند أهل الحقيقة والحكمة الإلهية المتعالية عقلاً كان أو نفساً أو صورة نوعية من مراتب أضواءِ النور الحقيقي وتجليات الوجود القيومي الإلهي وحيث سطح نور الحقّ أظلم وانهدم ما ذهب إليه أوهام المحبوسين من أن للماهيّات الممكنة في ذاتها وجوداً... فكذلك هداني ربّي بالبرهان النيّر العرشي إلىٰ صراط مستقيم من كون الموجود والوجود منحصراً في حقيقة واحدة، لا شريك له في الموجوديّة الحقيقية، ولا ثاني له في العين، وليس في دار الوجود غيرُه ديّار. وكل ما يتراءىٰ في عالم الوجود أنّه غير الواجب المعبود، فإنّما هو من ظهورات ذاته وتجليّات صفاته التي هي ـ في الحقيقة ـ عين ذاته... وإذا كان الأمر علىٰ ما ذكرته لك، فالعالم متوَهَّم[٢]

---

١. ***تفسير سورة الواقعة***، ص ١١٥؛ ***تفسير القرآن الكريم***، ج ٧، ص ٩٢.

٢. الاعتقاد بموهوميّة العالَم وأنّ جميع الكائنات وهم أو خيال هي عقيدة الفُرس قِدَماً، كما سيأتي الإشارة إليه (المؤلف).

ما له وجود حقيقي، فهذا حكاية ما ذهب إليه العرفاء الإلهيّون والأولياء المحققون.[١]

ويقول في الكتاب ذاته:

فانكشف حقيقة ما اتّفق عليه أهل الكشف والشهود من أنّ المَهيّات الأَمكانية أُمور عدميّة، بل الموجود هو الوجود وأطواره وشؤونه وأنحاؤه، والمَهيّات موجوديتها إنّما هي بالعرض بواسطة تعلّقها في العقل بمراتب الوجود وتطوّره بأطوارها؛ كما قيل شعراً:

وجود اندر كمال خويش سارى‌است تعيّنها امور اعتبارى است[٢]

فحقائق الممكنات باقية علىٰ عدميّتها أزلاً وأبداً. وفي كلام المحققين إشارات واضحة بل تصريحات جليّة بعدم عدميّة الممكنات أزلاً وابداً.[٣][٤]

---

١. **الأسفار**، ج ٢، ص ٢٩١ ـ ٢٩٤ (فصل ٢٥).

٢. ***گلشن راز***، ص ٨٧. الوجود يسير في كمال نفسه، والتعينات امور اعتبارية.

٣. **الأسفار**، ج ٢، ص ٣٤١ (فصل ٣٠).

٤. ينقل المرحوم ميرزا محمّد باقر الخوانساري رحمه الله في كتاب ***روضات الجنات***، ج ٤، ص ١٢٠ ـ ١٢٢ (رقم ٣٥٦)، عن صاحب كتاب اللؤلؤة أنّه قال: «وأمّا المولى صدر الدين أي محمّد بن إبراهيم صدر الدين المشهور بالملّا صدرا، كان حكيماً فيلسوفا صوفيّاً محضاً توفّي في البصرة وذهب إلىٰ الحجّ عام ١٠٥٠ من الهجرة».

ونقل فتاوا بعض علماء الاعلام بكفره، منهم من قال في وصف شرح الملا صدرا للكافي: «شروح الكافي كثيرة جليلة قدراً وأول من شرحه بالكفر صدرا».

يقول المرحوم العلامة النوري في *خاتمة المستدرك*، ج ٢، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠، في ذكر مشايخه: وسابعهم: «الحكيم المتألّه الفاضل محمّد بن إبراهيم الشيرازي، الشهير بملا صدرا، محقق مطالب الحكمة، ومروّج دعاوي الصوفية بما لا مزيد عليه، صاحب التصانيف الشائعة التي عكف عليها من صدّقه في آرائه وأقواله، ونسج على منواله، وقد أكثر فيها من الطعن على الفقهاء حملة الدين، وتجهيلهم وخروجهم من زمرة العلماء، وعكس الأمر في حال ابن العربي صاحب الفتوحات فمدحه ووصفه في كلماته بأوصاف لا تنبغي إلّا للأوحدي من العلماء الراسخين، مع أنّه لم ير في علماء العامة ونواصبهم أشدّ نصبا منه أليس هو القائل في الفتوحات في ذكر بعض حالات الأقطاب ما لفظه: ومنهم من يكون ظاهر الحكم، ويجوز الخلافة الظّاهرة كما حاز الخلافة الباطنة من جهة المقام، كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وحسن ومعاوية بن يزيد وعمر بن عبد العزيز والمتوكل. وهذا المتوكل الذي عدّه من الأقطاب، وممّن حاز الخلافة الظّاهرة والباطنة، هو الذي صرّح السيوطي الذي هو أيضا من المتعصبين ـ في تاريخ الخلفاء ـ بأنّه في سنة ست وثلاثين أمر بهدم قبر الحسين عليه السلام، وهدم ما حوله من الدور، وأن يعمل مزارع، ومنع الناس من زيارته، وخرب وبقي صحراء...».

وصرّح محي الدين في فتوحاته بأنّ أصل الضلالات من الشيعة.

وصرّح في *محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار*، ج ١، ص ٤١٨، «بأنّ الرجبيّين جماعة لهم رياضة، من آثارها أنّهم يرون الروافض بصورة الخنزير». [ملاحظة: لم يكن هذا التعبير في النص الأصلي والموجود هذه العبارة «أراهم في صور الكلاب» وأمّا في *الفتوحات*، ج ٢، ص ٨ (فقال الرجبيبون... فكان يراهم خنازير) المحقق].

وصرّح في *الفتوحات*، ج ٣، ص ٣٢٧ بعصمة ابن الخطاب، وغير ذلك ممّا هو نصّ على كونه من نواصبهم. ومع هذا كلّه، كيف يمكن ان يوصفه الشيعي الإمامي بأوصاف مثل «المحقق العارف بالله» و «من لا يجازف في القول». انتهى كلامه رفع مقامه.

ان كلّ من يستمدّ النور من شعاع القرآن الكريم ثم يراجع كتاب *الأسفار وأسرار الآيات*،

قال الدكتور حسين خان، بعد ذكر هذا الكلام: هذه هي ذات كلمات الصوفيّين وهي أنّه لا توجد واقعيّة في الوجود غير الوجود، وجميع الموجودات أطوار وشؤون وتجليّات وشعاعات، وصفات وأسماء الحقّ، والماهيّات أمور اعتباريّة؛ كما يقول الشبستري:

وجود اندر كمال خويش سارى است	**تعيّنها امور اعتبارى است**
امور اعتبارى نيست موجود	**عدد بسيار و يک چيزاست معدود**[١]

ويقول أيضا:

جهان خود جمله امر اعتبارى است	**چون آن يک نقَطه كاندر دور سارى است**
برو يک نقطهٔ آتش بگردان	**كه بينى دايره از سرعت آن**[٢]

كلمات الفيّاض والمُلّا السَّبزواري في وحدة الوجود

وأضاف الدكتور حسين خان:

يقول الفيَّاض في كيفيّة صدور المعلول من العلّة:

وتفسيره للآية الكريمة ﴿خَتَمَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ (البقرة، الآية ٧) سيعرف انحرافه وضلاله، وسيصدق كلام العلّامة النوري في حقه. فحينئذٍ يجب الإبتعاد عن كتبه. ومن الواضح أنّه لا يميل إليه أحد إلّا من كان بعيداً عن علوم أهل البيت عليهم السلام (المؤلف).

١. ***گلشن راز***، ص ٤٤ (السؤال عن معنى الوصال، البيت ١٧ و ١٨): الوجود يسير في كمال نفسه، والتعيّنات أمور اعتباريّة. الأمور الاعتبارية ليست موجودة، الأعداد كثيرة والمعدود واحد.

٢. ***گلشن راز***، ص ٦٤: العالم كلّه أمر اعتباري، مثل النقطة السائرة في البعد. حَرّك لهيبا من النار، لتراها في الحركة بصورة دائرة.

يرىٰ الصوفيّة بأنّ صدور المعلول عن العلّة عبارة عن تنزّل العلّة إلىٰ مرتبة وجود المعلول وتطوّرها بطور المعلول. ومن هنا تفطّنوا بوحدة الوجود أي بأنّ الوجود حقيقة واحدة سارية في جميع الموجودات. والمهيّات ليست سوى أموراً اعتبارية، وجميع حقائق الموجودات مظاهر لتلك الحقيقة الواحدة بشكل لا يستدعي الإتّحاد والحلول، لأنّهما فرع الاثنينيّة ولا موجود إلّا واحد....

وقد اعتقدنا بإمكانيّة صدق هذه الدّعوىٰ بحُسن الظنّ لا من جهة ما يمكن أن يُفهم عن هذه الطائفة من خلال كتبهم ورسائلهم لأن هذا المفهوم ليس قابلاً للحديث والكتابة عنه...

إنّ هذا المعنىٰ حقّ بذاته. وهَبْ أنّ من يدعي ذلك ليس علىٰ حقٍّ ولكن عليك أن تحسن الظنّ بكبار القوم، فربما تستفيد من بركات حسن الظنّ، وتستحق العناية الإلهيّة، وتنفتح عليك أبواب السعادة السرمديّة...

وأمّا طريقة الحكماء في كيفية الصدور، هي أنّهم يقولون: واجب الوجود تمام وفوق التمام....

ومن هنا، فإنّ السِرّ في وحدة الوجود ـ كما ذهبتُ إليه ـ سيصبح مفهوماً لدىٰ المستعدين لأنّ نسبة حقائق الموجودات إلىٰ حقيقة الواجب كنسبة مفهومات الجنس والفصل ـ وهي الأجزاء التحليلية ـ إلىٰ ماهيّة النوعيّة البسيطة، وما يؤيّد ذلك ما ورد عن بعض الأكابر من أنّ وجود الواجب عين وجود جميع الموجودات لا عين وجود كلّ واحد من

الموجودات، و قلم اينجا رسيد سرشكست[١]. [٢]

يقول الحاج المُلّا هادي السَّبزواري:

في التوحيد عدّة مقامات... أمّا الطَّريقة الثالثة فهي طريقة أهل الحقّ الأنيقة، وهي الوحدة في الكثرة والجمع في الفرقة. أي أنّ حقيقة الوجود أصل ونور، سمعتَ أوصافه، وواحد بالوحدة الحقّة لا الوحدة العدديّة، وله مراتب متفاضلة. «أنوار بعضها فوق بعض؛ مختلفة في الشّدة والضعف».

كالإنسان الواحد الذي له مراتب متفاضلة، ومقاماته متفاوتة كالطَّبع، والنفس، والقلب، والعقل، حتّىٰ اللطيفة الأخفويّة[٣]. إذن ففي حقيقة الوجود، المرتبة التامّة والشّديدة تكون العلّة، والمرتبة الضعيفة تكون المعلول. وفي دار الواقع لا يوجد ديّار سوى الوجود وسنخ النور. انّ ذات العلة وجود، والعلّيّة وجود والمعلول أيضا وجود.

وبعبارة أُخرىٰ: الجاعل وجود، والجعل وجود، والمجعول وجود. وبعبارة أُخرىٰ: الصانع وجود، الصنع وجود، والمصنوع وجود؛ ولكن حسب المراتب الموجودة في الوجود من الخفاء والظهور، والمظاهر.[٤]

---

١. معنى العبارة: (وصل الكلام إلىٰ هنا وانكسر القلم) وهو مَثَل يستعمل في الكتب الفارسيّة عند انتهاء الكلام في موضوع معيّن (المترجم).

٢. الفياض تلميذ الملّاصدرا ونسيبه هو ومؤلف **گوهر مراد** وقد ذكر هذا المطلب في كتابه ص ٢٠٤ في الباب الثالث من المقالة الثانية (المؤلف).

٣. الأخفويّة: من الشيء الخفي.

٤. ***أسرار الحكم***، ص ٨٨ ـ ٩٦.

ويقول أيضا في باب الصفات:

من هنا، فانّ جميع الوجودات تدَّعي الأُلوهيّة، وجميعها مقهورة أمام إثبات أُلوهيّة الله وما ذهب إليه بعض العرفاء من أنّه لا يوجد موجود لم يُعبد من قِبَل مشرك، وأنّ ذلك لا يختصّ بالشّمس أو النار أو عِجل السَّامري وغيرها، وهو ليس كذباً.

وما يؤكّد هذا المعنى، هو أَنّ من يعبد نفسه أسوأ ممّن يعبد الصَّنم، وإنّ عبَّاد النفس وعبَّاد التعيَّنات كثيرون....[1]

ومن أناشيده التي يقول فيها:

موسيئى نيست كه آواز أنا الحق شنود

ورنه اين زمزمه اندر شجرى نيست كه نيست

گوش اسرار شنو نيست وگرنه اسرار

برش از عالم معنى خبرى نيست كه نيست[2]

الحاج محمّدعلي: يا دكتور؛ هذه الكلمات تصرّح بوحدة الخالق والمخلوق، وأنّه لا يوجد سوىٰ نور الحقّ، «ليس في الدَّار غيرُه ديّار».

الدكتور حسين خان: نعم؛ أنّ نتيجة كلام الطائفتين واحدة. هؤلاء طلّاب مدارس اليونان القديمة قبل الإسلام، وقد أخذوا هذه الأفكار والمطالب منهم وليس لهم أيّة علاقة بأيّة شريعة. إنّ كلامهم هذا نابع من أفكار أساتذة الذين

---

١. *أسرار الحكم*، ص ١١٨.

٢. *طرائق الحقائق*، ج ٣، ص ٤٦٥: لا يوجد موسى يسمع نداء «أنا الحقّ»، وإلا فإنّ هذه الترنّم لا توجد في شجرة لا و لا. الأُذن لا تسمع الأَسرار وإلّا فإن الأسرار، ليس لها خبر من عالم المعنى.

اعتبروا أنفسهم مستغنين عن الأنبياء عليهم السلام واعتمدوا علىٰ أفكارهم، ويأخذون بالرأي والقياس في الإلهيّات والطبيعيّات. إنّ أوّل من تكلّم بالرأي والقياس في أصول الدين، وفتح باب توحيد الأفعال ونسب الأعمال السيّئة إلىٰ الله تعالىٰ، هو الشيطان، كما يذكر القرآن عنه بأنّه قال: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ...﴾.[1]

من هنا، فإنّ جميع القائلين بتوحيد الأفعال هم طلّاب مدرسة الشيطان وسلكوا من مَعين ذلك الضلال والإنحراف، واتبعوه، وسلكوا طريقاً منفرداً وذلك خلافاً لطريق الأنبياء عليهم السلام الذي قال أوّلهم آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2] ففي هذه الآية المباركة، نجد بأنّ آدم، نسب القصور والسيّئة إلىٰ نفسه، وطلب الرحمة والغفران من الله، كما أنّ جميع الأنبياء الذين وردت أحوالهم في القرآن الكريم، ينسبون أفعال كلّ شخص إليه.

---

١. الحجر، الآية ٣٩.

٢. الأعراف، الآية ٢٣.

طريقة الشرايع في الهداية

الغاية من بعثة الأنبياء

لقد بعث الله الأنبياء لهداية خلقه، وليدعوا الناس إلىٰ الله الواحد الأحد، وليذكّروهم بالله الذي عرفوه في العوالم السابقة، وثبتت معرفةُ ذاته المقدَّسة في قلوبهم وغفلوا عنها.

نعم؛ إنّ الله تعالىٰ أرسل الأنبياء لإزالة الغفلة عنهم، وليذكّروهم ويرشدوهم إلىٰ الأحكام العقليّة. من هنا، فإنّ الذين اتبعوا الأنبياء عليهم السلام وعملوا وفق تعليماتهم ـ يهتدون ويتذكرّون الأحكام العقليّة، وتُثار لهم دفائن عقولهم. إنّ هؤلاء هم عباد الله المخلصون الذين تنوّرت قلوبهم بنور الحقّ، وليس للشيطان عليهم من سلطان حتّىٰ يُفسد دينهم.

أما الّذين يعتبرون أنفسهم في غنىً عن الأنبياء عليهم السلام ويقولون بالرأي والقياس[1] في الإلهيّات والطبيعيّات مثل الشيطان، يدخلون الدِّين بالفكر والتفكير

فيترأس عليهم الشيطان ويغويهم، كما قال تعالىٰ في كتابه الكريم نقلاً عن ذلك الملعون في مواجهة الحقّ، أنّه قال:

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾.[١]

من هنا، فانّ غير المخلصين، سيصبحون ضحية مكر ووسوسة وإلقائات الشيطان. ولذلك، فقد نزّه الله ذاته المقدّسة عمّا يصفون، إذ يقول:

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾.[٢]

ويقول تعالىٰ:

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾.[٣]

نزول الشّياطين وإيحاءاتهم

يقول تعالىٰ:

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾.[٤]

ويقول تعالىٰ:

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾.[٥]

موضوع آخر بسبب التشابه بين الموضوعين. أمّا القياس الأعتقادي فهو تشبيه وقياس الله بمخلوقاته من أجل معرفة وبيان صفاته أو إثبات صفات المخلوق للخالق. (المترجم).

١. ص، الآيتان ٨٢ ـ ٨٣.

٢. الصفات، الآيتان ١٥٩ ـ ١٦٠.

٣. الزخرف، الآية ٣٦.

٤. الشعراء، الآيتان ٢٢١ ـ ٢٢٢.

٥. الأنعام، الآية ١٢١.

وقد جعل الله هؤلاء من حزب الشيطان، فيقول:

﴿أُولٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.[١]

وبحسب الروايات الشّريفة، يستطيع الشيطان أن يتشكّل بجميع الصور إلّا صورة الأنبياء والأوصياء؛ وله عرش ما بين الأرض والسماء. يقول الإمام الصادق عليه السلام:

إِنَ شَيْطَاناً يُقَالُ لَهُ الْمَذْهِبُ يَأْتِي فِي كلِّ صُورَةٍ إِلَّا لَا يَأْتِي فِي صُورَةِ نَبِيٍّ وَلَا وَصِيٍّ، وَلَا أَحْسَبُهُ إِلَّا وَقَدْ تَرَاءَى لِصَاحِبِكُمْ (يعني أبا الخطّاب) فَاحْذَرُوه.[٢]

ويقول أيضا:

إِنَّ إِبْلِيسَ سَلَّطَ شَيْطَاناً يُقَالُ لَهُ الْمُتَكَوِّنُ يَأْتِي النَّاسَ فِي أَيِّ صُورَةٍ شَاءَ، إِنْ شَاءَ فِي صُورَةٍ صَغِيرَةٍ وَإِنْ شَاءَ فِي صُورَةٍ كَبِيرَةٍ، وَلَا وَاللهِ، مَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَجِيءَ فِي صُورَةِ أَبِي عليه السلام.[٣]

والخلاصة أنّ تصوّر الشيطان بأية صورة إلّا صورة الأنبياء والأوصياء من المسلّمات في الروايات وقد نطق القرآن الكريم بذلك. وقد ظهر الشيطان في صورة سُراقة بن مالك[٤] وحرَّض المسلمين علىٰ قتال رسول الله صلى الله عليه وآله وكان يقول:

---

١. المجادلة، الآية ١٩.

٢. *رجال الكشّي*، ص ٢٩٣.

٣. *رجال الكشّي*، ص ٣٠. وحول هذا الموضوع راجع: الصفحات ١٠٧، ٣٠٣، ٣٠٤، ٥١٨. وقد ذكر العلّامة المجلسي جميع هذه الروايات في *بحار الأنوار*، ج ٢٥، ص ٢٨١، ٢٨٢، ٣٢٦ في باب «نفي الغلوّ».

٤. من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وهو من قبيلة «بني مدلج» من «كنانة».

﴿إِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾.[١]

من هنا فإنّ من يكفر بنعمة وجود الأنبياء والرّسل، ويعرض عن القرآن الكريم الذي أنزله الله علىٰ أشرف خلقه لهداية الناس، ويطرق باب هذا وذاك وأتباع الشيطان، يستحق البُعد عن رحمة الله، ويخرج من الأمان والحفظ الإلهي، ويظهر الشيطان له بصورة جميلة ويتولّىٰ جنوده إحضار روحه للشيطان فيوسوس له ويجعله واسطةً بينه وبين الناس.

في هذه الحالة، فإنّ المسكين ـ الذي قد يكون من المرتاضين ـ يظنّ بأنّه ذهب إلىٰ المعراج؛ كما ذهب محيي الدّين إلىٰ الشيطان وعرج إليه وأصبح وسيطاً بينه وبين الناس، وتلقىٰ منه أمر تأليف كتابه ***الفصوص*** وأصبح هو قرينه ومُعينه.

ولا يستبعد أن يلقي الشيطان بكفرياته إلىٰ هذا الشخص في هذه الحالة، كما قال لشخص كان يطوف حول الكعبة:

﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ وعندما عرضت هذه القضية على الإمام الرضا عليه السلام، قال:

أَشْهَدُ مَا نَادَاهُ إِلَّا شَيْطَانٌ.[٢]

---

١. الأنفال، الآية ٤٨. ورد تفصيل القضية في ***بحار الأنوار***، ج ١٩، ص ٢٢٦، ٢٣٦، ٢٥٦، ٢٧٠، ٢٨٣، ٣٣١ و ٣٤٢. راجع: القضايا الأخرىٰ في هذا الأطار إلىٰ ***بحار الأنوار***، ج ١٩، ص ٤٦ و ٤٨؛ ج ٢١، ص ٩؛ ج ٢٨، ص ٢٦٣؛ ج ٣١، ص ٥٢٨؛ ج ١٤، ص ٤٨٦؛ ج ٧٥، ص ٣١٩؛ ج ٤٠، ص ٢٧٢؛ ج ١٤، ص ٤٩٦؛ ج ٦٣، ص ٢٧٠ و ٢٧٧، أيضا راجع: كتاب ***مستدرك سفينة البحار***، ج ٥، ص ٣٩٨ ـ ٤٠٣.

٢. ***بحار الأنوار***، ص ٢٥ ـ ٢٦٤، ح ٣ (الباب التاسع من كتاب الإمامة). الآية الكريمة جرت

المكاشفات الشيطانيّة

وردت في ***طرائق الحقائق*** مكاشفة من أحد الصوفيين حيث قال:

كنت في حالة المناجاة، إذ رُفع الحجاب، فرأيته على عرشه، فسجدت له، وتحدثت إليه «عندما سمع الحاضرون في المجلس هذا الكلام، أخذوه إلى «ابن سعدان» لينقل له الحديث النبوي الشريف حول عرش الشيطان الذي يقع بين السماء الأرض. فنقل له ذلك الحديث، فأعاد ذلك الصّوفي جميع صلواته، وقال: كنت أعبد الشيطان.

يعترف المتصوِّفة بأنّ المكاشفات بعضها شيطانيّة وبعضها رحمانيّة، ويجب عرض المكاشفة على الدليل والبرهان. ومن الأدلّة القاطعة على عدم صحة وحقيقة مكاشفاتهم هو اختلافهم حول أُصول الدين، حيث إنَّ بعضهم من الشيعة وبعضهم من السنة، وبعضهم مُلحِد، وبعضهم مُنحِل، وتوجد بينهم مجاميع مختلفة وعقائد متضاربة، حيث يُضلِّل بعضهم بعضاً ويثبت الحقّ لنفسه وجماعته، في حين أنَّ جميعهم أصحاب الكشف والشهود.

ومن البديهيّ أنّ هذا الإختلاف دليل على بطلان مسلكهم وطريقتهم، وأنّ الشيطان ـ وهو كبيرهم ومرشدهم ـ هو الذي أبعدهم عن الشَّريعة الإلهيّة الحقّة، بل إنّهم يرون بأنّ الشَّريعة والدِّين الإلهي مانعان عن

على لسان الشيطان في هذه القضية. من هنا، فإنّها عوضاً عن أن تكون مؤشراً للتوحيد أصبحت نذيراً للشِّرك وعبادة الشيطان؛ استثناءً (المؤلف).

الوصول إلىٰ الحقيقة.

حضر نجيب الدين إلىٰ مجلس ذكر السهروردي، وقد أنشد **مُطرِبُهم**:

أيـا جَـبَلَي نـعمان بـالله خَـلّيا   نسيم الصَّبا يخلّص إليَّ نسيمها

وقد ادّعىٰ أحدهم أنّه قد أُلقي إليه بأنّ ذلك الجبلين هما: محمَّد، وإبراهيم، اللَّذين يمنعان من هبوب رياح الرُّوح إلىٰ العشّاق، وأنّ أغلال شرائعهما هي التي تمنع من الرُّقي والوصول إلىٰ الحقيقة. وقد امتدح هذا الكلام أشخاص آخرون.[١]

وينقل العلّامة المجلسي رحمه الله في ***عين الحياة*** عن محيي الدين بأنّه رأىٰ في معراجه بأنّ منزلة علي عليه السلام أدنىٰ من منزلة أبي بكر وعثمان!.[٢]

الحاج صمد: أنّ لهم مكاشفات عجيبة، ولهم معراجاً عجيباً!! لقد أغواهم الشيطان. إنّ هذا المعراج ليس جديداً، وكان يحصل لبعض العلماء قبل الإسلام، وقد عرج الشيطان بهم؛ كما ينقلونه:

كان أرداي ويراف، يعيش في عام (٥٧٦٣) بعد الهبوط وفي عهد أردشير بابكان. ذهب إلىٰ المعراج، وشرب ثلاثة كؤوس من الخمر وأُغمي عليه لمدّة أسبوع، وكان حوله ستة من الأطباء حتّىٰ أفاق من غشيته، فوقف، ثمّ طلب أحد المعلّمين والمرشدين، فأملى عليه مكاشفات ومشاهداته لعرضها علىٰ «أردشير».

قال: عندما خلدتُ إلىٰ النوم، جاء ملك من الجنة وأمسك بيدي وأوصلني إلىٰ جسر الصِّراط. عند ذلك، وصل جبرائيل وأخذني إلىٰ العرش. فرأيت الملائكة وأهل الجنة، حينئذ وصلت في محضر الإله وصلّيت. عند ذلك، رأيت

---

١. ***طرائق الحقائق***، ج ١، ص ١٦٦.

٢. ***عين الحياة***، ص ٥٧٨.

طبقات الناس، وسألت عن أحوال كلٍّ واحد منهم. ورأيت أرواح جميع الأصناف وعلمت مقام كلّ واحد منهم عند ذلك جاؤوا بي إلىٰ جهنم، فرأيت أهل النّار فرداً فرداً، وعرفت عقاب كلّ ذنب. بعد ذلك، جاء الملائكة بي إلىٰ عالم العنصر[1]، ثمّ بدأ بنشر دين زردشت[2].[3]

الحاج محمّدعلي: أنّ نتيجة مكاشفات هذا العالم كانت حقانيّة دين الزردشيّة التي رَوّج لها. نعم، إنّ المعراج الذي يحدث بسبب ثلاثة كؤوس من الخمر لا يكون أفضل من هذا؛ كمعراج محيي الدِّين الذي رأىٰ منزلة عليعليه السلام أدنىٰ من منزلة أبي بكر وعثمان!!

في مثل هذه المكاشفات، يلقي الشيطان فيٓ قلوبهم بأنّ الله العظيم والمالك والقادر له «تنزّل الرُّتبة» بحيث يرون الخلق الضَّعيف من تطوّراته، وينسبون أفعال وأعمال العباد إليه. وبسبب هذه المكاشفات الشيطانيّة يعتبرون أنفسهم متّصلين به، وفانون فيه، فيرون أنفسهم في غنىً عن العبوديّة والعبادة. إنّهم يردّدون نداء: «ليس في جُبَّتي إلّا الله» ويعتبرون عالم الوجود عينه هو [أي: الله]، ويتغنّون بقول: «ليس في الدَّار ديَّار غيره».

إنّهم يرون بأنّ جميع الخبائث والسَّيِّئات، والقبائحَ، تطوّرات وتجلّيات وشؤونات ولَمَعات وصفات، لتلك الذّات المقدَّسة، ويطلقون علىٰ ذلك «توحيد الذات والصفات» وينسبون جميع الذُّنوب وأفعال الخلق إلىٰ الذَّات المقدَّسة،

---

١. يقصد: عالم المادة، أي عالم الدُّنيا (المترجم).

٢. هو مبشر «الزردشتية» وهي ديانة بلاد فارس قبل الإسلام. والزردشتيون يقدِّسون النَّار؛ وهي مشتعلة دائماً في معابدهم (المترجم).

٣. راجع: *ناسخ التواريخ* (النبي عيسىعليه السلام)، ج ١، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٧.

ويطلقون على ذلك «توحيد الأفعال». ويقولون:

مجموعهٔ کون را به قانون سبق　　　کردیم تصفح ورقاً بعد ورق

حقا که ندیدیم و نخواندیم در آن　　　جز ذات حق و شئون ذاتیهٔ حق[1]

أُفٍّ لهذا التوحيد وأهله!!! ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[2] و ﴿تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.[3]

الحاج صمد: يا دكتور؛ لم أكن أعلم بأنك على دراية بخصوصيّات كلام الفلاسفة ومكاشفات أهل الطَّريقة، خاصة وإنّك بيّنت بوضوح تشكّل الشيطان بصور مختلفة وما يلقيه في قلوب أوليائه. إنّني أعتقد بأنّ جناب (الدرويش) قد علم بأنّ تركه للصلاة حتّى الآن كان بسبب اتّصاله بالشيطان، والآن، سيصلّي المغرب والعشاء، وسيقضي جميع صلاته الفائتة.

تعالت أصوات ضحك الحضور.

هزَّ الدرويش رأسه وقال: حقاً أنّ توضيحات الدكتور هزّتني فعلاً. إذ جاء بدليل مقنع بأنّ هذه الأفكار كان يحملها الفلاسفة والمتصوّفة قبل الإسلام. سأواظب على الصَّلاة، فتيقنت بأنّ هذه الطَّريقة باطلة، وليست لها أيّة علاقة بالدِّين.

الدكتور حسين خان، سأثبت، بما لا يدع مجالاً للشَّك، بأنّ عقيدة أولئك مستوحاة من الفلاسفة والعلماء الذين عاشوا قبل السيد المسيح عليه السلام، بشرط أن

---

١. طرائق الحقايق، ج ١، ص ١٥١: لقد تصفّحنا مجموعة الكون بقانون الماضين، صفحة بعد صفحة. حقاً، لم نقرأ فيها ولم نر فيه، سوى ذات الحقّ وشؤونه الذّاتيّة.

٢. الصافات، الآية ١٥٩.

٣. النمل، الآية ٦٣.

تقوم وتخشع أمام المعبود الرحيم، وتسجد، وتتوب من تجاسرك علىٰ ساحة الرَّب القدُّوس، وتطلب من الله أن يُنوِّر قلبك بنور الإيمان.

بعد ذلك، رفع الجميع أيديهم وقالوا: يا ربَّ العالمين ويا رحمان ويا رحيم ويا إله العالمين، نقسم عليك بحق خاتم الأنبياء وبفاطمة الزهراء، سيدة النِّساء، وبأمير المؤمنين وبالإئمة الأحد عشر من ولده إلّا ما وفَّقتنا للعبوديّة لك بلطفك، وأن تزيد نور الهداية في قلوبنا.

الدرويش: أيّها السادة أُدعوا لي بالخصوص فاستجاب الجميع دعوته، دعَوا له بالخصوص، وطلبوا من الله الهداية والسَّعادة له.

الدرويش: هل تسمحوا لي أن أُصلّي قبل أنْ أدخل في بحث كيفية ظهور التصوّف والحكمة ودخولهما في الإسلام؟

تعالت همهمات الدكتور. حسين خان وأصدقائه في المجلس بقول: أحسنت، أحسنت، وقالوا: نتمنّىٰ لك التوفيق وأن يزيد الله من توفيقاتك.

نهض الدَّرويش من مكانه، وتوضّأ، ووقف في زاوية من المجلس، واشتغل بالصَّلاة. بعد أن فرغ من الصَّلاة، انشغل بالدَّعاء والتضرّع وطلب من الله المتعال السَّعادة والهداية والتوفيق.

أراد الحاج صمد أن يبادر الحاج خليل بتقديم الحلوىٰ بمناسبة أداء الدرويش للصَّلاة.

الحاج خليل: يامشهدي محمَّد؛ هات لنا بالشَّربت [١] بعد شُربِ الشَّربت.

قال الدكتور حسين خان: اسمحوا لي أن اكمل حديثي. قال الحضور: تفضّل حتّىٰ نستفيد.

---

١. الشربت عبارة عن ماء بارد وسكر. وقد يضاف إليه ماء الورد أو الزعفران (المترجم).

تاريخ الفلسفة والعرفان في اليونان

الدكتور حسين خان: قلتُ بأنّ الفلسفة والعرفان لهما تاريخ بين الفلاسفة اليونانيين قبل الإسلام، وأنّ الفلاسفة والعرفاء المسلمين طلّاب مدرسة أولئك، وقد أخذوا هذه العقائد والأفكار منهم.

ولتوضيح ذلك، سأطرح ـ ابتداءً ـ كلام وعقائد العلماء قبل الإسلام، ثمّ أُبيّن كيفيّة دخولها في الإسلام.

يكتب المرحوم المقدّس الأردبيلي رحمه الله:

ذكر صاحب كتاب ***بيان الأديان*** بأنّ أصل الحلول والإتّحاد من الجرمانيّة وهم طائفة من الصّابئة.[1]

ويقول الشّهرستاني عن هذه الفئة:

قالوا إنّ الصانع المعبود واحد وكثير.[2]

أي الوحدة في عين الكثرة، والكثرة في عين الوحدة.

وينقل عنه هذه العقيدة في كتاب ***نفايس الفنون***، ثمّ يقول:

مذهبهم هو أنّ الخالق تعالىٰ يُظهر نفسه في صورة أشخاص، ويتشخّص بصُوَر الأشخاص.[3]

ويقول في جنّات الخلود:

---

١. راجع: ***حديقة الشيعة***، ص ٥٦٦. الصابئة: قسم من المتديّنين بالنبي يحيى عليه السلام وقيل أنّهم عبَدَة الملائكة والنجوم وقيل أنّهم غير ذلك (المترجم).

٢. ***الملل والنحل***، ج ٢، ص ٥٤.

٣. ***نفايس الفنون***، ج ٢، ص ٢٨١.

يقول الصابئة بالحلول والتناسخ.[١]

وورد في كتاب **سير حكمت در اروپا** بأنّ برمانيدس (٦٣٦ قبل الميلاد) كان يؤمن بوحدة الوجود، وكان يقول:

إذن، الوجود واحد، متَّصل وغير محدود... والفرد العاقل لا يقول سوىٰ بالوجود الواحد وهو كُلّ الوجود ووجود الكلّ.[٢]

ونقل أيضا بأنّ أستاذه؛ وهو الحكيم اكسنوفان (٦٠٠ قبل الميلاد) كان يرىٰ بأنّ جميع الكائنات هي جوهر أصيل واحد، وأنّ ذلك الجوهر هو الله الأحد، وأنّ جميع الأشياء في العالَم واحد خالص.[٣]

وفي ديوان الصُّنعي عُرفت فلسفة «پلوتين» بأَنها مَبنيّة علىٰ وحدة الوجود، وكان يرىٰ أنّ الله داخل في جميع الأشياء.[٤]

وورد في كتاب **كشف الإشتباه**:

أحد فلاسفة اليونان (أو الرُّوم)[٥] وهو «پلوتينوس» تكلَّم كثيراً في الفلسفة؛ منها قوله: كلّ ما يوجد في العالم شيء واحد وهو الله، وباقي الأشياء انفصلت عنه. وإذا انسلخ الفرد من نفسه، يستطيع أن يلتحق

---

١. راجع: **جنات الخلود**، ص ٦٧.

٢. **سير حكمت در أروپا**، ج ١، ص ٩ ـ ١٠.

٣. راجع: **الملل والنحل**، ج ٢، ص ٩٧ (رأى اكسنوفانس)؛ **سير حكمت در اروپا**، ج ١، ص ٩.

٤. **ديوان الصُّنعي**، ص ٢٩.

٥. الروم جيل من الناس كانوا يسكنون شمال البحر المتوسِّط في الدُّول الواقعة وسط آسيا والتي سُمّيت فيما بعد آسيا الوسطى؛ وهي: الاناضول، والبلقان، واليونان، وأجزاء من إيطاليا. «المترجم».

بالله، إلىٰ أن قال: انّ ما نبحث عنه ليس بعيداً عنّا؛ بل إنّه موجود فينا.[١]

وفي كتاب ***ناسخ التواريخ***، في أحوالات زردشت الذي كان يعيش في عام (٥٠٢٣) بعد الهبوط، يذكر عقائد الفرس القدماء وفِرَقَهم ويقول:

يرىٰ حكماؤهم بأنّ جميع الأشياء شعاع الوجود المطلق... ويطلق علىٰ هؤلاء: الفُرس والإيزيديون... والسپاسيّون... وهم عدّة فِرَق:

الفرقة الأُولىٰ وهم السپاسيون... وهؤلاء لا يخطِّؤون ولا يُـقبّحون أيّ دين أو مذهب، ويقولون بأنّه يمكن الوصول إلىٰ الإله بأيّة طريقة ومن خلال أيّ دين، ويعتبرون السماوات جنّة الخلد...

أمّا الفرقة الثالثة فهم. الجمشاسبيون... الذين يقولون: لا يوجد أيّ وجود خارجي للعالَم، وكلّ ما هو موجود فهو إله، ولا يوجد في الكون شيء سوىٰ الله، وأنّ العقول والنفوس هم الملائكة، ويقولون: إنّ جمشيد... وهو والد جمشاسب ـ الذي ينتسبون إليه ـ، قال: إنّ الإله تعالىٰ تصوَّر العقل الأوّل فظهر إلىٰ الوجود... وقد تصوّر العقل الأوّل ثلاثة أشياء، وهي: العقل الثاني، والنفس الأُولىٰ، وسماء الأطلس؛ فظهرت هذه الأشياء الثلاثة. ومِن تصوّر العقل الثاني، ظهرت السَّماء الثانية، والنفس الثانية، والعقل الثالث.

وبهذه الطَّريقة، ظهرت عشرة عقول وتسعة أنفس وتسعة أفلاك، ثـمّ ظهرت المواليد والعناصر بعد ذلك....

وأمّا الفرقة الرابعة فهم «السَّمراديّون» والسَّمراد يعني الوهم والخيال؛ وهم علىٰ عدّة طبقات:

---

١. ***كشف الاشتباه***، ص ١٨٦.

الأوّل: أتباع «فرتوش»... الذي ظهر في بداية حكومة الضَّحاك، ويقال لهم «فرتوشيه» وهم يعتقدون بأنّ عالَم العناصر كلَّه وَهم وخيال؛ أمّا الأفلاك والنجوم والمجرّدات فهي باقية وأبديّة.

جمع آخر منهم، وهم «الفرشيديّون» نسبة إلىٰ «فرشيد» بن «فرتوش»، يقولون: إنّ الأفلاك والنّجوم خيال أيضا، وليس لها وجود، أمّا المُجرَّدات فموجودة وباقية.

وطبقة أُخرىٰ من «السَّمراديّون» هم «الفرايرجيّون» نسبة إلىٰ «فرايرج» بن «فرشيد» الذي يقول: إنّ المجرَّدات ـ وهي العقول والنفوس ـ ليس لها وجود، والوجود هو وجود واجب الوجود ليس إلّا، وكلّ ما سواه فهو وَهْمٌ وخيال... وينسبون البيتين التاليين إلىٰ «فرايرج»:

جهان دانى همه سمراد باشد تو را كز فرّ يزدان ياد باشد

ز سمراد است گفتن نام سمراد همين سمراد هم سمراد باشد[1]

الحاج صمد: إنّني أشفق علىٰ أجدادنا!! يا دكتور؛ لا نكن نحن وَهْم وخيال، أيضا!! إنتبهوا، إفتحوا عيونكم، وانظروا جيِّداً، ثمّ وضع يده على الحاج محمّد علىٰ وقال: أهذا أنت، أم يُخيَّل لي بأنك أنت؟!

تعالت أصوات الضحك من الحضور.

الحاج محمّد على: أخشىٰ أنَّ ما نقوم به من أعمال وَهْمٌ وخَيال!!

ضحك الحضور مرة أُخرىٰ، وقالوا: يا دكتور: نرجوا أن تستمرَّ في حديثك.

---

١. ***ناسخ التواريخ*** (هبوط آدم)، ج ٣، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٤: إعلم بأنّ العالم كله سمراد، إذا كنت تذكر جمال الله. ان ذكر اسم سرماد من سمراد، هذا سمراد وهو سمراد أيضاً.

الدكتور حسين خان: وفي كتاب ***ناسخ التواريخ*** [١] هذا، يذكر عقائد حكماء الهند القدماء، ويقسّمهم إلىٰ عِدَّة فِرَق:

فرقة منهم يقولون: يجب علىٰ الله أن يتنزَّل من مقام الإطلاق وأن يظهر في كلّ أنواع المخلوقات... ويقولون: بأنّ كلّ مَلَك غير منفصل عن الله. وهذا الإدعاء إشارة إلىٰ أنّ الحقّ له ظهورات مختلفة في مظاهر متعدّدة، ومن الذرّة وحتّىٰ الشمس كلّها عين ذاته المقدَّسة... ويقولون: الأرواح الإنسانيّة صور ولَمَعان الحقّ ذاته.... [٢]

الفرقة الثانية هم «الويدانتيّون»، وهم الصوفيّة من هذه الطبقة... يقولون: إنّ العالَم سحر وشعوذة الحقّ، وأنّ تلك الذّات المقدَّسة تظهر في صورة معينة في كلّ لحظة، ثمّ يخلع ذلك اللِّباس ويظهر بمظهر آخر [٣].
أمّا حكماؤهم المتأخِّرون أمثال: سنگراچارى وغيره فيعتبرون هذا العالم محض خيال.... [٤]

الدرويش: واعجباً!! هل كان الهنود القدماء يحملون هذه العقيدة؟

الدكتور حسين خان: نعم؛ كانوا كذلك.

الساعة ٨/٣٠ مساءً، وقد مضت ساعتان من الليل، سُمع صوت طرق باب البستان.

الحاج خليل: يا مشهدي محمّد، أنظر من الطارق.

---

١. ***ناسخ التواريخ***، ج ١، ص ٥٦٤ ـ ٥٦٦.

٢. ***ناسخ التواريخ*** (هبوط آدم)، ج ٤، ص ١٨٢.

٣. ذكر الملا الرومي هذه العقيدة في أشعاره، في كل لحظة ظهر منهم صَنَم... (المؤلف).

٤. ***ناسخ التواريخ*** (هبوط آدم)، ج ٤، ص ١٨٦ ـ ١٨٧.

أسرَعَ المشهدي محمّد، وفتح باب البستان، وقال: السلام عليكم؛ تفضّل.

الحاج خليل: من المحترم!

المشهدي محمّد: إنّه السيّد صباحي.

قام الحاج خليل وذهب لاستقبال السيِّد صباحي، وقال:

أهلاً أهلاً، يا سيّد صباحي؛ السلام عليكم، حَلَلت أهلاً، عجباً، ليتك كنت تحضر هذا اليوم! تفضّل!

وقع نظر السيد صباحي على المسبح من بعيد، وقال: هل لديك ضيوف؟ ربّما ليس من المناسب، أن أدخل إسمح لي أن أعود.

الحاج خليل: أبداً، الآن كنت أنوي أن أرسل عليك لتشرّفنا بحضورك، لقد جئت في وقتك، جميع الأصدقاء سيسرّون بلقائك.

عندما دخل السيد صباحي، قام الجميع، وتبادلوا معه عبارات التَّرحيب، وأجلسوه في صدر المجلس، وقدَّموا له الإحترام اللّائق به.

الفيلسوف هزبر: أيّها السَّادة؛ انّكم تعرفون السيِّد صباحي، انّه رجل فاضل وعالم، يعرف آراء الفلاسفة، ويستطيع المشاركة في أيِّ بحث أو مناقشة.

الحاج خليل (مازحاً): حتّىٰ أمام فأس الدرويش؟

تعالت أصوات ضحك الحضور.

السيِّد صباحي: أشكر ألطافكم. هذه الليلة وقبل غروب الشَّمس، وجدت بأنّ صحّة طفلي أفضل، فاطمئننت قليلاً، وقلت في نفسي: سأذهب لزيارة الحاج خليل بعد المغرب والعشاء رويداً رويداً[1]، وأبقى عنده ساعة ثمّ أعود. وبحمد الله حالفني التوَفيق أن ألتقي باقي الأصدقاء الكرام.

---

١. رويداً: اسم فعل بمعنى مهلاً. يقال: سائراً رويداً رويداً؛ أي برفق، والتكرار للتأكيد.

الحاج خليل: يا سيد صباحي: لا أدعك تذهب هذه الليلة، الآن سيذهب المشهدي محمّد إلىٰ المدينة ليأتي لنا بالثلج، فإذا كان لديك أي عمل عاجل، تفضّل ببيانه حتّىٰ ينجزه لك في طريقه.

السيد صباحي: إذن، أرجو أن يُخبر أهلي[١]. ثمّ التفت إلىٰ الحضور وقال: يبدوا بأنَّ أحد الحضور كان يتحدَّث في موضوع، أرجو أن يستمرَّ في كلامه لأستفيد أنا، أيضا.

الحاج صمد: يا سيِّد صباحي؛ مكانك خالٍ[٢]، في هذا اليوم، اندلعت حرب الفاس والخانقاه، والشَّارب والمُرشِد!!

مرة أُخرىٰ، تعالت أصوات ضحك الحضور.

الدكتور حسين خان: يا سيِّد صباحي: إنّ السيّد الدَّرويش كان ضيف الحاج خليل من الليلة البارحة، ونحن أيضا، وبناء على الوعدة جلسنا، في خدمته. كان لفترة يرشدنا، ونقل إلينا بيانات وأشعار المرشدين وكبار الصوفيّة حتّىٰ وصل الدور لي.

وبطلب من السَّادة الحضور، أثبتت ـ ببضاعتي المزجاة ـ بأنّ نتيجة كلام الصوفيّة والفلاسفة واحدة، وأنّ كلتا الطائفتين استَقَوا هذه العقيدة من الكفّار والمشركين الذين كانوا قبل السيِّد المسيح عليه السلام؛ كما ورد في كتاب ***أصول الفلسفة*** في مناجاة الشيلي:

يا الهي؛ إنّ أصغر ورقة من أوراق الأشجار التي هي لُعبة في يد الريح
كانت قطعة منك وهي جزء منك... كما أنّ هذه الروح التي توجد في كلّ

---

١. يقصد: يخبرهم بأن لن يعود إليهم هذه اللَّيلة (المترجم).

٢. مَثَل يُضرب لمن هو غائب عن مجلسٍ ما ولكن الحضور ينظرون مجيئه (المترجم).

مكان وكلّ شيء حَيّ بها، هي أنت.[١]

ويقول المؤلف في الصفحة ١٢٤ من الكتاب ذاته:

كان زينوفانيس يُعلِّم الناس بأنّه لا يوجد شيء سوىٰ الواحد الأحد.

ويقول في الصفحة ١٢٥:

وفي نهاية القرن السَّادس عشر، كان «گيوردانوبرنو»... يعتقد بأنّه لا حَدّ ولا نهاية لله، وأنّه والعالَم شيء واحد.

ويقول أيضا: أولئك الذين تصوّروا بأنّ الله موجود في عرض الموجودات الأُخرىٰ، فقد حدَّدوه حقّاً.

وبالنتيجة، يقول في الصفحة ١٢٦:

يقول گوته (القرن ١٨ الميلادي) إنّ الله لا يرضىٰ أبداً أن يكون متسلّطا وحاكماً على المخلوقات من مكان عالٍ، بل يُحبّ ان يكون سارياً وداخلاً في باطن الأشياء حتّىٰ يجعل الطبيعة متجليّة فيه ويجعل نفسه متجلياً فيها. كما كان يرىٰ بأنّ الله ومخلوقه شيء واحد.

طريقة الشَّرائع في هداية الناس تختلف عن البشر

صباحي: نعم الأمر هكذا؛ إنّ هذه العقائد خاصّة بالعلماء الذين انقطعوا عن الوحي، ولا تتفق مع أيّة شريعة، لأنّ أساس الشَّرائع هو عدم وجود أيّة سنخيّة بين الخالق والمخلوق، وبينهما تباين في الصِّفات.[٢]

---

١. *أصول الفلسفة*، ص ١٢٣.

٢. أي: كما ان الصفة متطفلة على الموصوف ومرتبطة به وهي غيره، كذلك المخلوق فهو

كما أنّ أساس جميع الشّرايع مبني علىٰ حُرِّية الإنسان في أعماله التي قد تكون واجبة، أو مستحبّة، أو محرَّمة، أو مكروهة، أو مباحة، وأما بناءً علىٰ كلام الصوفيّة فإنّ موضوعات الأحكام الشَّرعيَّة منتفية؛ لأنّ جميع الموجودات ـ علىٰ زعمهم ـ عين الحقّ، وجميع أفعال العباد فعل الحقّ.

وأمام هذه العقيدة الباطلة، يدعوا القرآن الكريم الناس إلىٰ الله الواحد الأحد الذي ليس له شبيه ومثيل، وهو أبدي وأزلي، ولا يسري عليه أيّ تغيير أو زوال أو فناء.

وعلىٰ سبيل المثال فإنّ سورة الفاتحة المباركة هذه، والتي نقرؤها عدّة مرّات آناء[1] الليل وأطراف النهار، دليل قاطع وبرهان ساطع علىٰ بطلان هذه العقيدة، لأن النصف الأوّل منها يتعلق بالخالق والحمد والثناء علىٰ ذاته المقدسة، والنصف الثاني منها يتعلق بالمخلوق.

في هذه السورة المباركة يطلب المؤمنون من الله أن يُثبِّتهم علىٰ الصِّراط المستقيم، وهو الطريق الذي يسلكه الأنبياء والأوصياء بلطف الله وإحسانه، لا الطَّريق الذي يسلكه المغضوب عليهم، ولا الطَّريق الذي يسلكه الضَّالّون.

أليست هذه السورة المباركة كافية للمسلمين لإدراك بطلانهذه الطَّريقة؟! يجب علىٰ أهل الايمان أن يجعلوا القرآن الكريم حُجّة عليهم، وأن يعرضوا عقائدهم علىٰ هذا الكتاب السَّماوي المقدّس والروايات المتواترة، وأن يتمسكوا

مرتبط بالخالق ولكنه غيره (المؤلف). للمزيد من التوضيع راجع: كتاب السنخيّة أم الاتحاد العينيّة أم التباين، لمؤلفه آية الله السيّد جعفر سيدان.

١. آناء الليل: ساعاتها.

بمحكماته ويُرجعوا المتشابهات إلىٰ محكماتها؛ كما يأمرنا بذلك القرآن والروايات [١]، لا أن يتمسّكوا ببعض المتشابهات ثمّ يؤوّلوها حسب رأيهم وأفكارهم، ويتركوا المحكمات والضروريّات.

يعتقد المسلم العاقل والعارف لدينه بأنّ النبي ﷺ هو خاتم الأنبياء وهو أشرف وأكمل الخلق على الإطلاق، وأنّه بُعث لجميع أهل الشَّرق والغرب، وإنّه يقول: يا أهل العالَم؛ عليكم اتّباعي وأن تستضيئوا بنور هدايتي، لأنكم ستضلّون بدوني. لقد نزل القرآن عَلَيَّ لأُخرجكم به من ظلمات الضَّلال، وأُدخلكم في نور الهداية، وأُزيل الخلافات بين علماء البشر، وأوصلهم إلىٰ حقائق الموجودات كما هي في الواقع.

هل يوجد مسلم يحتمل بأنّ الرّسول الأعظم ﷺ لم يكن يعلم كلام وعقائد علماء العالَم الذين كانوا يعيشون قبل الإسلام، وأنّ الله لم يخبره بذلك؟!

من الواضح أنّ الرّسول الأعظم ﷺ أعْلَم بما كان وما هو كائن إلىٰ يوم القيامة.

هل يمكن أن يسكت الرّسول الأعظم ﷺ أمام الإختلافات الموجودة بين علماء البشر؛ في الوقت الذي بُعث لرفع الإختلافات، ولتعليم العلوم والمعارف الإلهيّة الحقّه؟!!

وهل يمكن أن يؤيّد الرّسول الأعظم ﷺ كلام كلّ أُولئك ويجعلها أساساً لدينه؟!! في هذه الصُورة، ما هو العلم الجديد الذي جاء به من قِبَل الله تعالىٰ إذن؟!

من الواضح أنّ الأمر ليس كذلك، بل أنّه ﷺ، جاء بعِلمٍ جديد مقابل العلوم

---

١. راجع: وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١٧٦ (باب ١٣: عدم جواز استنباط الأحكام النظريّة من ظواهر القرآن... من أبواب صفات القاضي).

البشريّة القديمة.

إنَّ علم القرآن الكريم الذي نزل لهداية البشر، موجود عند الرَّسول الأعظمﷺ وخلفائه[١]. وإذا أراد الناس الهداية، يجب عليهم اتّباعهم، وأن يرفعوا أيديهم عن بقايا ونفايات اليونانيين لِيَروا كيف يهديهم القرآن الكريم.

إنّ القرآن الكريم يعتبر العبادة والتقوى طريقة الرُّقي والهداية والسَّعادة ويعتبر المعرفة أمراً فطرياً في البشر، ويرىٰ بأنّ طريق زيادة المعرفة هو إطاعة نور العقل، ـ وهو الحجّة الباطنة ـ واتباع الأنبياء والأوصياء ـ وهُم الحجج الظّاهرة ـ.

هل إنّ طريق القرآن الكريم والأنبياء والأوصياء والأئمّة الذين يرون بأنّ الرُّقي والكمال في العبادات والتَّقوى مساوٍ مع طريق البشر الذي يلجأ إلىٰ الغناء والموسيقىٰ ليصل إلىٰ مقام القرب الإلهي، ولا يمتنع عن النظر إلىٰ الوسام[٢]، بل يعتبرها تطوّرات وشؤون الحقّ المتعال، بل يقول بأنّ الله قد تجلّى في الوِسام أكثر، وأنّ القرب إليهم وصال للمعشوق؟!!

يقول ذوالنون المصريّ:

> الأصوات الطيّبة مخاطبات وإشارات إلهيّة، استودعها عند كلّ طيّب وطيّبة.[٣]

ويقول سَمنون المُحِب، وهو أحد مشايخ الصوفيّة وكان معاصراً لجُنيد:

---

١. يقصد: الأئمّة اثنا عشر عليهم السلام.

٢. الوِسام: جمع وَسيم وهو حسن الوجه.

٣. *مصباح الهداية*، ص ١٩٠ (ذيل فوائد السّماع).

السّماع نداء من الحقّ للأَرواح، والوجد[١] عبارة عن إجابة الأَرواح لذلك النداء، والغشيّ[٢] عبارة عن الوصول إلىٰ الحقّ.[٣]

إنّ طريق البشر لمعرفة الله هو الطَّريق الناجم عن الآراء والأفكار البشريّة والقياس، وقد أخذ المتأخِّرون هذا الفكر من المتقدِّمين وعمد كُلّ واحد منهم ـ بفكره وظنّه ـ إلىٰ إكمال ذلك الطريق، وجالُوا بأفكارهم ـ علىٰ حسب طاقتهم البشريّة ـ في كشف حقائق وصفات وأفعال الباري ـ تعالىٰ.

أمّا القرآن الكريم، النازل من عند الله تعالىٰ، فقد غلق هذا الباب تماماً، وقال: أنّ العقول والأفكار والأوهام والأفهام لا تَصل إلىٰ الذات القدّوس وصفاته وأفعاله.[٤]

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام، في إحدى خُطَبه الشّريفة:

مَنْ فَكَّرَ فِي ذَاتِ اللهِ، تَزَنْدَقَ.[٥]

إنّ جميع التَّسبيحات والتَّكبيرات والتَّهليلات المأثورة تُنزّه الذَّات الإلهيّة

---

١. الوجد: الغنى.

٢. الغُشي: تعطّل أكثر القوي المحرّكة في جسم الانسان لضعف القلب من جوع ونحوه.

٣. *مصباح الهداية*، ص ١٩٠.

٤. إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿**لاتُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ الآية، ١٠٣ من سورة الأنعام. فقد ورد ذيل الآية عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: **لاَ تُدْرِكُهُ أَوْهَامُ الْقُلُوبِ فَكَيْفَ تُدْرِكُهُ أَبْصَارُ الْعُيُونِ**. *الأمالي* للصدوق، ص ٤١٠.

٥. *تحف العقول*، ص ٩٦، *بحار الأنوار*، ج ٧٤، ص ٢٨٧، ح ١ (باب ١٤ من كتاب الروضة).
تزندق: اتصف بالزندقة: فهو زنديق (فارسية) والزنديق من يتورط بالاقيسة والنتائج بما يفسد العقيدة بالله تعالىٰ التي مدارها على التسليم المطلق له. الدهري. الثنوي المانوي (المترجم).

المقدَّسة عما يصفه البشر لأنّها نتاج العقل البشري وفكره وليست لها أيّة علاقة بخالق البشر.

ترجمة كتب الفلسفة اليونانيّة

الحاج محمّد علي: يا سيّد صباحي؛ هل تسمح لي أن أسالك سؤالاً؟

السيد صباحي: تفضّل.

الحاج محمّد علي: كيف شاعت هذه العلوم اليونانيّة البشريّة في الإسلام؟

السيّد صباحي: إنّ كمالات وعلوم آل محمّدﷺ كانت تقود الناس إلىٰ منزلتهم ومكانتهم وفضلهم. أمّا الخلفاء العباسيون فقد كانوا بعيدين عن العلوم الإسلامية الإلهيّة. إنّهم (وبالخصوص المأمون العباسي) عمدوا إلىٰ إلهاء النّاس بترجمة كتب اليونانيّة إلىٰ العربيّة، ونشر العلوم البشريّة [1] واشتغالهم بتعليمها وتعلّمها ليُبعدوهم عن علوم القرآن الكريم وعن الأئمّة الذين وصلوا إلىٰ حقيقة العلم عن طريق الوحي والعلم الإلهي.

وقد أنفق أولئك (الخلفاء) على المدرِّسين والمترجمين أموالاً طائلة وكانوا يمجدونهم لكي يبلوا الناس بنفايات علم اليونانيين ونتاجات الفكر البشري ـ التي تختلف فيما بينها وتفتقر إلىٰ الإئتلاف ـ إنّ هذا التوجّه ليس سوى خذلان الله، لأنّ من يطلب الهداية والإرشاد من غير القرآن الكريم ووضعه وراء ظهره ومدَّ يده إلىٰ بيوت الآخرين، سيتحيّرو سينتهي به الأمر إلىٰ الهلاك.

---

١. بدلاً من العلوم الإلهية وهي علوم القرآن الكريم وأحاديث الرَّسول الاعظم، وأهل بيته الأَطهار عليه وعليهم أفضل الصَّلاة والسلام (المترجم).

وقد ورد في كثير من الرّوايات:

مَنْ طَلَبَ الْهُدَى فِي غَيْرِ الْقُرْآن أَضَلَّهُ اللَّه. [1]

وورد في كتاب ***روضات الجنات*** في شرح أحوال الفارابي [2] كلام بصيغة السؤال والجواب من رسالة المُلّا محمّد طاهر القمي ﵀ الفارسيّة في بطلان طريقة الفلاسفة والطبيعيّن (الدَّهريين) نتقله هنا لارتباطه بموضوع بحثنا:

بيّنوا، مرّة أُخرىٰ، كيف ومتىٰ انتشرت المذاهب الفلسفيّة الباطلة بين المسلمين؛ بيّنوا، تؤجروا....

الجواب: هو المعين والموفق؛ اعلم رحمك الله بأنّ الفلسفة لم تكن في الإسلام قبل عهد المأمون.

وورد في كتاب ***رشف النصائح*** بأنّ «أبا مرّة الكِندي» حصل علىٰ أحد كتب الفلاسفة وهو في الشام فجاء به إلىٰ عبدالله بن مسعود الذي كان من الصحابة فطلب طستاً وماءً ثمّ غسل ذلك الكتاب بحيث ظهر سواد المداد في بياض الكتاب، ولم يبق أيّ أثر لكتب الفلسفة حتّىٰ عهد المأمون الذي رأىٰ أرسطوا في المنام وحظىٰ بالحديث معه ـ علىٰ حد زعمه ـ، فعيّن مبعوثاً وأرسله إلىٰ بلاد الغرب. وطلب من الملك كتب الفلسفة، فجاء بها إلىٰ بلاد الإسلام، وأمر بنقلها إلىٰ العربيّة من قبل أساتذة اللغة العربية.

ولأنّ تعلّم وكتابة تلك الكتب كان وسيلة للتقرّب إلىٰ الخليفة فإنّ أهل

---

١. راجع: ***بحار الأنوار***، ج ٨٩، ص ٣١ (الباب الأوّل من كتاب القرآن).

٢. هو أبو نصر محمّد بن طرخان بن اوزلغ الفارابي.

السُّنة، وبهدف التقرُّب إلىٰ الخليفة وحصول الهدايا منه، انكبّوا علىٰ دراسة الفلسفة، وصرفوا أوقاتهم في الإستفادة منها والإفادة بها، وخاصة سُنّة ما وراء النهر [١]، الذين كان عدم التوفيق شعارهم بذلوا مساعي كبيرة في تحصيل علم الفلسفة. وقد برز من بينهم إثنان كان لهما دور كبير في نشر كفريّات الفلسفة، هما: الفارابي، وابن سينا، وقد أطلقوا علىٰ الفارابي لقب «المعلم الثاني» وعلىٰ ابن سينا لقب «شيخ الرئيس»... وقال المولىٰ النفيسي الذي كان من الأَطباء العظماء في كتاب ***شرح الأَسباب*** إنّ فارابي كان مبتل بمرض (ماليخوليا) [٢] وكذلك كان حال كثير من الفلاسفة أمثال أفلاطون ونظرائه وأنّ بوعلي سينا كان مدمناً علىٰ شرب الخمر كما ينقل التأريخ. [٣]

وفي كتاب ***ناسخ التواريخ***، جاء في أحوال «ارسطوطاليس» ما ملخّصه:

طلب المأمون من ملك الروم كتب الحكمة، فاستشار صناديد [٤] البلاد فأشاروا عليه بذلك... وقالوا: إذا انتشرت هذه الكتب بين أفراد أيّة فئة، فإنّها ستزلزل قواعد الشعب والشَّريعة عندهم... فحملوا خمسة من الإبل وأرسلوا تلك الكتب فجعل بنو العباس جماعة لترجمتها من جملتهم: حسين بن إسحاق،

---

١. ما وراء النهر: مصطلح يطلق على البلاد الواقعة بين نهرين «سيحون» و «جيحون» في آسيا الوسطى؛ ومنها أوزبكستان وقزاقستان.

٢. ماليخوليا: سقيم الخيال.

٣. ***روضات الجنات***، ج ٧، ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥.

٤. الصناديد: مفرده صنديد، وهو السيد الشجاع؛ ويطلق أيضا علىٰ جماعة العسكر، (المترجم).

وحبش بن حسن، وثابت بن قرة، وغيرهم، وخصصوا لكل واحد منهم مكافاة شهرية قدرها خمسمائة دينار من الذهب الخالص؛ بل كانوا يهيّئون لهم كلّ ما يريدون.[١]

ويذكر العلامة المجلسي في **بحار الأنوار**:

هذه الجناية على الدِّين وتشهير كتب الفلاسفة بين المسلمين من بدع خلفاء الجور المعاندين لإئمّة الدِّين ليصرفوا الناس عنهم وعن الشرع المبين ويدلّ علىٰ ذلك ما ذكره الصفدي في شرح لاميّة العجم أن المأمون لمّا هادن بعض ملوك النصارىٰ ـ أظنّه صاحب جزيرة قبرس ـ طلب منهم خزانة كتب اليونان وكانت عندهم مجموعة في بيت لا يظهر عليه أحد فجمع الملك خواصّه من ذوي الرأي واستشارهم في ذلك فكلّهم أشار بعدم تجهيزها إليه إلّا مطران واحد. فإنّه قال: جهّزها إليهم ما دخلت هذه العلوم علىٰ دولة شرعيّة إلّا أفسدتها وأوقعت الإختلاف بين علمائها. وقال في موضع آخر: أنّ المأمون لم يبتكر النقل والتعريب أي لكتب الفلاسفة بل نقل قبله كثير فانّ يحيى بن خالد بن برمك عرَّب من كتب الفرس كثيراً... والمشهور أنّ أوّل من عرّب كتب اليونان خالد بن يزيد بن معاوية لمّا أولع بكتب الكيمياء ويدل علىٰ أنّ الخلفاء وأتباعهم كانوا مائلين إلىٰ الفلسفة وأنّ يحيىٰ البرمكي كان مُحبّاً لهم ناصراً لمذهبهم ما رواه الكشّي بإسناده عن يونس بن عبد الرحمٰن قال كان يحيىٰ بن خالد البرمكي قد وجد علىٰ هشام [بن

١. راجع: ***ناسخ التواريخ*** (هبوط آدم)، ج ٣، ص ٣٨٢ ـ ٣٨٣.

الحَكَم] شيئاً من طعنه علىٰ الفلاسفة فأحبّ أن يغري به هارون ويضربه علىٰ القتل.

... وعدّ أصحاب الرجال من كتبه كتاب «الردّ علىٰ أصحاب الطبائع وكتاب الردّ علىٰ ارسطاطاليس في التوحيد» وعدّ النجاشي‌ؒ من كتب الفضل بن شاذان‌ؒ كتاب ***ردّ على الفلاسفة***.[1]

---

١. ***بحار الأنوار***، ج ٥٧، ص ١٩٧ (باب ٣٤ من كتاب السماء والعالَم).

معرفة الله الفطريّة

القرآن ونفي التوحيد الأفعالي

الحاج محمّد علي: يا سيد صباحي؛ أرجو أن تشرح لنا تـذكّرات القـرآن الكريم في باب معرفة الله وصفاته ذاته المقدّسة.

السيد صباحي: إنّ الله تعالىٰ عَرَّفَ ذاته المقدسة في القرآن الكريم بصفات الكمال، ونزّه ذاته من أن تدركه الحواس الظّاهرة والباطنة. وكما جاء في القرآن الكريم، فأنه لا شريك له ولا شبيه، ولا نظير، ولا مثيل، وما يوجَد في المخلوق ويتصف به لا يوجَد في الخالق، وأنّ ذاته المقدَّسة منزَّهة منه. إنّ هذا دليل قاطع وبرهان ساطع علىٰ أنّ الخالق غير المخلوق، وأنّ المخلوق غير الخالق، ولا توجد بينهما أيّة سنخية.

هل توجد سنخيّة بين النور والظلمة، وبين الحادث والقديم، وبين الجـهل والعلم، وبين العجز والقدرة؟!! ليس الأمر كذلك، بل إنّ بينهما مـباينة بكـلّ مـا تحمله الكلمة من معنى.

إنّ الله تعالىٰ عالم بعلم ذاتي، وقادر بقدرة ذاتـيّة، وحـيّ بـحياة ذاتـيّة، ولا

يسري عليه التغيير والتبديل، ولا الزّيادة ولا النقصان، ولا الحدّ ولا التناهي. ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾.[١]

لم يخرج منه شيء ولم يخرج هو من شيء، وليس له مثيل. إنّ المخلوقات جاهلة، وعاجزة، وضعيفة، وذليلة، وفقيرة، ومملوكة، وقابلة للتغيّر والتبديل والزّيادة والنّقصان والحدّ والنهاية، ولها شبيه ونظير، وتوالد. إذا تفضّل الله علىٰ عباده، فإنّهم يصبحون علماء وقادرين بمقدار ما يريده ويعطيهم.

إنّ أفعال العباد تصدر عنهم، ولكن بالحول والقوة الّتي منحهما الله إيّاهم، إنّ المسلمين يكرّرون صباحاً ومساءً، هذا الذكر الذي أمرهم الله تعالىٰ به؛ وهو:

بحول الله وقوَّتِهِ أقومُ و أقعدُ.[٢]

إنّ الكذب على سبيل المثال عمل قبيح وحرام، وإنّ المخلوق هو الذي يوجده ويتفوّه به وذلك بتصريح القرآن الكريم والأحاديث والإجماع والعقل وقد ذكّرنا الله بهذا الأمر قائلاً: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً﴾.[٣]

إنّ الله ليس خالقاً للكذب، بل إنّه يلعن الكاذب، ﴿لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.[٤]

وبناءً علىٰ ما يدّعيه الصوفيّة من أنّ الفعل والعمل ـ مهما كان ـ فهو فعل وعلم الله، وأنّه لا يوجد في عالم الوجود غيره، فهل إنّ الله تعالىٰ ـ والعياذُ بالله ـ هو الذي

---

١. الاخلاص، الآيتان ٣ و ٤.

٢. هذه العبارة اضافة مستحبة، هي :... وأركع وأسجد؛ فتصبح: «بحول الله وقوته أقوم وأقعد وأركع وأسجد». (المترجم).

٣. العنكبوت، الآية ١٧.

٤. آل عمران، الآية ٦١.

يكذب، وهو يلعن نفسه؟! ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً﴾.[١]

يقول تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ...﴾.[٢]

إنّ الصوفيّة يكتبون بأيديهم، ثمّ يقولون بأنّ الله هو الذي كتب، وأنّ اليد ليست سوىٰ آلةٍ.

ويقول تعالىٰ:

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.[٣]

وبناءً علىٰ ما يدَّعيه الصوفيّة، فإنّ هذا الكلام ليس صحيحاً، أيضا، كما لا يخفىٰ.

أنَّه ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة محكمة كهذه الآية المباركة في الردّ علىٰ مزاعم الصوفيّة؛ بل إنّ القرآن الكريم، من أوّله إلىٰ آخره، ردّ علىٰ فساد وبطلان مثل هذه العقائد.

ولنذكر أمثلة أُخرىٰ علىٰ سبيل المثال لا الحصر:

من الواضح أنّ القرآن الكريم مَبنيّ علىٰ أساس أنّ المخلوق غير الخالق، وأنّ الأَعمال الإراديّة للبشر تصدر منهم؛ يقول تعالىٰ:

﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾.[٤]

---

١. الإسراء، الآية ٤٣.

٢. البقرة، الآية ٧٩.

٣. التوبة، الآية ٣٢.

٤. الشعراء، الآية ٢١٦.

ويقول أيضا:

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾.[١]

ولو فرضنا ـ جَدَلاً ـ بأنّ أعمال البشر من الله تعالىٰ، فلا يوجد معنى لتبرّي الرّسول ﷺ، من المشركين، لأنّ من الأمور المسلَّمة والبديهيّة الأَوّليّة في الدِّين أن يرضى المسلم بما يفعله الله، وأنّ هذا المقام موجود لدىٰ الرّسول الأعظم ﷺ، والأئمّة عليهم السلام بصورة كاملة وتامة.

إذن، وبناءً علىٰ مقولة الصوفيّة من أنّ جميع الأعمال تصدر من الله، يجب على الرّسول الأعظم ﷺ والأئمّة عليهم السلام وجميع المسلمين أن يرضوا بها، وأن لا يشمئزّوا من الكفر والشِّرك والظلم والقتل والغدر؛ في حين أنّ الأمر ليس هكذا مطلقاً؛ ومن البديهيّ أنّ الله والرّسول ﷺ والأئمّة عليهم السلام لا يرضون بما يرتكبه البشر من ذنوب. يقول الله تعالىٰ:

﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾.[٢]

ونجد في نصوص الزيارات بأنّ الأئمّة عليهم السلام يكرّرون اللّعن علىٰ مَن رضي بقتل سيد الشهداء عليه السلام[٣]؛ فقد ورد عنهم:

الرَّاضِي بِفِعْلِ قَوْمٍ كَالدَّاخِلِ فِيهِ مَعَهُم.[٤]

---

١. يونس، الآية ٤١.

٢. الزمر، الآية ٧.

٣. **_مصباح الزائر_**، ص ٢٨٩؛ **_اقبال الأعمال_**، ج ٣، ص ١٠٢.

٤. **_بحار الأنوار_**، ج ٩٧، ص ٩٦، ح ٧ (الباب الثاني من كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

ومن البديهي أنّ أهل البيتعليهم السلام لم يرضوا بأيّ ظلم، ولكن الصوفيّة يجب أن يرضوا بجميع المظالم والأعمال القبيحة لأنَّهم يعتبرونها من أفعال الله تعالىٰ!!

ومن المحرَّمات الثابتة، الرِّياء[1] وذلك بصريح القرآن الكريم والأحاديث الشّريفة والعقل والإجماع، ويعني أن يعبد الإنسان غير الله، ويبتغي رضىٰ غير الله، ولكن وبناءً علىٰ مقولة الصوفيّة، فإنّ موضوع الرِّياء منتفٍ لأنّ الإنسان الذي يعبد أيَّ شيء يكون قد عبد الله كما يزعمون. من هنا، فان الآيتين المباركتين: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾[2] و ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدتُّمْ﴾[3] لا يكون لها أيَّ معنى من وجهة نظرهم.

ومن الواضح، أيضا، بأنّ أساس القرآن الكريم والدِّين مبتنٍ علىٰ أنّ البشر يتمايزون بأعمالهم وأفعالهم، إلىٰ مؤمن ومنافق وكافر، والمؤمن يحظى باللُّطف الإلهي والعناية الربَّانية، والجنَّة والنَّعيم الدائمين، أمّا المنافق والكافر والمشرك، فإنّهم مشمولون للعنة الله وفي النَّار هم خالدون؛ وهذا ثابت في جميع الأديان والشَّرايع السَّماوية. وأمّا في عقيدة الصوفيّة، لا يوجد في الوجود ديّار غيره، والوجود كلّه خير محض؛ لذا فإنّ الخالق والمخلوق والكافر والمؤمن والجنّة والنّار كلّها حقيقة واحدة، وكلّها خير محض، وأنّ الشر والسيئة والقبح ليس لها حقيقة وواقعيّة ولا يوجد هناك عذاب ولا ألم. وعلىٰ هذا الأساس، فإنّهم ينكرون النار، وينكرون الكثير من ضروريّات الدِّين.

إنّ الشيطان مذموم في آيات كثيرة في القرآن الكريم، وأنّه عدو الله والأنبياء

---

١. راجع: ***الكافي***، ج ٢، ص ٢٩٣ (باب الرياء)؛ ***بحار الأنوار***، ج ٦٦، ص ٢٦٥.

٢. الكافرون، الآية ٢.

٣. الكافرون، الآية ٤.

والأولياء، وقد أمر الله المؤمنين باتّخاذه عدوّاً.[١]

ويقول تعالىٰ أيضا:

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾.[٢]

ويقول تعالىٰ أيضا:

﴿لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.[٣]

ولكن: وبناءً علىٰ ما يقوله الصوفيّة، فإنّ الشيطان يكون مَظهر الحقّ، ويكون فعله فعل الله وحبّه حُبّ الله، كما انّ عبادة الأصنام عندهم تكون عبادة الله!!!

ينقل المرحوم الشّيخ الحر العاملي‌‌ عن فتوحات محيي الدين بأنّه يقول:

الشيطان سيّد الموحّدين، ولذا فإنّه لم يسجد لآدم، لأنّ السجود لغير الله لا يجوز.[٤]

وبحكم العقل فإنّه من الواضح والجَليّ لكلّ عاقل بأنّ المعاصي والأفعال القبيحة للبشر لا تخلوا من ثلاث:

فإمّا أنّها كلّها من الله تعالىٰ ولا علاقة لها بالعباد، أو أنّها مشتركة بين الله والعباد، أو أنّها من العباد أنفسهم دون أن يكون الله شريكًا معهم.

فإذا كان العمل من الله، فإنّه من القبيح على الكريم والعادل أن يعذّب عبده

---

١. فاطر، الآية ٦: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً﴾ وسورة البقرة الآية ١٦٨: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

٢. البقرة، الآية ٢٦٨.

٣. يٓس، الآية ٦٠.

٤. حول هذه الموضوع، يراجع مقالة *تقديس إبليس* في ملحقات كتاب *سفينة النجاة*، ص ٢٧٤ و ٢٨٦ (المؤلف).

لفعل لم يفعله، وينذره بالعذاب علىٰ فعل فعله هو لا عبدُه!

وأمّا إذا كان العمل مشتركاً بين الله وعبده، فإنّه من القبيح على الشَّريك القوي أن يعذّب الشَّريك الضَّعيف علىٰ فعل ارتكبه الإثنان، فلم يبق ـ إذن ـ سوىٰ القسم الثالث، وهو أنّ الفاعل هو العبد نفسه. وقد أوضح الإمام الكاظمعليه السلام، هذا الموضوع في جوابه لأبي حنيفة.[١]

وقد نُقل عن الإمام الرضاعليه السلام أنّه قال:

مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ تَعَالَى بِخَلْقِهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ وَمَنْ نَسَبَ إِلَيْهِ مَا نَهَى عَنْهُ فَهُوَ كَافِرٌ.[٢]

ويقول، أيضا:

مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ أَفْعَالَنَا ثُمَ يُعَذِّبُنَا عَلَيْهَا فَقَدْ قَالَ بِالْجَبْرِ... وَالْقَائِلُ بِالْجَبْرِ كَافِرٌ.[٣]

ويقول أيضا:

مَنْ قَالَ بِالتَّشْبِيهِ وَالْجَبْرِ فَهُوَ كَافِرٌ مُشْرِكٌ وَنَحْنُ مِنْهُ بُرَآءٌ فِي الدُّنيا وَالآخِرَة.[٤]

وقد روي عن أبي الحسن الثالثعليه السلام أَنَّهُ سُئل عن أَفعال العباد أ هي مخلوقة لِلّهِ تَعَالىٰ؟ فقالعليه السلام:

لَوْ كَانَ خَالِقاً لَهَا لَمَا تَبَرَّأَ مِنْهَا، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَنَّ اللَّـهَ بَرِيءٌ مِنَ

---

١. **الاحتجاج**، ج ٢، ص ٣٣٢؛ ***توحيد المفضل***، ص ٩٦، ح ٢ (الباب الخامس)؛ **عيون *أخبار الرضا***عليه السلام، ج ١، ص ١٣٨، ح ٣٧ (باب ١١).

٢. **عيون *أخبار الرضا***عليه السلام، ج ١، ص ١١٤، ح ١ (باب ١١).

٣. **عيون *أخبار الرضا***عليه السلام، ج ١، ص ١٢٤، ح ١٧.

٤. **عيون *أخبار الرضا***عليه السلام، ج ١، ص ١٤٣، ح ٤٥.

الْمُشْرِكِينَ﴾ وَلَمْ يُرِدِ الْبَرَاءَةَ مِنْ خَلْقِ ذَوَاتِهِمْ وَ إِنَّمَا تَبَرَّأَ مِنْ شِرْكِهِمْ وَقَبَائِحِهِمْ. [١]

وقال الإمام الصادقعليه السلام:

... نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنْ أَفْعَالِ خَلْقِهِ.... [٢]

وقال الإمام الرضاعليه السلام:

مَا عَرَفَ اللَّهَ مَنْ شَبَّهَهُ بِخَلْقِهِ وَ لَا وَصَفَهُ بِالْعَدْلِ مَنْ نَسَبَ إِلَيْهِ ذُنُوبَ عِبَادِه. [٣]

وقال رسول اللهصلى الله عليه وآله:

خَمْسَةٌ لَا تُطْفَأُ نِيرَانُهُمْ وَلا تَمُوتُ أَبْدَانُهُمْ ... وَرَجُلٌ أَذْنَبَ وَحَمَلَ ذَنْبَهُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلّ. [٤]

كلّكم سمعتم قضية مجلس ابن زياد في الكوفة مع أهل بيت الإمام الحسينعليه السلام. إذ قال ابن زياد لزينب الكبرى بنت أمير المؤمنينعليه السلام في ذلك المجلس:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَحَكُمْ وَأَكْذَبَ أُحْدُوثَتَكُمْ ـ فردّت زينب الكبرىعليها السلام كلامه ـ ثُمَّ الْتَفَتَ ابْنُ زِيَادٍ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ [٥] **فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ: عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ. فَقَالَ: أَ لَيْسَ قَدْ قَتَلَ اللَّهُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ؟ فَقَالَ عَلِيٌّعليه السلام: ـ بعدما سمع هذه الجرأة علىٰ الله والوقاحة في أن ينسب لله ظلمه وقتله وهتكه**

---

١. **بحار الأنوار**، ج ٥، ص ٢٠، ح ٢٩ (الباب الأوّل من كتاب العدل والمعاد).

٢. **بحار الأنوار**، ج ٣، ص ١٩٤.

٣. **بحار الأنوار**، ج ٥، ص ٢٩، ح ٣٤ (الباب الأوّل من كتاب العدل والمعاد).

٤. **بحار الأنوار**، ج ٥، ص ٦٠، ح ١١٢ (الباب الأوّل من أبواب العدل).

٥. في ***أعلام الورى***، ص ٢٥٢ هكذا: (قالعليه السلام: أنا علي بن الحسين).

وهتك جيشه لحُرَم الله بإسم الله سبحانه ـ قَدْ كَانَ لِي أَخٌ يُسَمَّى عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ قَتَلَهُ النَّاسُ. فَقَالَ: بَلِ اللَّهُ قَتَلَهُ. فَقَالَ عَلِيّ عليه السلام: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[1].[2]

في هذه الأثناء، كانت رؤوس الحضور مطأطأة، وكانت عينا الدكتور حسين خان مغرورقتان بالدّموع، وكانت قطرات دموع الحاج خليل تتساقط علىٰ ركبتيه، أمّا الدرويش فقد سقطت قطرات من الدّموع علىٰ لحيته البيضاء والسّوداء؛ وقد تغيّر حال الحضور بعد أن تذكرّوا وقائع كربلاء وفجائع الذئاب من الناس في عام ٦١ للهجرة.

ومضىٰ السيد صباحي قائلاً: نقل عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

... أَمّا التَّوحِيد فَأَنْ لَا تُجَوِّزَ عَلَى رَبِّكَ مَا جَازَ عَلَيْكَ، وَأَمَّا الْعَدْلُ فَأَنْ لَا تَنْسِبَ إِلَى خَالِقِكَ مَا لَامَكَ عَلَيْه.[3]

إنّ الشّيطان كان أوّل من فتح باب توحيد الأفعال، وأوّل من نَسَبَ الأعمال القبيحة إلىٰ الله، كما أسلفنا.

الأفكار البشريّة في المعارف الدِّينيّة

الدرويش: يا سيّد صباحي؛ هل إنّ جميع هؤلاء العرفاء كانوا من الأُمـيّين،

---

١. الزمر، الآية ٤٢.

٢. ***اللهوف***، ص ١٦٠ (المسلك الثالث في الأمور المتأخرة...)؛ ***بحار الأنوار***، ج ٤٥، ص ١١٥.

٣. ***التوحيد***، ص ٩٦، ح ١ (الباب الخامس)؛ ***معاني الأخبار***، ص ١١، ح ٢ (باب معنى التوحيد والعدل).

ولم يكن بين جماعة أهل الطَّريقة والعرفاء، عالم واحد؟!

السيد صباحي: كما أشار السيد الدكتور، فإنّ أساس وجذر الفلسفة والعرفان واحد، ويعود إلىٰ اليونانيين قبل الإسلام.

إنّ حكماء وفلاسفة اليونان كانت طريقتهم مخالفة لطريقة الأنبياء من بدو الأمر. وعندما أدخل الخلفاء هذا العلم في صفوف المسلمين، حاول البعض أن يطابق ذلك مع الدِّين والشَّريعة، وأن يفهموا العلم الإلهي، والدِّين، والقرآن الكريم عن طريق الفلسفة والعرفان، وأن يثبتوا أصول الدين عن طريق أفكار وآراء وبراهين البشر؛ ولكنهم ضلّوا عن السبيلين، وضيعوا علوم القرآن الكريم، وغفلوا عن نور العلم وأطلقوا اسم العلم علىٰ المعلوم التصّوري والتصّديقي، على الرغم من أنّ العلم غير المعلوم، والفهم غير المفهوم.

لقد حُجبوا عن إدراك نور العقل المقدَّس ـ وهو حجّة الله الباطنة ـ وزعموا أنّه هو كمالُ النفس لإستخراج النظريّات من الضروريّات والبديهيّات. ثمّ جاؤوا بشواهد من الآيات المتشابهة لتأييد القضايا الّتي أثبتوها وفقاً لآراء وأفكار وقياساتهم البشريّة ، وأوَّلوها طبقاً لآرائهم ونظريّاتهم، ولم يرجعوا إلىٰ أحاديث أهل البيت عليهم السلام لمعرفة المراد من الآيات المتشابهة، بل إنّهم لم يردّوها إلىٰ الآيات المحكمة، وحتّىٰ أنّهم غفلوا عن القرائن الموجودة في أول الآيات وآخرها؛ فوقعوا في التّيه والضَّلال.

في هذه الأثناء، قال الحاج خليل: يا مشهدي محمّد؛ هات لنا الشاي حيثما يَتمّ إعداد الطعام. بإمكان السيّد صباحي أن يشرح كيفيّة تعامل الفلاسفة والعرفاء مع الآيات المحكمة والرِّوايات المتواترة. ثمّ قام الحاج خليل لإحضار طعام العشاء، وجاء المشهدي محمّد بالشاي وقدّمه للضّيوف.

صباحي: أيّها السّادة؛ إنّ علماء البشر يفسّرون أصول الدّين وفق آراء وأفكار وقياسات وبراهين ابتدعوها من عند أنفسهم ويبتعدون عن علوم ومعارف القرآن الكريم، ويقومون بتأويلها وتوجيهها. فإذا كانت هناك آية أو رواية تخالف دليلهم المبتدَع، فإنّهم يؤوّلونها ويوجّهونها وفق ما تشتهيه أنفسهم.

يقول تعالىٰ في هذا الصَّدَد:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾. [١]

وقد ورد في الرّوايات بأنّ صفة ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ تختص بالأئمة الأطهار عليهم السلام. [٢]

وأمّا في ما يتعلق بالروايات المتشابهة، يقول الإمام الثامن الرضا عليه السلام:

إِنَّ فِي أَخْبَارِنَا مُتَشَابِهاً كَمُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ وَمُحْكَماً كَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ، فَرُدُّوا مُتَشَابِهَهَا إِلَى مُحْكَمِهَا وَ لَا تَتَّبِعُوا مُتَشَابِهَهَا دُونَ مُحْكَمِهَا فَتَضِلُّوا. [٣]

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

إِنَّ الْقُرْآنَ فِيهِ مُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ، فَأَمَّا الْمُحْكَمُ فَنُؤْمِنُ بِهِ وَنَعْمَلُ بِهِ وَنَدِينُ بِهِ وَأَمَّا الْمُتَشَابِهُ فَنُؤْمِنُ بِهِ وَلَا نَعْمَلُ بِهِ. [٤]

---

١. آل عمران، الآية ٧.

٢. راجع: ***بحار الأنوار***، ج ٢٣، ص ١٩١، ح ١٢ و ٣٠ إلى ٣٣ (الباب العاشر من كتاب الإمامة).

٣. ***بحار الأنوار***، ج ٢، ص ١٨٥، ح ٨ (باب ٢٦ من كتاب العلم).

٤. ***بحار الأنوار***، ج ٢، ص ٢٣٨، ح ٢٩ (باب ٢٩ من كتاب العلم).

وفي حديث أخر، روىٰ الإمام الصادقعليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال:

يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولٌ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ.[١]

إذا أراد الإنسان أن يستفيد من العلوم الإلهية، وأن يكون عالماً بالعلوم الربّانية، عليه أن يُسلِّم أمره للقرآن الكريم والرِّوايات الشّريفة، ويجعل التّقوىٰ شعاره حتّىٰ يُلقِي الله في قلبه نور الأيمان ويُعطيه البصيرة. في هذه الحالة، سيجد بأنّ جميع الآيات القرآنيّة والرِّوايات الشَّريفة وخطب ومناجاة وأدعية الأئمّة الأطهارعليهم السلام، بيان للمعارف الحقّة، وتعليم للعلوم الرَّبانيّة، وأنّ التدبّر والتأمّل فيها يوضح بطلان الفلسفة والعرفان.

لقد أوضحواعليهم السلام في مناجاتهم وخطبهم وأدعيتهم التباين الموجود بين المخلوق والخالق، وذكّروا الناس بأنّ الحقّ تعالىٰ منزّه عمّا يصفه البشر؛ منها ما ورد عنهمعليهم السلام في معنى كلمة «الله أكبر» المقدَّسة، بأنّهم قالوا:

اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ.[٢]

كما أنّ «سبحان الله» تقديس وتنزيه له عمّا يصفه به الكفّار والمشركون[٣].

إنّ روايات أهل البيتعليهم السلام تعجّ بتنزيه الذَّات الإلهيّة المقدَّسة عن أن يدركه علم العلماء وعقل العقلاء، وفهم المفكرّين وبيان الخطباء، وكلام الفصحاء.

---

١. ***الجعفريات***، ص ٢٤٥؛ نظيره ***بحار الأنوار***، ج ٢، ص ٩٢، ح ٢١ (باب ١٤ من كتاب العلم) و ج ٢٧، ص ٢٢٢، ح ١١ (الباب العاشر من كتاب الإمامة).

٢. ***بحار الأنوار***، ج ٨١، ص ١٧٠، ح ٧٣ (باب ١٣ من كتاب الصَّلاة) و ص ٣٦٦، ح ٢٠ (باب ٢٢ من كتاب الصَّلاة) و ص ٣٨٠، ح ٣٥ (باب ٢٢ من كتاب الصَّلاة).

٣. لِلإطلاع راجع: كتاب ***خورشيد تابان در علم قرآن***، ص ٢٦٣ ـ ٢٦٦.

لا سبيل للحواسّ الظّاهرة والباطنة إلىٰ ذاته المقدسة. وما يتبادر إلىٰ عقل البشر وفهمه وإدراكه، محدود ومعقول ومُدْرَك ومتناهٍ، وهذه الأمور ليست ذاته المقدَّسة بالقطع واليقين.

معرفة الله الفطريّة

ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام بأنّ الله عرَّف ذاته المقدَّسة وصفاته وأفعاله لعباده، ووجّههم إلىٰ معرفته عن طريق آياته. وقد ثبَّت الله تعالىٰ معرفته في قلوب البشر من عالم الذَّر. وفي ذلك العالَم عرَّفهم نفسه، وقال لهم: ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ**﴾.[١]

وورد في الروايات بأنّ الله تعالىٰ سأل عباده ـ بعد السؤال عن الرّبوبيّة ـ عن نبوّة محمّد صلى الله عليه وآله، وولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وقال لهم:

... **وَأَنَّ هَذَا مُحَمَّدٌ رَسُولِي وَأَنَّ هَذَا عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِين**.[٢]

فتوجّه الجميع ورأوا وشاهدوا وثبت الإيمان ومعرفة الذات الإلهيّة المقدَّسة، في قلوبهم، وصبغهم بها. يقول تعالىٰ:

﴿**فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾.[٣]

وقال أيضا:

﴿**صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً**﴾.[٤]

---

١. الأعراف، الآية ١٧٢.

٢. *بحار الأنوار*، ج ٦٤، ص ١١٤، ح ٢٣ (الباب الثالث من كتاب الايمان والكفر).

٣. الروم، الآية ٣٠.

٤. البقرة، الآية ١٣٨.

ولأنّ المعرفة ثبتت في قلوبهم:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَنْ خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّهُ...﴾.[١]

وإذا ضلّوا في ظلام الصَّحاري والبحار، وعصفت بهم الرِّيح وضربتهم الأمواج، سيتوجّهون جميعهم إلىٰ الذّات المقدَّسة بطلب العون منه والأمل به، وينقطعون عن غيره، ويتوسّلون به، وحينئذ فإنّ هذه الذّات المقدَّسة وهذا الرّب الكريم والقادر واللّامتناهي هو الذي ينجّيهم حيث لا مُنجي غيره؛ ولكن بدلاً من أن يشكروه، يكفرون به وينكروه.[٢]

إنّ الله تعالىٰ ـ وبهدف إتمام الحُجّة ـ يُلقيهم في المِحَن والمصائب مرّات ومرّات، ويوجّههم نحوه، ويُعرِّفهم نفسه، ويضيء فيهم نور المعرفة الفطريّة ويذهب عنهم حُجب الغفلة ويقطع آمالهم عن غيره ليتوجّهوا نحو ذاته المقدَّسة ويذكروه دائماً؛ فإذا أرسل أنبياءه، يتوجّه البشر إلىٰ ربّهم بتذكير بسيط منهم.

يقول تعالىٰ:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾.[٣]

فكان الأنبياء يقولون:

﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ﴾.[٤]

---

١. الزمر، الآية ٣٨.

٢. إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ في سورة العنكبوت، الآية ٦٥: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾.

٣. الأعراف، الآية ٩٤.

٤. الأعراف، الآيات ٥٩ و ٦٥ و ٧٣ و ٨٥.

وكانوا يقولون للناس: تذكرّوا الله الذي تتوسَّلون به في الشدائد والملمَّات، ولا تغفلوا عنه، ولا تكفروا بنعمه، واعبدوه، وليس لكم معبود سواه، وهو ربُّ المشرق والمغرب وربُّ العالمين وخالق جميع الموجودات.

إنّ كلّ إنسان يدرك، بنور المعرفة الفطريّة، بأنّ الذي يلجأ إليه في المصائب والشدائد غير نفسه الفقيرة والضَّعيفة والمسكينة، ويجد ويدرك مغايرة نفسه ومباينتها عن خالقها.[1]

في هذه الأَثناء، تمّ إعداد المائدة، فقال الحاج خليل للحضور تفضَّلوا.

صباحي: إذا وفّقنا الله، سأنقل للأخوة الكرام بعد تناول العشاء بعض الأحاديث الشَّريفة كي تروا كيف يعلّمنا قادة الدِّين درس التوحيد ومعرفة الله.

توجّه الدكتور حسين خان نحو الدَّرويش وقال: يا هذا؛ تفضّل، الحاج خليل: هذه داركم؛ تفضَّلوا.

كانت المائدة مملوَّة من الأرز، ومرقة القرع، وقمر الدّين، ووضعت أربع دجاجات مشويّة في زوايا السفرة الأربع.

الدكتور: لقد توتّرت كثيراً، فلا تأكل مرقة قمر الدين.

صباحي: إنّ الأخ لا يخالف التعليمات؛ فلا يأكل الطعام الحيواني.

فقال الدرويش، وقد سحب نحوه طبق الدجاج المشوِي: لقد استبصرتُ، وأفكّر في ترك هذه الطَّريقة.

تعالت أصوات ضحك الحضور، وأقبلوا على تناول الطعام بينهم، وبذكر بعض الطرائف واللطائف.

بعد الإنتهاء من تناول طعام العشاء قال الدرويش: سنكون للسيّد صباحى من

---

١. راجع: كتاب ***توحيد الإمامية***، ص ١٥٧ ـ ١٩١.

الشّاكرين إذا تفضّل ببيان أقوال الأئمّة عليهم السلام وعلماء الدِّين حول معرفة الله.

أجاب صباحي: أظن بأنّ الوقت متأخّر، وأنّ الإخوة مرهقون، اسمحوا أن نستريح، وسنواصل الحديث صباح غد.

وافق الجميع على ذلك، وأمر الحاج خليل بإحضار فرش النوم، وذهب الجميع إلى مضاجعهم، وخلدوا إلى النوم.

أمضى الحاج خليل ليلته، تلك مع أصدقائه، وحسب عادته، استيقظ في جوف الليل، وتوضّأ، وصلّى صلاة الليل. وعندما حان وقت أذان الفجر، أذّن بصوت هادئ، ثمّ انشغل بأداء فريضة الصبح. وفي أثناء تعقيبات الصَّلاة، استيقظ صباحي والدكتور وباقي الضيوف وشرعوا في الصَّلاة. أمّا الدرويش، الذي كان يتقلّب في فراشه، أخرج رأسه من الملحفة، وتوجّه نحوهم، وقال: السلام عليكم.

ردّ الحاج صمد جواب السلام، وقال: أيّها الصديق؛ الآن سلّمت كباقي الناس.[١]

تعالت أصوات ضحك الحضور، ونهض الدَّرويش، وذهب نحو المسبح، وتوضّأ، وصَلّى مع الضيوف.

الحاج خليل، بدوره، هيّأ مائدة الفطور، والمشهدي محمّد حضَّر السَّماور الكبير الذي كان يحاكي المجلس بصوت غليان الماء فيه.

كانت الشمس تُخرج رأسها من عنق الأفق، وكان شعاعها يصبغ أوراق الأشجار باللّون الذَّهبي، في بعض الأحيان كان يهبّ نسيم عليل من طرف الأزهار

١. لأنّ سلامه في السابق كان: يا علي.

حاملاً معه رائحتها الزكية العطرة. ثغاء[١] الأغنام ويعار[٢] النعاج حطّمت الصّمت الذي كان يخيّم علىٰ المنطقة... أكواب الشّاي والحليب كانت تدور حول المجلس، وكان الجميع مشغولين بتناول الفطور.

الحاج محمّد علي: أيّها الأخوة؛ أنّ الجوّ خارج المجلس جميل جداً ورائع؛ تعالوا نتفق لنبقى هنا لعدّة أيام للتنزّه. وبعد قليل من الهمس والهمهمة، وافق الجميع علىٰ هذا الإقتراح.

الحاج خليل: إنّ لي منزلاً جميلاً علىٰ بعد ستة فراسخ.[٣]

صباحي: صحيح ما يقول. إنّ منزله جميل جداً، والطّقس جميل جداً؛ لا بأس أن نذهب إلىٰ هناك لعدّة أيام، ولكن لنذهب ـ أولاً ـ إلىٰ المدينة لإنجاز العاجل من أعمالنا، ثمّ نذهب إلىٰ متنزّه الحاج خليل.

الحاج خليل ـ من جانبه ـ أعدّ سيارته، وتوجّه نحو المدينة واتفقوا علىٰ أن يكون مَتجرُه مكان لقائهم. وبعد عدّة ساعات، وبعد أن انهوا العاجل من أعمالهم، حضر الجميع إلىٰ المكان المذكور، ثمّ توجّهوا إلىٰ منزل الحاج خليل.

الحاج محمّد علي: يا حاج خليل؛ هل نحتاج إلىٰ شيء نأخذه معنا من المدينة؟

الحاج خليل: لقد أخذنا معنا مقداراً من الثّلج لأنّ كلّ شيء متوفّر هناك.

في هذه الأثناء، دخلت السيّارة في مطبّات الطريق، وسقط الرّكاب بعضهم علىٰ بعض، فسقط الحاج محمّد علي على الدرويش، فارتفع صوت تأوهاً.

---

١. الثغاء: صوت الغنم.

٢. اليعار: صوت النعج.

٣. الفرسخ: وحدة لقياس المسافات، مقدارها خمس كيلومترات ونصف.

الحاج صمد: لا يحتاج إلىٰ التأوّه والتألم، أنّ هـذا مـنه[١] أيـضا، لأنّ الفـعل والفاعل والمفعول واحد أليس كذلك؟!

تعالت أصوات الضحك من هذا المزاح.

في الساعة ٩/٠٠ صباحاً، بَدَت بيوت القرية المبهجة علىٰ سـفح الجـبل... الأشجار الخضراء والمناظر الخلّابة لها، سَحَرت أعين الضيوف.

علا صوت منبّه السيّاره... فساروا أطفال القرية انتبهوا للسيّارة، وجاء عدد من الفلّاحين نحوها. أحدهم وكان يعرف بالكربلائي جـعفر ـ اقـترب مسـرعاً وسلّم وسمع الجواب. الحاج خليل أوقف السيّارة وسأله عن حاله، ثمّ سأله: هل يوجد أحد في البستان؟ قال الكربلائي جعفر به نعم؛ أم محمّد وأم حسن.

الحاج خليل: إذن؛ تعال معنا لكي نعدّ طعام الغداء سريعاً.

اتّجهت السيّارة نحو البناية والبستان، ووقفت أمامها.

ترجّل الحاج خليل، وفتح الباب، وقال: أيّها السّادة تفضّلوا.

صعد الضيوف السّلالم، فتح الحاج خليل باب الغرفة، وقال لهم: تفضّلوا.

تحت البناية كان هناك وادٍ أخضر جميل جداً، والنّهر الجاري بمائه الرَّقراق كان يضيف علىٰ جمال الوادي جمالاً آخراً. جلس الجميع مـقابل ذلك الوادي والنهر، وانشغلوا في جمال الطبيعة أمامهم، وغاصوا في آيات القـدرة الإلهـيّة، قدرة الله تعالىٰ الذي فرش ذلك الصحراء والجبل والوادي بفراش من الزمرّد.[٢]

أمر الحاج خليل بإحضار طعام الغداء، لم يمض من الوقت شـيء، إلا وأم

---

١. أي: من الله، علىٰ حدّ زعم الصوفيّة؛ والعياذ بالله.

٢. الزمرد: وحدته زمردة: حجر كريم شفاف، شديد الخضرة، واشده خـضرة اجـوده واصـفاه جوهراً. (فارسية).

محمّد وضعت السماور النحاسي على الطاولة في زاوية من الغرفة، ثمّ أحضرت باقي عدّة الشاي، دخل الحاج خليل الغرفة، ورحَّب بالضيّوف، ثمّ جلس أمام طاولة السَّماور، وأعدَّ الشَّاي، وقدَّمه للحضور شخصياً.

دخل الكربلائي جعفر، وقال: سلام عليكم. توجّه الحاج خليل نحو الضّيوف، وقال: أيّ طبق من الطعام ترغبون للغداء؟

الحاج صمد: الوقت يقترب من الظهر، ولا يمكن إعداد شيء من الطعام.

الحاج خليل: لماذا؟ إنّ الطعام الذي يمكن إعداده سريعاً هو أن يقوم الكربلائي جعفر بقطف مقدار من الباذمجان، وتقوم أم محمّد وأم حسين بقليه، وإعداد طبق من «الباذمجان المطحون».

وافق الجميع على هذا الطبق من الطعام. خرج الكربلائي جعفر لإعداد الطعام في الوقت الذي كان الحاج خليل يقدّم الشَّاي للضّيوف.

الدَّرويش: حقاً أنّه مكان ذو صفاء، هذا لو يستأنف السيّد صباحى حديثه لنستفيد من إيضاحاته. وافق الجميع، فأخرج السيد صباحي كُتيباً من جيبه، وشرع بالقراءة.

معرفة الله وأوصافه في الرِّوايات

يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

دَلِيلُهُ آيَاتُهُ وَ وُجُودُهُ إِثْبَاتُهُ وَ مَعْرِفَتُهُ تَوْحِيدُهُ وَتَوْحِيدُهُ تَمْيِيزُهُ مِنْ خَلْقِهِ وَ حُكْمُ التَّمْيِيزِ بَيْنُونَةُ صِفَةٍ لَا بَيْنُونَةُ عُزْلَةٍ، إِنَّهُ رَبٌّ خَالِقٌ غَيْرُ مَرْبُوبٍ مَخْلُوقٍ كُلُّ مَا تُصُوِّرَ فَهُوَ بِخِلَافِهِ. ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: لَيْسَ بِإِلٰهٍ مَنْ عُرِفَ بِنَفْسِهِ، هُوَ

الدَّالُّ بِالدَّلِيلِ عَلَيْهِ وَالْمُؤَدِّي بِالْمَعْرِفَةِ إِلَيْه. [١]

ويقول في خطبة أُخرىٰ:

إِنَّ أَوَّلَ عِبَادَةِ اللَّهِ مَعْرِفَتُهُ وَ أَصْلَ مَعْرِفَتِهِ تَوْحِيدُهُ ... وذَاتُهُ حَقِيقَةٌ وَكُنْهُهُ تَفْرِقَةٌ بَينَهُ وَبَينَ خَلْقِهِ. [٢]

ويقول في مكان آخر:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الصَّمَدِ الْمُتَفَرِّدِ الَّذِي لَا مِنْ شَيْءٍ كَانَ وَلَا مِنْ شَيْءٍ خَلَقَ مَا كَانَ. قُدْرَةٌ بَانَ بِهَا مِنَ الْأَشْيَاءِ وَبَانَتِ الْأَشْيَاءُ مِنْهُ... إِبْتَدَعَ مَا خَلَقَ بِلا مِثالٍ سَبَقَ وَلا تَعَبٍ وَلا نَصَبٍ. وَكُلُّ صانِعِ شَيْءٍ فَمِنْ شَيْءٍ صَنَعَ وَاللهُ لا مِنْ شَيْءٍ صَنَعَ ما خَلَقَ. وَكُلُّ عالِمٍ فَمِنْ بَعْدِ جَهْلٍ تَعَلَّمَ، وَاللهُ لَمْ يَجْهَلْ وَلَمْ يَتَعَلَّمْ.... [٣]

ويقول في خطبة أُخرىٰ:

الْمُتَعَالِي عَنِ الْأَشْيَاءِ وَالضُّرُوبِ، الْوَتْرُ عَلَّامُ الْغُيُوبِ فَمَعَانِي الْخَلْقِ عَنْهُ مَنْفِيَّةٌ وَسَرَائِرُهُمْ عَلَيْهِ غَيْرُ خَفِيَّةٍ الْمَعْرُوف بِغَيْرِ كَيْفِيَّةٍ لَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ وَلا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ... لَمْ يَخْلُقِ الْأَشْيَاءَ مِنْ أُصُولٍ أَزَلِيَّةٍ. [٤]

ومن كلام له ﷺ:

---

١. ***الاحتجاج***، ج ١، ص ٢٠١.

٢. ***تحف العقول***، ص ٦١ ـ ٦٣.

٣. ***الكافي***، ج ١، ص ١٣٤، ح ١ (باب جوامع التوحيد)؛ ***التوحيد***، ص ٤١، ح ٣ (الباب الثاني: التوحيد).

٤. ***التوحيد***، ص ٧٩، ح ٣٤ (الباب الثاني)؛ ***بحار الأنوار***، ج ٤، ص ٢٩٤، ح ٢٢.

الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْعِبَادِ وَسَاطِحِ الْمِهَادِ ... فَالْحَدُّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ وَإِلَى غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ لَمْ يَخْلُقِ الْأَشْيَاءَ مِنْ أُصُولٍ أَزَلِيَّةٍ وَلاَ مِنْ أَوَائِلَ أَبَدِيَّة. [١]

وأخيراً، يقول في خطبة أُخرىٰ:

أَنْشَأَ صُنُوفَ الْبَرِيَّةِ، لَا مِنْ أُصُولٍ كَانَتْ بَدِيَّة .... [٢]

يقول العلامة المجلسي رحمه الله في توضيح قول الإمام عليه السلام:

لَمْ يَخْلُقِ الْأَشْيَاءَ مِنْ أُصُولٍ أَزَلِيَّةٍ. ردّ على الفلاسفة القائلين بقدم العقول والهيولى[٣].[٤]

يقول الإمام الباقر عليه السلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُحَيِّثِ الْحَيْثِ وَمُكَيِّفِ الْكَيْفِ وَمُؤَيِّنِ الْأَيْنِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ. [٥]

ويقول أيضا:

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خِلْوٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَخَلْقَهُ خِلْوٌ مِنْهُ، وَكُلُّ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ اسْمُ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ ـ عزّوجلّ فَهُوَ مَخْلُوقٌ. [٦]

---

١. ***نهج البلاغة***، الخطبة ١٦٣ ـ ٣٠٦.

٢. **بحار الأنوار**، ج ٤، ص ٣١٩، ح ٤٤ (الباب الرابع من كتاب التوحيد).

٣. الهيولا: المادّة الأولىٰ. (يونانية).

٤. **بحار الأنوار**، ج ٤، ص ٢٩٦.

٥. **بحار الأنوار**، ج ٤٦، ص ٣٤٧، ح ١ (الباب التاسع من تاريخ الإمام محمّدالباقر عليه السلام).

٦. ***التوحيد***، ص ١٠٥، ح ٤ (الباب السابع).

ونقرأ في دعاء الجوشن الكبير:

يَا غَالِباً غَيْرَ مَغْلُوبٍ، يَا صَانِعاً غَيْرَ مَصْنُوعٍ، يَا خَالِقاً غَيْرَ مَخْلُوقٍ: يَا مَالِكاً غَيْرَ مَمْلُوكٍ، يَا قَاهِراً غَيْرَ مَقْهُورٍ، يَا رَافِعاً غَيْرَ مَرْفُوعٍ، يَا حَافِظاً غَيْرَ مَحْفُوظٍ، يَا نَاصِراً غَيْرَ مَنْصُورٍ.... [١]

ويقول الإمام الرضاعليه السلام:

كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ، بِصُنْعِ اللَّهِ يُسْتَدَلُّ عَلَيْهِ وَبِالْعُقُولِ تُعْتَقَدُ مَعْرِفَتُهُ وَ بِالْفِطْرَةِ تَثْبُتُ حُجَّتُهُ... لا يَتَغَيَّرُ بانغيارِ المَخلُوقِ كَمَا لا يَتَحَدَّدُ بِتَحدِيدِ المَحدُودِ... بِتَشعِيرِهِ المَشَاعِرِ عُرِفَ أنْ لَا مَشعَرَ لَهُ وَبِتَجهِيرِهِ الجَوَاهِرَ عُرِفَ أَن لَا جَوهَرَ لَهُ وبِمُضَادَّتِهِ بَينَ الأشيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ وَبِمُقَارَنَتِهِ بَينَ الأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ، ضَادَّ النُّورَ بِالظُّلمَةِ والجَلَايَةَ بِالبُهَمِ وَالجُسُوءَ بِالبَلَلْ وَالصَّردَ بِالحَرُورِ مُؤَلِّفٌ بَينَ مُتَعادِياتِهَا مُفَرِّقٌ بَينَ مُتَدَانِيَاتِها دَالَّةٌ بِتَفرِيقِها عَلَى مُفَرِّقِها وَبِتَألِيفِهَا عَلَى مُؤَلِّفِها... فَكُلُّ مَا فِي الخَلْقِ لَا يُوجَدُ فِي خَالِقِهِ وَكُلّ مَا يُمْكِنُ فِيهِ يَمْتَنِعُ فِي صَانِعِهِ لَا تَجْرِي عَلَيْهِ الحَرَكَةُ وَالسُّكُونُ وَكَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ أَوْ يَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ إبْتَدَأَهُ إِذَنْ لَتَفَاوَتَتْ ذَاتُه وَلَتَجَزَّأَ كُنْهُهُ وَلَامْتَنَعَ مِنَ الأَزَلِ مَعْنَاهُ.... [٢]

كان الدكتور حسين خان وهزبر والدَّرويش منشدين إلىٰ الكلام العذب للسيّد صباحي وأسلوبه الخطابي المتين، أمّا الحاج صمد فكان يحرّك رأسه للدِّلالة علىٰ تصديقه لما يقول، والحاج محمّدعلي كان يحتضن ركبته، وقطرات دموع كانت

---

١. ***بحار الأنوار***، ج ٩١، ص ٣٩٠ (الباب ٥٢ من كتاب الذّكر والدعاء).

٢. ***عيون أخبار الرضا***عليه السلام، ج ١، ص ١٤٩، ح ٥١ (الباب الحادي عشر في التوحيد)؛ ***التوحيد***، ص ٣٤، ح ٢ (الباب الثاني: التوحيد ونفي التشبيه).

تسيل علىٰ وجنتيه.

واستمر السيّد صباحي: يقول رسول الله ﷺ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَانَ فِي أَوَّلِيَّتِهِ وَحْدَانِيّاً وَفِي أَزَلِيَّتِهِ مُتَعَظِّماً بِالْإِلَهِيَّةِ مُتَكَبِّراً بِكِبْرِيَائِهِ وَجَبَرُوتِهِ ابْتَدَأَ مَا ابْتَدَعَ وَأَنْشَأَ مَا خَلَقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ كَانَ سَبَقَ بِشَيْءٍ مِمَّا خَلَق. [1]

وكتب الإمام الرضا عليه السلام في رسالة إلىٰ فتح بن يزيد الجُرجاني:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ؛ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُلْهِمِ عِبَادَهُ الْحَمْدَ وَفَاطِرِهِمْ عَلَى مَعْرِفَةِ رُبُوبِيَّتِهِ الدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ وَبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَى أَزَلِهِ وَبِأَشْبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شِبْهَ لَهُ ... وَلَا يَحْجُبُهُ الْحِجَابُ فَالْحِجَابُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ لِامْتِنَاعِهِ مِمَّا يُمْكِنُ فِي ذَوَاتِهِمْ وَلِإِمْكَانِ ذَوَاتِهِمْ مِمَّا يَمْتَنِعُ مِنْهُ ذَاتُهُ وَلِافْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَالْمَصْنُوعِ وَالرَّبِّ وَالْمَرْبُوبِ وَالْحَادِّ وَالْمَحْدُود. [2]

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

فَرْدَانِيٌّ لَا خَلْقُهُ فِيهِ وَلَا هُوَ فِي خَلْقِهِ غَيْرُ مَحْسُوسٍ وَلَا مَجْسُوسٍ وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ.... [3]

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام:

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ إِذْ كَانَ الشَّيْءَ مِنْ مَشِيَّتِهِ، وَكَانَ لَا يُشْبِهُهُ مُكَوِّنُه .... [4]

---

١. *التوحيد*، ص ٤٤، ح ٤ (الباب الثاني: التوحيد ونفي التشبيه).

٢. *التوحيد*، ص ٥٦، ح ١٤ (الباب الثاني).

٣. *التوحيد*، ص ٥٨، ح ١٦.

٤. *بحار الأنوار*، ج ٩٤، ص ١١٣، ح ٨ (باب ٦٠ من كتاب الصوم).

ويقول الإمام الصادق عليه السلام أيضا:

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُحَسُّ وَلَا يُجَسُّ وَلَا يُمَسُّ وَلَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ الْخَمْسِ وَلَا يَقَعُ عَلَيْهِ الْوَهْمُ وَلَا تَصِفُهُ الْأَلْسُنُ فَكُلُّ شَيْءٍ حَسَّتْهُ الْحَوَاسُّ أَوْ جَسَّتْهُ الْجَوَاسُّ أَوْ لَمَسَتْهُ الْأَيْدِي فَهُوَ مَخْلُوقٌ .... [١]

الحاج خليل: يا سيّد صباحي؛ لقد تعبت؛ فهل ترغب في شرب الشاي؟

صباحي: شكراً؛ الإخوة الحضور، أيضا، يرغبون في ذلك.

الحاج محمّدعلي: إنَّ حديثك جذبنا كثيراً بحيث لم نعد نلتفت حتّىٰ إلىٰ السَّماور رغم رغبتنا في شرب الشّاي.

الحاج صمد: من المؤسف أنّ جهلنا يمنعنا من التلذّذ بهذا الكلام اللَّبِق البليغ، ولأنني لم أقرأ العربيّة، فَإنّني لا أستطيع أن أفهم هذا الكلام جيداً.

الدكتور حسين خان: نعم المشكلة مع الأسف في أنّه لاحظّ لنا من اللغة العربيّة ولا نريد أن نتعلم لغة مذهبنا هذه.

الدرويش: ما المانع لو تمّت ترجمة أقوال علماء الدِّين هذه إلىٰ الفارسية حتّىٰ يستفيد الأصدقاء منها بشكل كامل؟

الفيلسوف هزبر: يا عزيزى؛ من المستحيل أن ننقل تفاصيل كلام شخصيّة كبيرة إلىٰ لغة أُخرىٰ؛ علينا أن نصبح من أهل اللغة لنفهم تفاصيل الكلام.

السيد صباحي: نعم؛ هذا هو الصحيح.

الحاج خليل قدّم الشّاي للضّيوف، وقال للسيّد صباحي؛ في هذه الحالة، أرجو منك أن تبيّن لنا خلاصة كلام علماء الدِّين بلغة سهلة وبسيطة.

---

١. ***التوحيد***، ص ٦٠ ـ ١٧.

صباحي؛ نعم؛ لقد ارتأيت أن أنقل لكم كلام حجج الدِّين والعلماء الربانيّين حرفياً كما هو، ولكن ـ وبناء على طلبك وأصدقائنا الآخرين ـ سأعرض لكم خلاصة فهمي من أقوالهم، وخلاصة أقوالهم عليهم السلام هي كالتالي:

إنّ الفرق والمباينة بين الخالق والمخلوق والربِّ والمربوب كالفرق والمباينة بين الصِّفة والموصوف؛ فكما أنّ الصفة غير الموصوف، والموصوف غير الصفة، فالخالق، أيضا، غير المخلوق والمخلوق غير الخالق. وكما أنّ تحقّق الصِّفة واستمرارها غير ممكنٍ بدون الموصوف وليس للصِّفة استقلال بذاتها كذلك المخلوق يحتاج إلىٰ الذّات الإلهيّة المقدَّسة في حدوثه، وثباته وكيفيته وكميّته، ولا يستطيع أن يحفظ نفسه حتّىٰ بمقدار طرفة عين بدون مشيّة الخالق وإرادته.

إنّ الله هو خالق كلّ الأشياء والحافظ لها بالشكل الذي يريد وإلىٰ الزّمان الذي يشاء.

جميع النِّعَم، والقُدرة، والقُوّة، والحياة من لطفه وإحسانه، وجميع الموجودات محتاجة وفقيرة إليه ولا تملك شيئاً من ذاتها؛ ما يشاء يعطيهم، وفي أيّ وقت يشاء يسلبهم. أمّا التباين بين الخالق والمخلوق فليس تبايناً عُزلياً، أي أنّ المخلوق ليس له وجود مستقلّ بذاته، فحاجته إلىٰ الله لا تزول.

ويوجد في الأدعية الواردة عن الرَّسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، إشارات واضحة إلىٰ هذه الحقيقة؛ فمثلاً نقرأ في دعاء الجوشن الكبير:

يَا مَنْ كُلُ شَيْءٍ مَوْجُودٌ بِهِ... ويَا مَنْ كُلُ شَيْءٍ قَائِمٌ بِه. [1]

الحاج خليل: أيّها السّادة؛ لقد برد الشاي.

---

[1] *بحار الأنوار*، ج ٩١، ص ٣٨٨ (باب ٥٢ من كتاب الذكر والدعاء).

رفع صباحي فنجان الشّاي واحتسىٰ منه قليلاً، ثمّ قال: قال الرّسول الأعظمﷺ في خطبة الغدير: «**مُشَيِّءُ الشَّيء**»[1] (أي أنّ الله تعالىٰ، موجِدُ الشيء)، ثمّ أكملَ الشّاي ووضع الفنجان على الأرض وقال:

مع وجود المغايرة بين المخلوق والخالق، لا يحصل تحديد في ذاته المقدّسة فلا يُحدّ؛ بل إنّ التغيير والتّحديد والتّبديل يكون في الخلق.

خَلَقَ الأشياء كلّها، وجعل بينها التّضاد والتّنافر فجعل النّور ضدّ الظُّلمة، والبياض ضدّ السّوادِ، واليابس ضدّ الرّطب والحرارة ضدّ البرودة، والحركة ضدّ السُّكون، ليكون جَلياً بأنّه لا يوجد له أيّ ضدّ، وأنّه منزّه عن كلّ هذه الصّفات.

كما أنّه جعل بعض الأَشياء قريناً للبعض الآخر للدّلالة علىٰ أنّ ذاته المقدّسة ليس لها قرين. إذن، فإنّ ما يوجد في الخلق لا يسري على الخالق، وما هو ممكن في المخلوق ممتنع في الخالق.

لم يخلق الكائنات من الأصول الأَبديّة والموادّ الأزليّة والصُّوَر السَّرمديّة[2] السَّابقة، ولم يخلق الموجودات من أشياء كانت موجودة من الأزل وكانت لها صورة وهيئة؛ بل أنّه أبدع الخلق بإرادته وقدرته.

إنّ المخلوق ليس في مرتبة الله، وليس الله في مرتبة المخلوق، لا سبيل للحواس الظّاهرة والباطنة إليه، وكلّ ما يُدرك بالحواسّ فهو مخلوق، وليس كمثل الخالق شيء.[3]

في هذه الأَثناء، دخل الكربلائي جعفر وقال: سلام عليكم، الغداء جاهز.

الحاج خليل: متى شئتم، فإنّ الغداء جاهز.

---

١. **مستدرك سفينة البحار**، ج ٦، ص ٩٥ (لغة شيء).

٢. السَّرمد: الدائم. ليل سرمد: ليل دائم. السَّرمدي ما لا أوّل له ولا آخر (المترجم).

٣. لِلاطلاع راجع: كتاب (فلسفه وعرفان از نظر اسلام ٣٤٦ ـ ٣٦٠).

صباحي: إذن، إذا سمح السَّادة، نُصلّي، وبعد الإنتهاء من الطعام والإستراحة، سأواصل حديثي.

نهض الجميع وذهبوا إلىٰ جدول الماء الذي كان يجري بالقرب من البناية وانشغلوا بالتوضّوء. أمّا الدَّرويش، فقد سَرَّح شعر رأسه وتهيّأ للصَّلاة بعد الوضوء.

الحاج خليل: أَذَّن، وقدّم الجميع السيّد صباحي لإقامة الصَّلاة فانعقدت الجماعة، بعد الإنتهاء من صلاة الفريضة، قال الحاج خليل: تفضّلوا، فانّ الطعام سيبرد.

صُحون الباذنجان كانت متناثرة في أطراف المائدة، وبجانب كلّ صحن منها وضع صحن آخر للبن المطحون.[1] في وسط المائدة وضعت كميّة من العنب والشّمام، وصحون من العجّة بالخضار، وكاسان أو ثلاث من اللبن الرَّائب عالى الجودة.

انهمك الحضور في تناول الطعام بشهيّة مفرِطة بحيث قال الحاج صمد مازحاً: الحمد لله؛ هذه المائدة تلائم ذوق الدَّرويش وأهل الطَّريقة لأنّها خالية من اللَّحم ومن أيّ منتج حيواني!!

الحاج محمّدعلي: اللبن منتج حيواني، والعجة أيضا تحتوي على البيض وهو منتج حيواني، والصحيح أنّ الدَّرويش يأكل الباذمجان فقطَ حتّىٰ يستلذّ بالأكل.

تعالت أصوات ضحك الحضور، وقال الدَّرويش: لقد أصبحتُ منكم؛ فلنأكل معاً.

الحاج صمد: عندما تحفّ شاربك، وتحلق شعر رأسك، ستصبح مثلنا. مرّة أُخرىٰ، تعالت أصوات ضحك الحضور. الدَّرويش سأحفّ شاربي لأني ـ حقاً ـ

---

١. لَبَن ينشف بعد غليه (المترجم).

سئمت منه، ولكني سأبقي علىٰ شعر رأسي طويلاً لأنّ الرَّسول الأعظمﷺ كان شعره طويلاً.

الحاج صمد: لقد كان هذا العمل مقبولاً في عهد رسول اللهﷺ أمّا في زماننا، فإنّ الشَّعر الطويل يختص بفئتين، الأولىٰ: النِّساء، والثانية: الدَّراويش؛ ولهذا فانّ هاتين الفئتين متمايزتان.

الفيلسوف هزبر: يا حاج صمد؛ هناك فئة أُخرىٰ وهم يعيشون في بعض القُرىٰ.

سأل الدَّرويش بحرارة: ومن هم أولئك؟

هزبر: أولئك هم المطربون والرَّقاصون الذين يرتدون الملابس النسائيّة أثناء عملهم.

تعالت أصوات ضحك الحضور. أمّا الدَّرويش، فقد قال: يا سيّد هزبر؛ سَلُمت يداك!! إننّا لا نريد شعر الرأس أيضا.

الحاج صمد: إسمح لنا أن نطلب لك الحلاق.

الحاج خليل: إنّك تمزح؛ ربّما ينزعج الدَّرويش.

الفيلسوف هزبر: علينا أن نقيم احتفالاً مهيباً، ثمّ يتمّ إنجاز هذا العمل.

الدَّرويش: كلا؛ ليس الأمر هكذا إنّ كلام السيّد صباحي لم يكتمل بعد؛ إنّني مستعدّ لذلك بعد الإنتهاء من حديثه.

بعد الإنتهاء من تناول طعام الغداء، تمّ تقديم الشّاي للحضور.

الدكتور حسين خان: يا سيّد صباحي؛ الجمع يتمنّي أن تواصل حديثك.

الرَّد على الفلاسفة والصوفيّة

ذَمّ الصوفيّة في الرِّوايات

السيّد صباحي: بما أنّ خطر الطائفة الصوفيّة.والفلاسفة كثير جدّاً، أمر قادة الدّين الناس إلىٰ اجتنابهم والإبتعاد عنهم، وذمّوا المعتقدين بالفلسفة والتصوّف في ضمن أحاديثهم. قال الإمام الصادق عليه السلام:

فَتَبّاً وَخَيْبَةً وَتَعْساً لِمُنْتَحِلِي الْفَلْسَفَة.[1]

وقال الإمام العسكري عليه السلام لأبي هاشم الجعفري:

يَا أَبَا هَاشِمٍ سَيَأْتِي زَمَانٌ عَلَى النَّاسِ وُجُوهُهُمْ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ وَقُلُوبُهُمْ مُظْلِمَةٌ مُنَكَدِّرَةٌ[2] **... عُلَمَاؤُهُمْ شِرَارُ خَلْقِ اللَّهِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ لِأَنَّهُمْ يَمِيلُونَ إِلَى الْفَلْسَفَةِ وَالتَّصَوُّفِ وَأَيْمُ اللَّهِ إِنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْعُدُولِ وَالتَّحَرُّفِ يُبَالِغُونَ فِي**

---

١. ***بحار الأنوار***، ج ٣، ص ٧٥ (الباب الرابع: الخبر المشهور بتوحيد المفضّل بن عُمَر).

٢. وفي بعض النسخ ورد لفظ (مُتكدِّرة) و (مُكدَّرة). راجع: ***مستدرك الوسائل***، ج ١١، ص ٢٨٠، ح [١٣٣٠٨]؛ ***الهدايا لشيعة أئمّة الهدى***، ج ١ ص ١٠٠؛ ***إثبات الهداة***، ج ٤ ص ٢٠٤، ح ٢٤٨.

حُبّ مُخَالِفِينَا وَيُضِلُّونَ شِيعَتَنَا وَمَوَالِيَنَا فإنْ نَالُوا مَنْصَباً لَمْ يَشْبَعُوا عَنِ الرَّشَاءِ وَإنْ خُذِلُوا عَبَدُوا اللّهَ عَلَى الرِّيَاءِ أَلَا إِنَّهُمْ قُطَّاعُ طَرِيقِ الْمُؤْمِنِينَ وَالدُّعَاةُ إِلَى نِحْلَةِ الْمُلْحِدِينَ فَمَنْ أَدْرَكَهُمْ فَلْيَحْذَرْهُمْ وَلْيَصُنْ دِينَهُ وَإِيمَانَه.... [١]

يقول محمّد بن حسين بن أبي خطاب، وهو من كبار أصحاب الإمام الجواد والإمام الهادي والإمام العسكري عليهم السلام:

كُنْتُ فِي مَحْضَرِ الإمَامِ الهَادِي عليه السلام فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله فَأَتَاهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ مِنْهُم أَبُو هَاشِمِ الجَعْفَرِيّ وَكَانَ رَجُلاً بَلِيغاً وَكَانَتْ لَهُ مَنْزِلَةٌ عَظِيمَةٌ عِنْدَه عليه السلام، ثُمَّ دَخَلَ المَسْجِدِ جَمَاعَةٌ مِن الصُّوفِيَّةِ وَجَلَسُوا فِي جَانِبِهِ مُسْتَدِيراً وَأَخَذُوا بِالتَّهْلِيلِ.

فَقَالَ عليه السلام لَا تَلْتَفِتُوا بِهٰؤُلَاءِ الخَدَّاعِينَ خُلَفَاءَ الشَّيَاطِينَ وَمُخَرِّبُوا قَوَاعِدِ الدِّيْنِ يَتَزَهَّدُونَ لِرَاحَةِ الأَجْسَامِ وَيَتَهَجَّدُونَ لِتَصْيِيدِ الأَنْعَامِ ... أَوْرَادُهُم الرَّقْصَ وَالتَّصْدِيَةَ وَأَذْكَارُهُم التَّرَنُّمُ وَالتَّغْنِيَةُ، فَلَا يَتَّبِعُهُم إِلَّا السُّفَهَاءُ وَلَا يَعْتَقِدُهُم إِلَّا الحُمَقَاءُ، فَمَنْ ذَهَبَ إِلَىٰ زِيَارَةِ أَحَدٍ مِنهُم حَيّاً أَوْ مَيِّتاً فَكَأَنَّما ذَهَبَ إِلَىٰ زِيَارَةِ الشَّيْطَانِ، وَعِبَادَةِ الأَوْثَانِ وَمَنْ أَعَانَ أَحَداً مِنهم فَكَأَنَّما أَعَانَ يَزِيدَ وَمُعَاوِيَةَ وَأَبا سفيانَ.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: وَإِنْ كَانَ مُعْتَرِفاً بِحُقوقِكُمْ؟ قَالَ فَنَظَرَ إِلَيْهِ شِبْهَ مُغْضِبٍ وَقَالَ عليه السلام: دع ذَا عَنْكَ، مَن اعْتَرَفَ بِحُقُوقِنا لَمْ يَذْهَبْ فِي عُقُوقِنا، أَمَا تَدْرِي أَنَّهُم أَخَسّ طَوَايِفِ الصُّوفِيَّةِ، وَالصُّوفِيَّةُ كُلُّهُم مِن مُخَالِفِينَا

---

١. *حديقة الشيعة*، ص ٥٩٢، مستدرك سفينة البحار، ج ٨، ص ٢٩٩ (لغة فلسف).

وَطَرِيقَتُهُم مُغَايِرَةٌ لِطَرِيقَتِنَا وَإِنْ هُمْ إِلَّا نَصَارَىٰ وَمَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ. [١]

في هذه الأثناء، تغيّر لون الدَّرويش. وفي الوقت الذي كان يمسح لحيته بيده وبعض شاربه بأسنانه من شدَّة الغضب، قال: يا سيّد صباحي؛ هذا إفتراء وكذب؛ لم تنقل الكتب مثل هذا الكلام عن الأئمةعليهم السلام.

قال صباحي (وقد احمَرّ وجهه): إنّني لا أعرف إسمك حتّىٰ أخاطبك به. [٢]

فقال الدَّرويش (غاضباً): لقد سمّاني مَحرَم الأَسرار وقُطب الأقطاب وشيخ الطَّريقة بـ«المحروق» لشدة اتّصالي بالمعشوق واحتراقي في سبيله.

صباحي: إذن، فانّ إسمك محروق؛ أليس كذلك؟!

الحاج صمد: أيّها المحترم؛ ماذا كان إسمك الأصيل، إذن؟!

تعالت أصوات ضحك الحضور. ولكن السيّد صباحي استمرّ في كلامه، وأدار المجلس مرة أُخرىٰ، وقال:

يا سيّد محروق؛ لقد كذَّبتني ونسبت إليَّ الإفتراء، ولكن إذا كنت تقرأ الكتب الدينيّة قليلاًكنت مطّلعاً علىٰ أقوال قادة الدِّين في الردّ علىٰ هذه الفئة الضَّالّة، لم تُلقَّب بالمحروق، ولم تكن تعتبر نفسك متصلاً بالمبدأ، إنّ هذه المواضيع توجد

---

١. ***حديقة الشيعة***، ص ٦٠٢، وذكر هذا الحديث جمع آخر من العلماء كالسيّد المرتضى في ***التبصرة*** والمقدَّس الأردبيلي والعلّامة الخوئي في كتابه ***شرح نهج البلاغة***، ج ١٤، ص ١٧؛ وقد نقل صاحب كتاب ***التفتيش***، ص ١٢ هذا الخبر عن المحدِّث القمي في ***سفينة البحار***، ج ٣، ص ١٤٦ (لغة: صوف) وكتاب ***دلائل الربوبيّة***، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠؛ ***الاثنى عشرية***، ص ٢٨؛ ***الهدايا لشيعة ائمة الهدى***، ج ١، ص ٩٨ و ١١٠ و ١٢١ و ١٢٩؛ ***اكليل المنهج في تحقيق المطلب***، ص ١٢٩.

٢. هذه العبارة طلب أي عرّفني إسمك حتّىٰ أخاطبك به (المترجم).

في الكتب الفارسيّة لعلماء الشّريعة الأحمديّة[1].

إذا تصفّحت كتاب ***عين الحياة*** و ***حديقة الشيعة*** ستجد كيف يُعرِّف الأئمّةعليهم السلام وقادة الدِّين هذه الطائفة للناس، كما أنّ الكتب الروائيّة المكتوبة باللّغة العربيّة تحتوي علىٰ مواضيع كثيرة في هذا المجال.

الدَّرويش: لقد درست العربيّة، وأطَّلع على السّطوح[2] قليلاً، وحين هداني الله إلىٰ محضر الشّيخ دخلت هذه الطَّريقة.

الكربلائي جعفر ـ الذي كان واقفاً في زاوية متكئاً علىٰ شجرة الصفصاف وكان يتابع هذه المباحثة بإهتمام، وكان ينظر من طرف خفي أحياناً إلىٰ شعر ولحية الدَّرويش الطويلين ـ عندما سمع اسم ***حديقة الشيعة*** و ***عين الحياة***، إنبرى وقال: يا سيّد صباحي؛ هل إنّ هذين الكتابين جيّدان؟

صباحي: نعم؛ علىٰ جميع الناطقين باللّغة الفارسيّة أن يقتنوا هذين الكتابين.

الكربلائي جعفر: لقد ورثت من أبي الحاج محمّد صادق بعض الكتب، ولحسن حظي، وجدت هذين الكتابين بينها.

صباحي: يا كربلائي جعفر؛ هل يمكن أن تأتي لي بهذا الكتاب حتّىٰ اقرأه على السيّد محروق ليستلذّ به؟

الكربلائي جعفر: نعم يا سيّدي؛ أنّه في متناول اليد. ذهب مسرعاً، وبعد هنيئة جاء بكتابين قديمين ممزّقي الجلد، ووضعهما على الأرض في المجلس.

---

١. هكذا أورد في الاصل الفارسي للكتاب، ويقصد ـ بطبيعة الحال ـ الشّريعة المحمدية، لا المذهب الاحمدي القادياني الضال. (المترجم).

٢. السطوح: هو المستوى الثاني من الدراسة في الحوزات العلمية بعد المستوى الأوّل وهو «المقدّمات»، وقبل المستوى الثالث، وهو البحث الخارج.

أخذ صباحي كتاب **حديقة الشيعة** وفتحه، ثمّ قلّب بعض أوراقه، وقال أيّها السادة؛ هل تسمحون؟

الدكتور حسين خان والأخرون: تفضّل؛ أرجوك.

قرأ صباحي الحديثين السالفين من الإمام الهادي والإمام العسكري عليهما السلام، وقال: إنّني سعيد الوقت[1] إذ وجدت هذين الحديثين الشريفين في هذا الكتاب المكتوب باللّغة الفارسيّة، ثمّ قال: نُقل عن الإمام الرضا عليه السلام، وضع يده على سطر من الكتاب وأراه الدرويش، وقال: يا سيّد محروق؛ هل هذا صحيح؟ يقول الإمام الرضا عليه السلام في هذه الرواية:

مَنْ ذُكِرَ عِنْدَهُ الصُّوفِيَّةُ وَلَمْ يُنْكِرْهُمْ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ فَلَيْسَ مِنَّا وَمَنْ أَنْكَرَهُمْ فَكَأَنَّمَا جَاهَدَ الْكُفَّارَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ.[2]

صباحي: ماذا تقول يا سيّد محروق حول هذا الحديث؟

كان الدرويش يمعن النظر في الكتاب، وقد تغيّر لون وجهه، ولم يقل شيئاً.

صباحي: قال الإمام الرضا عليه السلام:

قَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا لِلصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام قَدْ ظَهَرَ فِي هَذَا الزَّمَانِ

---

١. هكذا ورد في الأصل الفارسي؛ وهذا القول شبيه بقول: سعيد الحظ.

٢. ***حديقة الشيعة***، ص ٥٦٢؛ ورد هذا الخبر أيضا في كتاب ***الروضات***، ص ٢٣٢ وفي كتاب ***التفتيش***، ص ١٠٨؛ عن المرحوم محدث القمي في ***سفينة البحار***، ج ٣، ص ١٤٤ (لغة: صوف)؛ وفي كتاب ***الإثنى عشريّة***، ص ٣٦ للشيخ حُرّ العاملي؛ وفي كتاب ***شرح نهج البلاغة*** للعلّامة الخوئي، ج ١٣، ص ٣٤٠؛ وفي ***الأنوار النّعمانية***، ج ٢، ص ٢٩٣ للمقدّس الأردبيلي والسيد الجزائري وقد نقله جمع من العلماء الأعلام بسند صحيح عن البزنطي وإسماعيل بن محمّد بن بزيع.

قَوْمٌ يُقَالُ لَهُمُ الصُّوفِيَّةُ فَمَا تَقُولُ فِيهِم قَالَ: إِنَّهُمْ أَعْدَاؤُنَا فَمَنْ مَالَ فِيهِم فَهُوَ مِنْهُمْ وَيُحْشَرُ مَعَهُمْ وَسَيَكُونُ أَقْوَامٌ يَدَّعُونَ حُبَّنَا وَيَمِيلُونَ إِلَيْهِمْ وَيَتَشَبَّهُونَ بِهِمْ وَيُلَقِّبُونَ أَنْفُسَهُمْ وَيُأَوِّلُونَ أَقْوَالَهُمْ أَلا فَمَنْ مَالَ إِلَيْهِمْ فَلَيْسَ مِنَّا وَإِنَّا مِنْهُمْ بِرَاءٌ وَمَنْ أَنْكَرَهُمْ وَرَدَّ عَلَيْهِمْ كَانَ كَمَنْ جَاهَدَ الْكُفَّارَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. [١]

كان الدَّرويش مطأطأ برأسه إلىٰ الأرض ودموعه جارية علىٰ لحيته البيضاء والسَّوداء.

وضع صباحي الكتاب جانباً، وقال: يا سيّد محروق؛ بعد كلّ هذه المباحثة، ألم يحن الوقت لترفع يدك عن الطَّريقة الصوفيّة وعن أولئك الذين يخالفون طريق الأنبياء عليهم السلام وتتمسَّك بأنوار عناية آل محمّد ﷺ، وتجعل الإمام الحجة «عجّل الله تعالىٰ فرجه الشريف» مرشدك وهاديك. [٢]

لا يزال الدَّرويش مطأطأ برأسه، ودموعه جارية علىٰ خدَّيه، وقد تأثَّر باقي الحضور من هذا الموقف كثيراً.

توجّه الحاج صمد نحو الحاج خليل، وقال:

هل تعرف حلّاقاً قريباً من هذه المنطقة ليأتي ويحلّق رؤوسنا ونحن بجوار هذا الماء الجاري؟

الكربلائي جعفر؛ نعم سيّدي؛ الأستاذ حسين حلّاق ماهر.

الحاج خليل: أُنظر؛ إذا لم يذهب إلىٰ المدينة، فليأت إلينا.

---

١. ***حديقة الشيعة***، ص ٥٦٢؛ ***التفتيش***، ص ٨؛ ***سفينة البحار***، ج ٣، ص ١٤٥؛ ***مستدرك الوسائل***، ج ١٢، ص ٣٢٣، ح ١٥ {١٤٢٠٥}.

٢. بدلاً من مرشدي الصوفيّة وأقطابهم وشيوخهم.

خرج الكربلائي جعفر مُسرعاً وبعد نصف ساعة، عاد ومعه رجل في العقد الرابع من العمر، طويل القامة، يحمل بيده حقيبة سوداء. فسلّم على الحاج خليل، فردّ عليه السلام، وقال له: تفضّل يا أستاذ حسين.

قدّم الكربلائي جعفر الشّاي للأستاذ حسين، وبعد أن شرب الشّاي، قال: هل من أوامر؟

الحاج خليل: نعم؛ انّ الأخوة يرغبون في حلق رؤوسهم.

الدكتور حسين خان: يا حاج صمد؛ ماذا تريد أن تفعل.

الحاج صمد: يا دكتور؛ أريد أن أحلق شعري.

الدكتور حسين خان إذن، انتظر. أخرج من حقيبته قنيّنة تحتوي على سائل معقّم وأعطاها للأستاذ حسين مع قِطَع من القِطْن، وقال: عَقّم شَفرة الحلاقة بهذا السَّائل المعقّم أولاً، ثمّ إحلق شعر رأسه.

الحاج صمد: نعم؛ وبعد تعقيم الشّفرة، أدخلها في هذا الماء الجاري حتّى يطهر أكثر.

تعالت أصوات الضحك.

لفَّ الأستاذ حسين قطعة من القماش الأبيض حول رقبة الحاج صمد، ثمّ طهّر الشفرة بماء الجدول تنفيذاً لطلب الدكتور وبدأ بحلَق شعر رأس الحاج صمد.

الحاج صمد: يا سيّد صباحي؛ أرجو أن تستمرّ في الكلام فأنا أسمعك.

السيّد صباحي: الآن، وحيث أنّك ابتليت بالشفرة، فإنّنا سنأكل الفواكه.

تعالت أصوات الضّحك، وبدأ الجميع بأكل الفواكه.

أخرج الدَّرويش غليونة وبدأ بالتَّدخين، ثمّ قال: بعد الحاج صمد، يأتي

دوري.

الأستاذ حسين: تفضّل؛ لقد انتهى.

المحروق: أريد ان تحلق شعر رأسي، ولكنّني خائف كثيراً لأنّ شعر رأسي كثيف جدّاً.

الأستاذ حسين: يجب أن أقصّ شعرك بماكنة الحلاقة أولاً، ثمّ أحلقه حتّىٰ لا تتألم.

الحاج صمد: نعم؛ ولكن إحلق شعره بدون استخدام الماء حتّىٰ لا يتألّم.

تعالت أصوات ضحك الجمهور.

المحروق: أنتم الذين أرجعتموني من الطريق الذي كنت قد سلكته فلا تؤذوني.

هزبر: يا سيّد محروق تركت الميدان بهذه السّرعة، وعُدت من الطَّريق الذي سلكته ؟!

المحروق: يا سيّد هزبر؛ لا أدري هل ذكرت كلامك هذا علىٰ سبيل المزاح أم إنك جادّ في ما تقول؟ ولكن وجدان وشرف الإنسان لا يسمحان بإنكار الحقّ بعد وجدانه، ولا يَدَعانه أن يقف أمامَه عن جهل ووقاحة.

في هذه السَّاعات القليلة التي كنت في خدمة السَّادة الكرام، وخاصة الفترة التي كان السيّد صباحي يشرح لنا أوامر وتعاليم الأئمّة المعصومين عليهم السلام استبصرت، حقاً.

الآن، اظن بانّه من منتهى القبح وعدم الحياء أن أوافق المُحتالين وقُطّاع طُرُق الدِّين، وأن أسلك طريقتهم، طريقة الضَّلال، وأغمض بصري عن الصِّراط المستقيم وطريق الأنبياء عليهم السلام.

تقدّم صباحي نحو المحروق، وقبّل جبهته، وقال: جزاك الله خيراً، ونوّر قلبك بأنوار عظمة حبيبه وأهل بيته وجلالهم عليهم السلام.

الحاج خليل: أخي السيّد محروق؛ لقد سررتني وأذهبت الغمّ والهمّ من قلبي؛ فمنذ تلك الليلة التي رأيتك تحت الشجرة قبيل صلاة الفجر، كنت أفكر كيف يمكن أن تتخلص من هذا الضّيق، وأحمدُ الله إذ تحققت أمنيتي.

الدكتور حسين خان: لقد كنّا نريد سعادته، ولأنه أخونا في الإيمان، فإنّ وظيفتنا الشرعيّة كانت تحتّم علينا أن ننقذه من مخالب ذئاب البشر.

الأستاذ حسين: يا سيّد؛ كيف تريد أن أحلق رأسك ولحيتك؟

المحروق: أحلق شاربي، وخفّف لحيتى بالمقص، فإنّني لم أضع الشفرة علىٰ وجهي طوال حياتي.

الدكتور حسين خان: يبدو أن السيّد محروق كان من المقدّسين والمتديّنين قبل أن يسلك هذا الطريق.

المحروق: نعم؛ إذا وفقني اللهِ لخدمتكم وسنحت لي الفرصة، سأوضح لكم سبب دخولي في هذا المسلك.

الحاج خليل: يا سيّد محروق؛ ماذا تريد أن تضع علىٰ رأسك بعد حلقه لنهيّئه لك؟

الحاج خليل: ضع قبعة علىٰ رأسه.

تعالت أصوات ضحك الحضور.

المحروق: حتّىٰ الآن: لم يستطيع أحد أن يضع قبّعة علىٰ رأسي.[1]

---

١. مَثَل ايراني معروف؛ والمقصود به الخديعة؛ فقولهم: وضعنا القبّعة علىٰ رأسه، أي خدعناه

الحاج صمد: إلّا شيخ الطَّريقة، وتحت الخِرقة!!

مرّة أُخرىٰ، لم يستطع الحضور أن يتمالكوا أنفسهم من الضّحك.

المحروق: في الواقع، أنّ حال وعمل وسلوك وتمثيل هذه الفئة، هي التي أضلّتني. ثمّ توجّه نحو الحاج خليل وقال: كنت صاحب متجَر في مدينتي، وكنت أضع قُبَّعَة علىٰ رأسي مع وشاح رماديّ اللون، وكنت أرتدي معطفاً طويلاً يصل إلىٰ ركبتي: ولكن الآن هنا، وحتّىٰ نذهب إلىٰ المدينة، سأبقي علىٰ هيئتي الحاليّة، وعندما نصل إلىٰ المدينة، سأشتري ما احتاج إليه.

الحاج خليل: يا سيّد محروق إنّني لا أُجامل؛ لقد جلبت معي من المدينة معطفاً خفيفاً أبيض اللّون حتّىٰ ارتديه إذا اتسخ المعطف الذي أرتديه. وعندي، أيضا وشاح وقبّعة؛ يمكن أن ترتديها ريثما نصل إلىٰ المدينة. ثمّ نادى: يا كربلائي جعفر؛ هات لي الوشاح والقُبَّعَة من حقيبتي الموجودة في زاوية الغرفة. قل لهم يعدّون طعام العشاء مبكّراً في أوّل الليل؟ فلربّما يرغب الضّيوف في الإستراحة مبكّراً.

أوصَلَ الكربلائي جعفر نفسه إلىٰ غرفة البناية بسرعة. ولم تمض فترة، وإذا به يُحضر وشاحاً بيجيّ اللّون بطول مترين، وقُبَّعَة كشميّرية جميلة واضعاً إيّاها في عُلبة وسط صينية.

نهض المحروق من مكانه وذهب إلىٰ جدول الماء، وبعد أن غسل وجهه ونشّفه، وضع القبعة علىٰ رأسه، وأسدل الوشاح علىٰ طرفي رقبته. هنّأه الجميع،

☜ وقول المرء لا أحد يستطيع أن يضع القبّعة علىٰ رأسي، أي لا أحد يستطيع أن يخدعني (المترجم).

وعبَّروا عن فرحهم وسرورهم.

الحاج خليل: لأنّنا نقترب من الغروب، وإذا كان الأخوة يرغبون في الحلاقة، أرجو تأجيل ذلك إلىٰ الغد.

الحضور: لا داعي لذلك، قد حلقنا رؤوسنا قبل فترة ولا نحتاج إلىٰ الحلاقة.

تمّ تقديم الشّاي، شربوا الشّاي، وذهبوا إلىٰ الغرفة، جلس صباحي عند طرف جدول الماء، واشتغل بالوضوء.

التَّطبيق والتّأويل في بحوث الفلاسفة والعرفاء

بعد الإنتهاء من أداء الصَّلاة، قال صباحي: قبل فترة كنت أطالع كتاب ***بحار الأنوار***، باب صفات العلماء، فوقع بصري علىٰ خطبة شريفة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام التي يذكر فيها صفات العالِم الحقيقي وصفات عالِم السّوء والتي تنطبق علىٰ الحكماء والعرفاء وأهل التصوّف؛ هل تسمحون لي أن أقرء ها.

قال الجميع: كما تشاء؛ تفضّل.

بدأ صباحي بتلاوة الخطبة الشّريفة حتّىٰ وصل إلىٰ هذا المقطع الذي يقول فيه الإمام عليه السلام:

وَآخَرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُـهَّالٍ وَأَضَـالِيلَ مِـنْ ضُلَّالٍ وَنَصَبَ لِلنَّاسِ أَشْرَاكاً مِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ وَقَوْلِ زُورٍ قَدْ حَمَلَ الْكِـتَابَ عَلَى آرَائِهِ (رأيه) وَعَطَفَ الْحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ يُؤْمِنُ النَّاسَ مِنَ الْعَظَائِمِ وَيُهَوِّنُ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ يَقُولُ أَقِفُ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ وَفِيهَا وَقَعَ وَيَقُولُ أَعْتَزِلُ الْبِدَعَ وَبَيْنَهَا اضْطَجَعَ فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ وَالْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ لَا يَعْرِفُ بَـابَ الْـهُدَى فَيَتَّبِعَهُ وَلَا بَابَ الْعَمَى فَيَصُدَّ عَنْهُ فَذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ فَأَيْـنَ تَـذْهَبُونَ فَأَنَّـى

تُؤْفَكُونَ وَالْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ وَالْآيَاتُ وَاضِحَةٌ وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ .... [١]

الحاج صمد: يا سيّد صباحي؛ كيف تنطبق هذه الخطبة عليهم؟

صباحي: لقد أخذ العرفاء من الفلاسفة المطالب الفلسفيّة، من اليونانيّين قبل المسيح عليه السلام ويرون بأنّ الله مصداق للوجود المُطلَق، وأنّ المخلوق وجود مقيَّد ومحدود، ويقولون بالسنخيّة بين الخالق والمخلوق، ويعتبرون المخلوق شعاع الوجود المطلق وظلّه، إنّهم يعتبرون جميع المخلوقات أطوار وشؤون الوجود المطلق، كما يعتبرون أنّ علمه تعالىٰ علّة للمكنات.

لقد أخذوا هذه الضَّلالات والجهالات من الفلاسفة الذين كانوا يعيشون قبل الإسلام والذين كانوا يجهلون العلوم الإلهيّة والمعارف الرَّبانيّة. ومن أجل خداع الناس، كانوا يُحمِّلون الآيات القرآنية والرِّوايات علىٰ مطالبهم هذه، في حين أنّهم لا يعتقدون لا بالقرآن الكريم ولا بأهل البيت عليهم السلام، بل يهتمّون بكلام اليونانيّين أكثر ممّا يهتمون بالقرآن والروايات.

إنّهم، ولكي تبدوا الآيات القرآنية مطابقة لآرائهم الفلسفية لجئوا إلىٰ الآيات المتشابهة وأوّلوا المحكمات وفقاً لها، ولم يقتدوا بأهل البيت عليهم السلام في تفسيرها.

إنّهم يتمسّكون في جميع إستدلالاتهم، أوّلاً بالدليل الناتج من أفكار وآراء وقياسات البشر، ثمّ يأتون بآية متشابهة ورواية متشابهة ويؤوّلونها وفقاً للبرهان النابع من ذهن البشر.

فمثلاً: نجد بأنّ الملّا صدرا الشّيرازي الذي كان يرىٰ بأنّ وجود الحقّ تعالىٰ

---

١. ***بحار الأنوار***، ج ٢، ص ٥٧، ح ٣٦ (الباب ١١ من كتاب العلم والعقل)؛ ***نهج البلاغة***، الخطبة ٨٧، صفحه ١٤٦.

هو عين وجود جميع الموجودات، تمسّك بقوله تعالىٰ: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾[1]،[2] في حين أنّ هذه الآية المباركة تتعلّق بأعمال وأفعال العباد التي يحصيها الله تعالىٰ، ويثبتها في صحائف أعمالهم، ويجازيهم في يوم القيامة وفقها.[3]

كما أنّه كان يرىٰ بأنّ الماهيّات الإمكانيّة أمور عدميّة، ويقول: أنّ حقائق الممكنات باقية علىٰ عدميّتها من الأزل إلىٰ الأبد. ولدعم إدّعائه هذا، يتمسّك بقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[4] وينقل عن الغزالي الناصبيّ بأنّه قال في تفسير هذه الآية:

فرأوا (العارفين) بالمشاهدة العيانيّة أن لا موجود إلّا الله وأنّ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ لا أنّه يصير هالكاً في وقت من الاوقات بل هو مالك أزلاً وأبداً.[5]

واستناداً إلىٰ الآيات الكريمة، فإنّه يمكن أن يقال إنّ لـ«الهلاك» عدّة معاني:

١ ـ الهلاك مقابل النّجاة، كما يستفاد من الآية المباركة: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾.[6]

والشاهد علىٰ هذا المعنى إحصاء المُهلكات مقابل المنجيات.

٢ ـ الهلاك بمعنى الفقدان؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾.[7]

---

١. الكهف، الآية ٤٩.

٢. *اسرار الآيات*، ص ٣٧.

٣. كما أشار إليه الإمام عليه السلام في *تفسير العياشي*، ج ٢، ص ٣٥٤، ح ٣٤ و ٣٥.

٤. القصص، الآية ٨٨.

٥. *الأسفار*، ج، ص ٣٤٢ (الفصل الثلاثون)؛ *احياء علوم الدين*، ج ١٢، ص ٧٤.

٦. الأنفال، الآية ٤٢.

٧. الحاقة، الآية ٢٩.

٣ ـ الهلاك يعني الفساد؛ كما يستفاد من قوله تعالىٰ: ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾.[١]

٤ ـ الهلاك بمعنى الموت؛ كما ورد في قوله تعالىٰ: ﴿إِنِ امْرُؤٌا هَلَكَ﴾.[٢] وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا الَّا الدَّهْرُ﴾.[٣] وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ...﴾.[٤]

ويستفاد من الرِّوايات الواردة في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، بأنّ المراد من ﴿هَالِكٌ﴾ في الآية المبارك هو المعنى الأوّل وهو الهلاك بمعنى النَّجاة. يقول الإمام الصادق عليه السلام:

كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَ الطَّرِيقَ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ.[٥]

ويقول عليه السلام ثمّ في رواية أُخرىٰ:

... إِلَّا مَنْ أَخَذَ طرِيقَ الحقّ.[٦]

ويقول الإمام الباقر عليه السلام:

كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا دِينَه والوَجْهَ الَّذي يُؤْتَى مِنْهَ.[٧]

وحسب هذه الرِّوايات، فإنّ المراد بـ«وجه الله» الطَّريق الذي يوصل العبد إلى الله.

---

١. البقرة، الآية ٢٠٥.

٢. النساء، الآية ١٧٦.

٣. الجاثية، الآية ٢٤.

٤. غافر، الآية ٣٤.

٥. *البرهان في تفسير القرآن*، ج ٤، ص ٢٩٤، ح ٦ {٨٢٠٩}.

٦. *البرهان في تفسير القرآن*، ج ٤، ص ٢٩٥، ح ٧ {٨٢١٠}.

٧. *البرهان في تفسير القرآن*، ج ٤، ص ٢٩٥، ح ٩ {٨٢١٢}.

ويقول الإمام الرضاعليه السلام:

... وَجْهُ اللهِ أَنْبِيَاؤُهُ وَرَسُولُهُ وَحُجَجُهُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِم هُمَ الَّذِيْنَ بِهِم يُتَوَجَّهُ إِلَىٰ اللهِ وَإِلَىٰ دِيْنِهِ وَمَعْرِفَتِهِ. [١]

ولهذا، فقد ورد في روايات كثيرة عن الأئمّة الأطهارعليهم السلام أنّهم قالوا:

نَحنُ وَجْهُ اللهِ. [٢]

أي أنّهم هم الصِّراط المستقيم الذي يوصل العبد إلىٰ الله، من هنا، فقد أُوِّل قوله تعالىٰ: ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [٣] في سورة الحمد، وقوله تعالىٰ ﴿الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾ [٤] في سورة طَه، بتلك الأنوار المقدَّسة، لأنّهم هم الوسيلة إلىٰ الهداية والمعرفة، وهم الذين يقولون عن أنفسهم:

بِنَا عُبِدَ اللَّهُ، وَبِنَا عُرِفَ اللَّهُ، وَبِنَا وُحِّدَ اللَّه. [٥]

وَلَوْلَانَا مَا عُرِفَ الله. [٦]

الْأَوْصِيَاءُ هُمْ أَبْوَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّتِي يُؤْتَى مِنْهَا. [٧]

ويمكن أن يكون «الهالك» في الآية المباركة بمعنى الفناء وزوال الخلق؛ كما

---

١. *البرهان في تفسير القرآن*، ج ٥، ص ٢٣٦، ح ٤ {١٠٣٢٢}.

٢. *البرهان في تفسير القرآن*، ج ٣، ص ٣٨٦، ح ٤ {٥٩٣٠}.

٣. *البرهان في تفسير القرآن*، ج ١، ص ١٠٧، ح ٣ {٢٧٠}، وح ٤ {٢٧١}، ج ٤، ص ٨٤٥، ح ٢ {٩٥٦٥}: **هو أمير المؤمنينعليه السلام ومَعرفته.**

٤. *البرهان في تفسير القرآن*، ج ٣، ص ٧٩١، ح ٨ {٧٠٩٠}: **اهْتَدَى إلىٰ وَلاَيتِنْا.**

٥. **الكافي**، ج ١، ص ١٤٥، ح ١٠ (باب النوادر من كتاب التوحيد).

٦. **بحار الأنوار**، ج ٢٥، ص ٥، ح ٧ (الباب الأوّل من أبواب خلقهم وطينتهم ... من كتاب الإمامة).

٧. **الكافي**، ج ١، ص ١٩٣، ح ٢ (باب أنّ الأئمّةعليهم السلام خلفاء الله عزّوجلّ).

في قوله تعالىٰ:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَ يَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾.[١]

أي أنّ كلّ ما في الأرض يفنى ويهلك، ويبقى وجه الله وهو الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله، والأئمّة الأطهار عليهم السلام.

انّ ظاهر هذه الآية المباركة يدلّ علىٰ أنّ جميع الناس سيموتون، إلّا أنّ ظاهر الآية الأُولىٰ يدلّ علىٰ فناء كلّ الأشياء والذي يمكن أن يكون إشارة إلىٰ فناء وزوال جميع المخلوقات قبل قيام السّاعة.

ولمّا كانت الآيتان المباركتان تحتملان المعنيين، فلا يصحّ حملها علىٰ أحد المعنيين إلّا بوجود دليل، وقد علمنا بأنّ الرّوايات الشّريفة تشير إلىٰ المعنى الأوّل لـ«الهلاك».[٢]

إذن، فالمعنى الذي أورده الغزالي الناصبيّ حول الآية المباركة يخالف المعنى الذي ورد في الرّوايات ذيل الآية؛ بل أنّه خلاف المحكمات وضروريات الدِّين. أمّا إذا أردنا أن نقوّي المعنى الثاني للآية من دون دليل قاطع فيجب أن نقول: إنّ المراد من فناء وزوال الخلق، هو فناؤه وزواله قبل يوم القيامة؛ كما يقول تعالىٰ:

﴿وَإِن مِن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.[٣]

وبقول الإمام الصادق عليه السلام:

هُوَ الْفَنَاءُ بِالْمَوْتِ أَوْ غَيْرِه.[٤]

---

١. الرحمٰن، الآيتان ٢٦ ـ ٢٧.

٢. أي: الهلاك بمعنى النجاة.

٣. الإسراء، الآية ٥٨.

٤. *البرهان في تفسير القرآن*، ج ٣، ص ٥٤١، ح ٦ {٦٤٠٧}.

ويقول الإمام الباقر عليه السلام:

... فَمَنْ مَاتَ فَقَدْ هَلَك.[١]

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام.

هُوَ المُفْنِي لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا وَلَيْسَ فَنَاءُالدُّنْيَا بَعْدَ ابْتِدَاعِهَا بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا وَاخْتِرَاعِهَا ... وَإِنَّ الله سُبحانَهُ يَعُودُ بعدَ فَناءِ الدُّنيا وَحدَهُ، لا شَيءُ مَعَهُ كَما كانَ قَبلَ ابتَدائِها كَذلِكَ يَكُونُ بَعدَ فَنائِها بِلا وَقت وَلا مَكَانٍ وَلا حِينٍ وَلا زَمَانٍ، عُدِمَت عِندَ ذلِكَ الآجَالُ وَالأَوقَاتُ، وَزَالَتِ السِّنُونَ وَالسَّاعاتُ فَلَا شَيءَ إلّا اللهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ... ثُمَّ يُعيدُها بَعدَ الفَنَاءِ مِن غَيرِ حَاجَةٍ مِنهُ إِلَيها ....[٢]

وكتب الإمام الجواد عليه السلام في كتابه إلىٰ «علي بن مهزيار» حول الله تعالىٰ:

يَاذَا الَّذي كَانَ قَبْلَ كُلِّ شَيء، ثُمَّ خَلَقَ كُلَّ شَيءٍ، ثُمَّ يَبقَى وَيَفْنَى كُلُّ شَيءٍ ....[٣]

وقال الإمام الصادق عليه السلام في رَدّه علىٰ سؤال أحد الزّنادقة حول تلاشي الرُّوح بعد خروجه من البدن:

... بَلْ هُوَ بَاقٍ إِلَى وَقْتٍ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَعِنْدَ ذَلِك تَبْطُلُ الْأَشْيَاءُ وَتَفْنَى فَلَا حِسَّ وَلَا مَحْسُوسَ ثُمَّ أُعِيدَتِ الْأَشْيَاءُ ....[٤]

---

١. ***البرهان في تفسير القرآن***، ج ٣، ص ٥٤١، ح ٥ {٦٤٠٧}.

٢. **نهج البلاغة**، الخطبة ١٨٦، صفحه ٣٦٤؛ **الاحتجاج**، ج ١، ص ٢٠٤.

٣. **التوحيد**، ص ٤٧، ح ١١ (الباب الثاني).

٤. **الاحتجاج**، ج ٢، ص ٣٥٠.

يجب أن تدقّقوا بأنّ قول المعصوم عليه السلام: «**خُلِقْتُمْ لِلْبَقَاءِ لاَ لِلْفَنَاء**»[١] لا يتنافى مع موضوع بحثنا لأنّه يمكن أن يكون المراد من هذا القول هو أنّكم خُلِقتم للبقاء وهو عالَم الآخرة لا للدّنيا الفانية، إذن، فانّ جميع هذه الرّوايات، وروايات كثيرة أُخرىٰ لم نذكرها، تَرُدُّ تفسير الغزالي للآية الكريمة.

مع هذا التّوضيح، أصبح جليّاً أنّ الفلاسفة كيف يفسّرون القرآن الكريم برأيهم ويحملون الحقّ علىٰ لرأيهم ونظرهم. وأصبح جليّاً ـ أيضا ـ بأنّ علومهم ليست سوى أباطيل تصغِّر كبائر الذنوب في نظر الإنسان، وتُصوّر للعاصي نجاة استثناياً رائعاً، لأنّهم يرون بأنّ جميع الأفعال مخلوقة لله!!! وعلىٰ هذا الأساس، فإنّ عقاب المذنبين يكون أمراً قبيحاً في نظرهم، وقد لجأ محيى الدِّين إلىٰ تأويل ذلك بقوله:

أهل العذاب يتلذّذون في النار.[٢]

ويقول أبو يزيد البسطامي:

إذا فرّقت بين أهل الجنة وأهل النار، فقد خرجت من زُمرة المتوكلّين.[٣]

ولكنّ الله المتعال يقول في كتابه العزيز:

﴿**لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ**﴾.[٤]

ويقول تعالىٰ:

﴿**وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۞ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ۞ وَلَا الظِّلُّ وَلَا**

---

١. ***غرر الحكم ودُرَر الكلم***، ص ٢٧٢.

٢. ***تحفة الأخبار***، ص ٣١٧ و ٣١٨.

٣. ***مصباح الهداية***، ص ٣٩٨.

٤. الحشر، الآية ٢٠.

الْحَرُورُ﴾.[١]

يقول الملّا صدرا في تفسيره:

تحصل الآخرة بزوال التعيّنات، أي زوال الحدود وقيود الوجود، فيصبح الوجود مطلقاً، كما تصل القطرة إلىٰ البحر فتصبح بحراً.[٢]

ويفسّر كلٌّ من الملّا الروّمي وشاه نعمة الله كلمة «الإسترجاع» في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا لِلّهِ وإِنّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ﴾.[٣] بهذه الطَّريقة.[٤]

وقد ورد مثل هذا التأويل في الأية: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾[٥] وفي الآية: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾[٦]،[٧] على الرَّغم من أنّ الآية الأولىٰ تتعلقّ ببعث الخلائق في محكمة العدل الإلهي، وأنّ المحسنين يذهبون إلىٰ الجنة، والمسيئين يرجعون إلىٰ النَّار،[٨] كما يقول تعالىٰ في الآية: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾.[٩]

ويقول تعالىٰ بشأن حشر جميع الخلائق:

---

١. فاطر، الآيات ١٩ ـ ٢١.

٢. ***تفسير سورة الواقعة***، ص ١٥.

٣. البقرة، الآية ١٥.

٤. ***المثنوي***، الدّفتر الأوّل، ١٠٢؛ ***طرائق الحقائق***، ج ٣، ص ٤٤.

٥. العلق، الآية ٨.

٦. النجم، الآية ٤٢.

٧. ***الحكمة المتعالية***، ج ٢، ص ٢٧٢؛ ***مفاتيح الغيب***، ص ٤٣٨ ***والحكمة المتعالية***، ج ٧ ص ١٠٤؛ ***مفاتيح الغيب***، ص ٤٤٦.

٨. ***التبيان في تفسير القرآن***، ج ١٠، ص ٣٨١.

٩. الصافات، الآية ٦٨.

﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمٰنِ عَبْداً * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَاعَدَّهُمْ عَدّاً وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً﴾.[١]

أمّا الآية الثانية، وهي: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ تتعلّق بوجوب سكوت الناس عن الحديث عن ذات الحقّ المقدّسة وصفاته وأفعاله بناءً علىٰ آرائهم وأفكارهم وعقولهم وفَهْمِهِم وشُعُورهم لأنّه لا سبيل لعلم وعقل وفهم وشعور الخلق إلىٰ ذاته المقدَّسة، وتدلّ الرِّوايات الواردة في تفسير هذه الآية المباركة علىٰ هذا المعنىٰ صريحاً.[٢]

إنّ تمسّك هذه الفئة بالآيات المتشابهة، وتأويلها وتوجيهها وتطبيقها علىٰ آرائهم ونظرياتهم يشبه تمسّك مخالفي الشيّعة بظواهر القرآن الكريم؛ حيث قال رئيسهم ومؤسّسهم «حَسبُنَا كِتَابُ اللهِ»[٣] ولم يعتن بكلام أمير المؤمنين عليه السلام.

وبهذه الطَّريقة يستدلّ القائلون بالتجّسيم ـ وهم الذين يعتبرون الله جسماً ـ بالآية المباركة: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾[٤]؛ في حين يقول الإمام الثامن عليه السلام، المراد «**وجاءَ أمْرُ ربِّك**».[٥]

وبهذه الطَّريقة أيضا، يستدلّ القائلون بطهارة وحلّية طعام اليهود والنَّصارى للمسلمين ـ حتّىٰ إذا كان لحماً وسَمْناً ـ بظاهر الآية الشّريفة: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوْتُوا

---

١. مريم، الآيات ٩٣ ـ ٩٥.
٢. ***البرهان في تفسير القرآن***، ج ٥، ص ٢٠٦، ح ١ {١٠٢٣٥}.
٣. **الأمالي** للمفيد، ص ٣٤، ح ٣ (المجلس الخامس).
٤. الفجر، الآية ٢٢.
٥. ***البرهان في تفسير القرآن***، ج ٨، ص ٢٨٢، ح ١٢.

الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾[١]، على الرَّغم من وجود روايات كثيرة في كتب الحديث المعتبرة تدلّ على أنّ المراد بـ«الطعام» في الآية المباركة هو الأُرز والحنطة والحمص والعدس ونحوها من الحبوبات.[٢]

ونظيرُه، إستدلال بعض مخالفي الشّيعة بالآية الكريمة: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ الَّلاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾[٣] على أنّ المراد من الآية المرأة التي ترضع طفلاً يحرم نكاحها سواءً كان الحليب قليلاً أو كثيراً. وأمّا روايات أهل البيت عليهم السلام لا تحرم النكاح، بمجرّد الرضاع بل إنّ مقداراً معيَّناً منه يوجب الحرمة.[٤]

وأخيراً، وفي السِّياق ذاته، يستدلّ الشبستري بالآية الكريمة: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[٥] وبالآية المباركة: ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾[٦] على أنّ العبادة ـ من أيّ شخص حصلت وبأيّة صورة ـ تكون عبادة الله[٧]، وهذا يعني بأنّ عبادة البقر والصَّنم والشَّمس والقمر وغيرها كلّها عبادة الله، فتخيّل أنّ معنى «قضىٰ» أمرٌ تكويني، وافترى على الله.[٨]

---

١. المائدة، الآية ٥.

٢. *البرهان في تفسير القرآن*، ج ٢، ص ٤٠٢، ح ١ فما بعد.

٣. النساء، الآية ٢٣.

٤. راجع: *مجمع البيان*، ج ٣، ص ٤٧؛ *وسائل الشيعة*، ج ٢٠، ص ٣٧٤ (الباب الثاني من ابواب ما يحرم بالرضاع ...).

٥. الإسراء، الآية ٢٣.

٦. البقرة، الآية ١١٦.

٧. *حق اليقين*، ص ٧.

٨. نقل صاحب كتاب *روضات الجنّات*، ص ٣٣ عن ابن عربي كلاماً حاصلُه (ان الله تبارك

أنّه لَمِن الواضح بأنّ ﴿قَضَىٰ﴾ في الآية المباركة يعني الأمر والحكم التشريعي، خاصة مع ملاحظة ذيل الآية المباركة: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ أي إنّ الله حكم أن لا تعبدوا إلّا إيّاه، وحكم بالإحسان إلىٰ الوالدين؛ وقد وردت رواية عن أمير المؤمنين عليه‌السلام بهذا الشأن.[١]

أمّا المراد بـ«القنوت» في الآية الثانية فهو الخشوع والخضوع، وقد إعتبروا هذه الآية المباركة نظير الآية المباركة: كـ﴿وَإِن مِن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾.[٢]

ويجب العلم بأنّ استدلال الفلاسفة والصوفيّين أسوأ من استدلال المخالفين لظواهر الآيات الكريمة؛ لأنّ هؤلاء يحملون الآيات المتشابهة علىٰ معانٍ لا يمكن ان يفهمها أي عقل سليم منها، بل إنّه يرىٰ آيات وروايات كثيرة خلاف ذلك، ويشهد العقل والفطرة السّليمة علىٰ فساد وبطلان ذلك؛ فالويل لأولئك الذين ضلّوا وأضلّوا الآخرين، وضَرَبوا بالمِعْوَل جذور الإسلام لأنّهم روّجوا هذه الشُّبهات والضَّلالات بين الناس ووضعوا أقدامهم موضع الهداية المختصّة بصاحب الشَّريعة وسماء الفقه والدِّيانة ولم يخجلوا من صاحب العصر والزَّمان الذي تكون حياتهم بحياته، فأكلوا حقَّه وضيّعوا حقوقه.

وتعالىٰ لم يكفّر النَّصارى لأنّهم قالوا بألوهيّة، عيسىٰ عليه‌السلام بل كفرّهم لأنّهم حصروا الله في عيسى خاصة) وادّعى لنفسه مقام الولاية الختميّة وقال أنّ الولاية خُتمت به وانّ الأنبياء حضروا عنده لتهنئته بهذا المقام، وقال أيضا انّ جميع الأنبياء يقتبسون العلم من خاتم الأنبياء وجميع الأولياء يقتبسون من خاتم الأولياء وان خاتم الأولياء أفضل من سائر الأولياء في الولاية، وقال أيضا ان أهل جهنم يتنعّمون بالنّار ويرتاحون فيها.

١. *البرهان في تفسير القرآن*، ج ٣، ص ٥١٦، ح ١ {٦٢٩٤}.

٢. الإسراء، الآية ٤٤.

في هذه الأَثناء، قال الحاج خليل: يا سيد صباحي؛ لقد تعبت، هل تسمح أن أقدّم الشّاي لك ولباقي الأصدقاء؟

أجاب صباحي: حسنة وسؤال[١]؟!! أشكرك؛ تفضّل علينا.

جاءوا بصينيّة الشّاي. بعد شُرب الشّاي انشغل البعض بالتدخين، فجأة، دخل الكربلائي جعفر وقال للحاج خليل: أمّ محمّد مصابة بالحمى.

الحاج خليل: يا دكتور؛ إنّ زوجة الكربلائي جعفر مصابة بالحمى.

الدكتور: إذا أمكن، إيتوني بها لمعاينتها. وإذا لا تستطيع، أذهب أنا إليها.

ذهب الكربلائي جعفر، وبعد فترة قصيرة جاء ومعه زوجته.

أخرج الدكتور مقياس الحرارة من جيبه، وأعاطاه للكربلائي جعفر وقال له: ضعه تحت لسان المريضة. بعد عدّة دقائق، ظهرت درجة الحرارة، فقال: هيؤوا بمقدار ليتر من محلول الصعصاف والعِنَب، فإذا طلبت الماء، اسقوها من ذلك المحلول لأنّه علاج ناجح لقطع الحرارة. وإذا شئتم، يمكنكم طحن مقدار من الثوم مع بيوص الرجلة[٢] واعصره تدريجياً، وقدّم العصير لزوجتك فهو مخفض جيّد للحرارة. أما طعامها فيجب أن يكون حَسَاء البقوليات مع السّباغ والكزبرة.

أمسَك الكربلائي جعفر يَد زوجته وذهب شطر منزله. وبعد هنيئة عاد وقال: يا دكتور؛ هل تسمح.

الدكتور: تفضّل.

---

١. مَثَل يُضرب لمن يريد أن يقدّم عملاً حسناً، ثم يسأل: هل يَقدِم به أم لا؛ لأنّ الخير لا يحتاج إلىٰ سؤال. (المترجم).

٢. الرجلة: بقلة معروفة.

الكربلائي جعفر: منذ عدّة أيّام، ظهرت علىٰ جلدي بعض البُثور[١]، ولا أدري ما سبب ذلك.

حَبس الدكتور نبضه، وبعد المعاينة، قال: يا كربلائي جعفر؛ عليك أن تصفّي دمك؛ هل توجد هنا صيدلية.

الحاج صمد: يا دكتور: أرجو أن تصف لأهل هذه القرية الأدوية العشبيّة القديمة التي يمكن الحصول عليها.

الدكتور: بكل سرور [ثمّ توجه نحو الكربلائي]: عليك أن تأكل الخس كثيراً لأنّه يصفّي الدم، كما أنّ الرُّمان والعُنّاب مفيدان جداً هناك فوائد كثيرة في العنّاب[٢]؛ فإنّه يصفّ لون البشرة ويجملها، ويصفّي الصدر، وينظّف أخلاط المعدة، كما يصفي الدَّم كما أن «الزرشك»[٣] جيّد جداً لتصفية الدَّم.

بعد أن شرب صباحي الشّاي قال: اسمحوا لي أن أستمرّ في الحديث.

التَّفسير بالرأي

القرآن الكريم قرين العترة الطاهرة، ولن يفترقا أبداً، ولا يجوز التمسّك بأحدهما دون الآخر. الآن وبعد التأكيد علىٰ هذه الحقيقة، أقول لقد نهى الرَّسول الأعظمﷺ والأئمّة الأطهارعليهم السلام من تفسير القرآن الكريم بالرَّأي والفكر من غير

---

١. البثور: مفردة بثرة وهو الخراج الصغير، والخراج كل ما يخرج بالبدن كالدُّمَل.

٢. العُنّاب: جنس شجر من فصيلة النَّبتيّات، أجوده الأحمر الحلو؛ يستعمل علاجاً.

٣. الزرشك: البربريس، وهي شجرة من فصيلة البربريسيات؛ كثيرة الأزهار، يزرع بعض أنواعها للزينة، وبعضها لِلإستعمال في الطبّ؛ منتشرة في إيران (المترجم).

الرجوع إلىٰ تفسير أهل البيت عليهم السلام. وقد أجمع العامّة والخاصّة[١] علىٰ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي كِتَابَ اللَّهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْض.[٢]

وعليه، فإنّ من يأخذ ببعض الآيات المتشابهة ويؤوّلها حسب رأيه، يكون قد خالف تعاليم الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السلام؛ بل أنّه لم يؤمن بالله لأنّ الله يقول في حديث قدسي:

مَا آمَنَ بِي مَنْ فَسَّرَ بِرَأْيِهِ كَلَامِي.[٣]

وعندما أرسل أمير المؤمنين عليه السلام ابن عبّاس رضي الله عنه إلىٰ الخوارج، قال له:

لَا تُخَاصِمْهُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَّالٌ ذُو وُجُوهٍ، تَقُولُ وَيَقُولُونَ، وَلَكِنْ حَاجِجْهُمْ بِالسُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصاً.[٤]

وقال الإمام الباقر عليه السلام لقتادة، فقيه أهل البصرة:

وَيْحَكَ يَا قَتَادَةُ إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا فَسَّرْتَ الْقُرْآنَ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِكَ فَقَدْ هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَخَذْتَهُ مِنَ الرِّجَالِ فَقَدْ هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ ...إِنَّمَا يَعْرِفُ الْقُرْآنَ مَنْ خُوطِبَ بِهِ.[٥]

---

١. يقصد بالعامة السُّنة، وبالخاصّة الشّيعة.

٢. ***بحار الأنوار***، ج ٢، ص ١٠٠، ح ٥٩ (الباب ١٤ من كتاب العلم).

٣. ***التوحيد***، ص ٦٨، ح ٢٣ (الباب الثاني).

٤. ***نهج البلاغة***، الرّسالة ٧٧، صفحه ٦١٨.

٥. ***الكافي***، ج ٨، ص ٣١١، ح ٤٨٥؛ ***بحار الأنوار***، ٢٤، ص ٢٣٧، ح ٦.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

... وَمَنْ فَسَّرَ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ فَقَدِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِب.[١]

وقال الإمام الباقر عليه السلام:

... فَلَيْسَ يَعْلَمُه غيرُنا.[٢]

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله في خطبة أيضا:

... إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ عَلَيَّ الْقُرْآنَ وَهُوَ الَّذِي مَنْ خَالَفَهُ ضَلَّ وَمَنِ ابْتَغَىٰ عِلْمَهُ عِنْدَ غَيْرِ عَلِيٍّ هَلَكَ.[٣]

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

... ومَنْ فَسَّرَ آيةً مِنْ كتابِ الله فَقَدْ كَفَرَ.[٤]

وقال الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

... أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُتَمَسِّكُ الَّذِي بِتَمَسُّكِهِ يَنَالُ هَذَا الشَّرَفَ الْعَظِيمَ هُوَ الَّذِي أَخَذَ الْقُرْآنَ وَ تَأْوِيلَهُ عَنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، أَوْ عَنْ وَسَائِطِنَا السُّفَرَاءِ عَنَّا إِلَى شِيعَتِنَا، لَا عَنْ آرَاءِ الْمُجَادِلِينَ وَقِيَاسِ الْقَائِسِين.[٥]

وهناك الكثير من أمثال هذه الأحاديث والرِّوايات المذكورة في كتبنا الحديثيّة وهذه الأحاديث تمنع بشدِّة تفسير القرآن بدون الرُّجوع إلىٰ أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام.

---

١. ***وسائل الشيعة***، ج ٢٧، ص ١٩٠، ح ٣٧ {٣٣٥٦٨}.

٢. ***تفسير القمي***، ج ٢، ص ٤٢٥ ذيل سورة الليل.

٣. ***وسائل الشيعة***، ج ٢٧، ص ١٨٦، ح ٢٩ {٣٣٥٦٠ }.

٤. ***وسائل الشيعة***، ج ٢٧، ص ٢٠٣، ح ٦٧ {٣٣٥٩٨}.

٥. ***تفسير الإمام العسكري عليه السلام***، ص ١٤.

انّ الله أودع علوم ومعارف القرآن الكريم عند الأئمّةعليهم السلام لأنّه كان يعلم بأنّ القوم سيغصبون الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؛ حتّىٰ لا يدّعي الغاصبون بأنّهم يعرفون علم القرآن الكريم ولكي يضطرّوا إلىٰ الرّجوع إلىٰ أهل البيتعليهم السلام. وبهذا فتح الله طريق معرفته والسّعادة للبشريّة.

قد ذكّرنا أميرُ المؤمنينعليه السلام والإمامُ الصادقعليه السلام بهذا الأمر؛ وكما نقلنا سابقاً فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ عَلَيَّ الْقُرْآنَ وَهُوَ الَّذِي مَنْ خَالَفَهُ ضَلَّ وَمَنِ ابْتَغَى عِلْمَهُ عِنْدَ غَيْرِعَلِيٍّ هَلَكَ ـ إلي أن قال بعد مدح اهل بيتهعليهم السلام: ـ وَمَنْ أَكْرَمَهُمْ أَكْرَمَنِي وَمَنْ نَصَرَهُمْ نَصَرَنِي وَمَنْ خَذَلَهُمْ خَذَلَنِي وَ مَنْ طَلَبَ الْهُدَى فِي غَيْرِهِمْ فَقَدْ كَذَّبَنِي ....[١]

إنّ جميع هذه الرّوايات تمنعنا من التّفسير بالرّأي، وتُلزمنا الرّجوع إلىٰ أهل البيتعليهم السلام في تفسير القرآن الكريم.

كتُب أصحاب الأئمّةعليهم السلام في الرّد على الفلاسفة والمتصوّفة

المحروق: يا سيّد صباحي، أرجو أنْ تتحدّث قليلاً ـ إنْ أمكن ـ عن كتب ومؤلّفات كبار الشّيعة حول الفلاسفة والصوفيّة لنستفيد.

السيّد صباحي: كثير أولئك الذين لهم مؤلّفات حول هذا الموضوع؛ من بينهم الثّقة الجليل هشام بن الحكمرحمه الله الذي كان من خواصّ أصحاب الإمام الصادقعليه السلام، لقد أشكل على الفلاسفة وأورد ايرادات كثيرة عليهم، وقد ذكر

---

١. *الأمالي* للصدوق، ص ٦٥؛ *بحار الأنوار*، ج ٣٨، ص ٩٤، ح ١٠ (الباب ٦١ من كتاب الإمامة).

الشَّيخ الكشّي رحمه الله هذا الموضوع في ترجمة أحوالاته، كما ذكر الشَّيخ النجاشي رحمه الله أيضاً كتبه حول هذا الموضوع.[١]

ويُعتبر هشام بن الحكم رحمه الله أحد كبار أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، وقد أجمع الفقهاء والعلماء علىٰ منزلته ووثاقته وعلوّ شأنه، وعلمه وكماله عند الإمام الصادق والإمام الكاظم عليهما السلام.

ومن بين أولئك، أيضا، الثّقة الجليل والفاضل الكامل الكبير حسين بن سعيد الأهوازي رحمه الله، وكان من كبار أصحاب الإمام الرِّضا والإمام الجواد عليهما السلام؛ وقد ألّف (٣٠) كتاباً من بينها كتاب ***الرّدّ على الصوفيّة والغالية***، كما نُقل عنه في كتاب ***التّفتيش***.[٢]

ومنهم الثِّقة الجليل، والفاضل الكبير، والمتكلّم الفقيه جناب[٣] فضل بن شاذان النيشابوري رحمه الله، وهو من كبار أصحاب الإمام الرِّضا، والإمام الجواد، والإمام الهادي، والإمام العسكري عليهم السلام؛ وقد ألّف (١٨٠) كتاباً، من بينها كتاب في ***الرّد على الفلاسفة***[٤]؛ وكتب في النقض علىٰ منتحلي الفلسفة كتاباً في التوحيد بإسم ***الأعراض والجواهر***.[٥]

ومنهم، جناب سعيد بن عبدالله القمي رحمه الله الذي كان من كبار أصحاب الإمام

---

١. ***رجال الكشّي***، ج ٢، ص ٥٣٠، رقم ٤٧٨.

٢. ***التفتيش***، ص ٧٦. وقد عدّ (١٢٤) كتاباً في الردّ على الصوفيّة وورد ذكر هذا الكتاب في رقم (٧٣).

٣. جناب: ما قرب من محلّة القوم. (المترجم).

٤. ***رجال النّجاشي***، ص ٣٠٦، رقم [٨٤٠].

٥. ***تنقيح المقال***، ج ٢، ص ٩، رقم {٩٤٧٢} (كتاب الرَّد علىٰ محمّد بن كرام وكتاب الرَّد علىٰ أحمد بن الحسين).

العسكري عليه السلام، وتشرَّف بلقاء الإمام الحجة «عجل الله تعالىٰ فرجه الشريف».

وكذلك الشّيخ الأَجلّ، حسن بن موسى النوبختي رحمه الله الذي كان حيّاً في زمن الغيبة الصّغرى.[1]

وكذلك، الشّيخ الكبير، حمزة بن قاسم أبويَعلىٰ رحمه الله، وهو من أولاد العباس عليه السلام.[2]

وكذلك، عليّ بن أحمد الكوفي رحمه الله، وهو من العلماء الكبار الذين ألّفوا في هذا المجال.[3]

وكذلك، جناب عليّ بن محمّد بن عبّاس رحمه الله، ومن بين كتبه كتاب: ***الرَّد على أهل المنطق***، وكتاب: ***الرَّد على الفلاسفة***.[4]

والآخر هو هلال بن إبراهيم الدلفي الورّاق رحمه الله، الذي كان ثقة بإجماع العلماء وقد كتب كتاباً في الرَّد علىٰ أولئك الذين يردّون أخبار وأحاديث الرَّسول صلى الله عليه وآله ويعتمدون علىٰ نتاج أفكارهم وعقيدتهم.[5]

والآخر هو حمزة بن علي بن زهرة الحسيني الحَلَبي رحمه الله، وكان من كبار العلماء والفضلاء، ومن بين مؤلّفاته كتاب: ***نقضِ شُبَه الفلاسفة***.[6]

---

١. ***رجال النجاشي***، ص ١٧٧، رقم [٤٦٧].

٢. ***تنقيح المقال***، ج ١، ص ٣١١، رقم {٣٧٦٨}؛ ***روضات الجنات***، ج ١، ص ١١٣ ذيل ح ٢٩.

٣. ***رجال النجاشي***، ص ١٤٠، رقم [٣٦٤].

٤. ***رجال النجاشي***، ص ٢٦٥، رقم [٦٩١]؛ ***تنقيح المقال***، ج ٢، ص ٣٠٦.

٥. ***رجال النجاشي***، ص ٤٤٠، رقم [١١٨٦]؛ ***تنقيح المقال***، ج ٢، ص ٣٧٦، رقم {٣٣٧٢}.

٦. ***تنقيح المقال***، ج ١، ص ٣٧٦، رقم {٣٣٧٢}.

وقد ألَّفَ كبار علماء الشيعة الذين كانوا أساطين [1] الفقه والشَّريعة كتباً في الرَّد على الفلاسفة والصوفيّة؛ من بينهم: شيخ المشايخ ورأس رؤساء الدِّين وفخر الشيعة ومحيي الشَّريعة جناب الشّيخ المفيدﷺ الذي ألّف كتاباً بعنوان: ***جوابات الفيلسوف في الإتّحاد*** وكتاب آخر بعنوان ***الرَّد علىٰ أصحاب الحَلّاج***. [2]

كذلك، العالم الكامل، قُطب الدِّين الراونديﷺ الذي ألّف كتاباً بعنوان: ***تهافُت الفلاسفة***. [3]

كذلك، الشَّيخ الجليل والفاضل الكبير عليّ بن محمّد بن حسن بن الشهيد الثاني الذي ألَّفَ كتاباً بعنوان ***سهام المارقة مِن أغراض الزَّنادقة*** [4]، في الرَّد علىٰ الصوفيّة.

كذلك، العالم الكبير والفاضل الكامل، محمّد طاهر بن محمّد حسين القمي؛ وقد ورد في روضات الجنات [5] وفي ***طرائق الحقائق***:

روىٰ الشّيخ الحرالعاملي عنه علىٰ سبيل الإجازة، واتّفق معه في مسلك الأخبار والرَّد على الفلاسفة والصوفيّة. [6]

ومن جملة مؤلفاته، رسالة ***الفوائد المدنيّة*** في الرَّد علىٰ كلمات

---

١. أساطين: مفردة أسطوانه بمعنى العمود. ويقال: أساطين الزَّمان، أي: أفراده وحكماؤه.

٢. ***رجال النجاشي***، ج ١، ص ٤٠٠، رقم [١٠٦٧].

٣. ***روضات الجنّات***، ج ٤، ص ٦، رقم [٣١٤]؛ ***بحار الأنوار***، ج ٥٧، ص ١٩٨ (الباب ٣٤ من كتاب السَّماء والعالَم).

٤. ***روضات الجنّات***، ج ٤، ص ٣٩١، رقم [٤١٩]؛ ***أمل الآمل***، ج ١، ص ١٢٩.

٥. ***روضات الجنّات***، ج ٤، ص ١٤٥.

٦. ***طرائق الحقايق***، ج ١، ص ١٧٧.

الحكماء والصوفيّة.[1]

وورد في كتاب ***روضات الجنّات*** نقلاً عن كتاب ***مُنية المرتاد*** للمحدِّث النيشابوري رحمه الله:

المولى محمَّدطاهر القمِّي نظير للمولى المقدَّس الأردبيلي في الزهد والورع، بل إنّ طريقه ومسلكه أكثر إحكاماً وسلامةً من الأردبيلي. وقد ردّ على الفلاسفة في كتابه ***حكمة العارفين*** كما ردّ على الصوفيّة في كتابه ***البرهان القاطع*** و ***تحفة الأخيار***.[2]

ومن جملة العلماء العظام الّذين كتبوا في الرَّدِ على الصوفيّة؛ المحدِّث العامل والعالم الكامل جناب الشَّيخ الحُرّالعاملي رحمه الله الّذي يقول:

ولي رسالة في الرَّد على الصوفيّة تشتملُ على إثنيٰ عشر باباً وإثنيٰ عشر فصلاً فيها نحو ألف حديث في الرَّد عليهم.[3]

---

١. ***أمل الآمل***، ج ٢، ص ٢٧٧.

٢. ***روضات الجنات***، ج ٤، ص ١٤٥. وقال: كان مولى محمّد طاهر من مشاهير علماءِ زمانه شديد التعصب على جماعة الصوفيّة وفرق الملاحدة... وقد كفر في رسالته التي كتبها في الرَّد على الصوفيّة جماعة من العلماءِ والعرفاءِ بل نسب إلى الكفَر كلَ من شك في كفر من نسب إليه كلماتهم الموهمة بخلاف الشّرع وشدّد النكير عليهم بما لا مزيد عليه، بل قيل: أنّه قيد في رسائل متعددة إن لبس الخرقة والصوف وجلوس الأربعينات والغـزلة من الناس وسماع الصوت الحسن والتفوه بلفظي الطريقة والحقيقة والقول بالعشق الحقيقي وبالمكاشفات العرفانية وبتجرّد الأرواح وأمثال ذلك كلّها من البدع البائرة التي يكفر البتة من لا يكفر صاحبها. (المؤلف).

٣. ***أمل الآمل***، ج ١، ص ١٤٤.

ومن بين العلماء، الفقيه الكامل والعالم الفاضل الشّيخ يوسف البحراني، صاحب الحدائق، الذي ألّف كتاباً بعنوان: ***النّفحات المَلكوتيّة في الرّد على الصوفيّة***.[١]

وبالإضافة إلىٰ هؤلاء العلماء العظام، هناك علماء وفضلاء عظام آخرون ألّفوا كتباً في الرّد على الصوفيّة والفلاسفة، وكما ورد في كتاب: ***كشف الإشتباه***[٢] بأنّ عددهم أربعون عالماً؛ وأمّا في كتاب: ***التّفتيش***[٣] ذكر بأنّ عددهم سبعة وتسعون.

وقد حكم جميع الفقهاء العظام ـ في كتبهم الفقهيّة[٤]، في باب نجاسة الكفّار ـ بنجاسة وكُفر فِرَقٍ؛ يُعتَبر الصوفيّة من مصاديقها.

من أقوال العلّامة المجلسي في الرّد على المتصوّفة

للعلّامة المجلسي عبارات كثيرة في الرّد علىٰ هذه الفئة وذمّهم، أوردها في ***بحار الأنوار***، وفي ***عين الحياة***، يقول في كتاب ***عين الحياة***:

> واعتَقَد جمعٌ من الصوفيّة من أهل السنة ومن متكلّميهم بل أكثرهم بالحلول في الأشياء واعتقدت النّصارىٰ بالحلول في عيسى فقط واعتقد الصوفيّة حلول الله في جميع الاشياء وقد لعن الله تعالىٰ النصارىٰ في مواضع متعددة من القرآن لهذا السبب ونسب إليهم الكفر لنسبتهم هذه العقيدة إلىٰ الله تعالىٰ.

---

١. ***روضات الجنّات***، ج ٨، ص ٢٠٥، رقم {٧٥٠}؛ ***طرائق الحقائق***، ج ١، ص ١٨١.

٢. ***كشف الإشتباه***، ص ٢٩٣ ـ ٣١٨.

٣. ***التفتيش***، ص ٧٢ ـ ٧٩.

٤. ***عروة الوثقى***، ج ١، ص ١٣٨ (الثامن في النجاسات).

وجمع من أبناء العامّة المتصوّفة فرّوا من الحلول إلّا أنّهم قد وقعوا في أمر أقبح منه وهو الاتحاد ويقولون إنّ الله متّحد مع كلّ شيء بل هو كل شيء ولا وجود لغيره وهو الذي يظهر بصُوَر مختلفة، فتارةً علىٰ صورة زيد وأُخرىٰ علىٰ صورة عمرو وثالثةً علىٰ صورة الكلب والهِرّة واخرى علىٰ صورة القذارات والأوساخ، كالبحر الذي يتلاطم فتظهر منه الأمواج علىٰ صُوَر مختلفة يكون حقيقتها البحر نفسه ليس إلّا.

كه جهان موجهاى اين درياست

موج و دريا يكى است غير كجاست [١]

وأنّ الماهيّات الممكنة أُمور إعتباريّة عرضت علىٰ ذات واجبِ الوجود، وقد صرَّحوا في جميع كتبهم وأشعارهم بأمثال هذه الكُفريات والأباطيل....

يقول محيي الدين ـ وهو من رؤسائهم ـ في ***فصوص الحكم*** (ما معناه) إنّا لم نَصِفِ الله بوصفٍ إلّا كُنّا عين ذلك الوصف وأنّ الله وصف نفسه لنا فكُلَّما شاهدناه شاهدنا أنفُسَنا وكُلَّما شاهَدَنا هو، شاهَدَ نفسَه....

ويقول كثيراً في مؤلَّفاته: عليك أن لا تتقيَّد بأيٍّ مذهب ولا تنفي أيَّ مذهب ولا تنكر أيَّ معبود غير الله من وَثَن أو غَيره، حيث إنّه بمقدار انكارك لها تنكر ربّك، وأنّ الله ظاهرٌ في كلّ شيء.

ويقول: إنّ الله لم يسلِّط هارون علىٰ عبدة العجل كما سلَّط موسى، لكي يُعبَد الحقّ علىٰ جميع الصُوَر. ولذلك لم يبقِ نوع من أنواع العالم إلّا وأصبح معبوداً.

---

١. العالم كلّه أمواج هذا البحر، الأمواج والبحر شيء واحد، فأين الغير؟

ويقول: إنّ النَّصارىٰ كفّار لأنّهم إدَّعوا حلول الله في عيسىٰ فقط ولو إدَّعُوه في جميع الأشياء لكان عين التوحيد.

جاء في إحدىٰ مذكَّراته: يبدوا أنّه سُئل شمس التبريزي عن أحوال المُلّا الرومي فقال: إن سألتَ عن قوله ـ أي قول المُلّا الرومي ـ فهو ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ وإن سألت عن فعله فهو ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ وإن سألتَ عن صفاته فهي ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَانُ الرَّحِيمُ﴾ وإن سألتَ عن ذاته فهو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

ويُوجَد في كتبه كثيراً نظير هذه الكلمات الموجبة للكفر والإلحاد.

أُنظروا بنظر الإنصاف هل يصحّ نسبة هذه الأمور إلىٰ الله تعالىٰ، فإنّه لم يصدر عن النبيّ وأهل بيته ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ الذين هم زُعماء دينكم نظير هذا الكلام؟!

ولهذه الجهة تسقط العبادة بمجرّد ظهور هذا المعنى ـ أي مبنى وحدة الوجود والموجود ـ، والعبادة تكون فقط في صورة توهّم المغايرة مع الله ـ لا في صورة الإتّحاد معه ـ وقد أوَّلُوا قوله تعالىٰ ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ إلىٰ هذا المعنىٰ فإنّهم فسّروا اليقين في الآية باليقين بوحدة الموجود ـ لا الموت ـ.

المحروق: أنّه من الخزي، حقّاً، أن يعتبر هؤلاء من المسلمين؛ بل انّ خَطَرهم على الإسلام والمسلمين أكثر من الكفّار.

تَصَفَّح صباحي كتاب ***عين الحياة*** وبدأ يقرأ:

فإن كنت تعتقد بيوم الجزاء فهيّئ حجتك اليوم في الدّنيا حتّىٰ إذا طلب الله منك الحجة غداً، تُجيبه بجواب شافي واعتذارٍ وافي....

هل ستقول: إنّي تابعتُ الحسن البصري الذي ورد بعض الأحاديث في لعنه، أو تابعتُ سُفيان الثَّوري الذي كان معادياً للإمام الصادقعليه السلام وكان يُعارضه دائماً ؟!...

أو تعتذر لله عن متابعة الغزالي الذي كان ناصبياً يقيناً ؟! وهو القائل إنّي إمام بنفس المعنىٰ الذي كان عليّ بن أبي طالب إماماً. وهو أيضاً يقول: إنّ من لعن يزيد ليس بمذنبٌ!! وقد ألّف كُتُباً في لعن الشيعة والردّ عليهم ككتاب ***المنقذ من الضلال*** وغيره.

أو تحتجّ علَىٰ الله بمتابعة أخيه الملعون أحمدِ الغزالي القائل في كُتبه إنّ الشيطان من كبار أولياء الله ؟

أو تتشفّع بالمولىٰ الرُّومي القائل بأنّ أمير المؤمنينعليه السلام يشفع لابن مُلجَم وأنّه سيدخل الجنّة وأنّ أمير المؤمنين قال له «لا ذنب لك هكذا قُدّر وكنت مجبوراً في فعلك». ويقول:

چونکه بی رنگی اسیر رنگ شد موسیئی با موسیئی در جنگ شد[1]

ولم تجد في صفحة من صفحاتِ ديوان المثنوي لم يذكر فيها أشعاراً عن الجبر ووحدة الوجود أو سقوط العبادات أو غيرها من العقائد الفاسدة وكما هو المشهور عنه ورضا به أتباعه أنّه كان يرىٰ إنّ الغناء والمزمار عبادة.

أو تلجأ إلىٰ محيي الدين الذي سمعتَ أباطيله في أوّل الكتاب وآخره وهو القائل «إنّ جمعاً من أولياء الله يرون الشيعة علىٰ صورة الخنازير!!!» والقائل «أنيَ لمّا عرجتُ إلىٰ السماء رأيت مرتبة عليّ أدنىٰ من مرتبة

---

١. فحيث ان عدم اللون وقع في أسر اللون، دخل موسى مع موسى في عراك.

أبي بكر وعمر، ورأيت في العرش أبابكر فلمّا رجعتُ قلتُ لعليّ كيف كنتَ تدّعي في الدّنيا أنّك أفضل منهم وإنّي رأيتُ منزلتك أدنىٰ من منزلتهم الآن!؟»[١]

وقد انتقد العلّامة المجلسي؈ الفلاسفة وذمّهم في موارد كثيرة من **بحار الأنوار**، وخاصة في الجزء الثامن صفحه ٣٢٦[٢]، وفي الجزء الأوّل صفحه ١٠١،

---

١. *عين الحياة*، ص ٤٩ ـ ٥٤.

٢. بعد اتضاح الحقّ لديك في ما ورد في الآيات المتظافرة والأخبار المتواترة من أحوال الجنّة والنّار وخصوصيّاتهما فلنشر إلىٰ بعض ما قاله في ذلك الفرقة المخالفة للدّين من الحكماء والمتفلسفين لتعرف معاندتهم للحقّ المبين ومعارضتهم لشرايع المسلمين، إلىٰ أن قال بعدما نقل كلماتهم: ولا يخفى علىٰ من راجع كلامهم و تتبع أصولهم أن جلها لا يطابق ما ورد في شرائع الأنبياء وإنما يمضغون ببعض أصول الشرائع وضروريات الملل على ألسنتهم في كل زمان حذرا من القتل والتكفير من مؤمني أهل زمانهم فهم يؤمنون بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم كافرون و لعمري من قال بأن الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد وكل حادث مسبوق بمادة وما ثبت قدمه امتنع عدمه وبأن العقول والأفلاك وهيولىٰ العناصر قديمة وأن الأنواع المتوالدة كلها قديمة وأنه لا يجوز إعادة المعدوم وأن الأفلاك متطابقة ولا تكون العنصريات فوق الأفلاك وأمثال ذلك كيف يؤمن بما أتت به الشرائع ونطقت به الآيات وتواترت به الروايات من اختيار الواجب وأنه يَفْعَلُ ما يَشاءُ ويَحْكُمُ ما يُرِيدُ وحدوث العالم وحدوث آدم والحشر الجسماني وكون الجنة في السماء مشتملة على الحور والقصور والأبنية والمساكن والأشجار والأنهار وأن السماوات تنشق وتطوى والكواكب تنتثر وتتساقط بل تفنى وأن الملائكة أجسام ملئت منهم السماوات ينزلون ويعرجون وأن النبي ﷺ قد عرج إلى السماء وكذا عيسى وإدريس عليهما السلام وكذا كثير من معجزات الأنبياء والأوصياء عليهم السلام من شق القمر وإحياء الأموات وردّ الشمس وطلوعها من مغربها وكسوف الشمس في غير زمانه وخسوف القمر في غير أوانه وأمثال ذلك ومن أنصف ورجع إلى كلامهم علم أنهم لا يعاملون أصحاب الشرائع إلّا كمعاملة المستهزئ بهم...

وقد وردت تفاصيل هذا النَّقد والذمّ في كتاب **مستدرك *سفينة البحار***.[١]

آراء الفقهاء حول إنكار ضروريّات الدِّين

لقد أجمع الفقهاء العظام وحجج الإسلام والعلماء الأعلام ـ وهم أركان الدِّين والشَّريعة ـ علىٰ كفر ونجاسة من ينكر ضروري من ضروريات الدِّين، وذكروا هذه المسألة بوضوح في باب «النَّجاسات» في كتبهم الفقهيِّة.

يقول صاحب الجواهر[٢]، وهو ركن الدِّين والشَّريعة، وبحر العلم والفقاهة: «لا أجد فيه خلافاً».[٣]

ومن أراد كلمات الفلاسفة وسائر ما بيّنه العلّامة المجلسي رحمه الله في مذمتهم ومفاسد عقائدهم فليراجع البحار، ج ١، ص ١٠١ ـ ١٠٤ «الباب الثاني: العلم والعقل ...» و ج. ٦، ص ٢٥٢ «باب أحوال البرزخ» و ج. ٦، ص ٣٣١ «باب فناء الدنيا» و ج، ٧، ص ٤٧ «المعاد الجسماني» و ج ٧٨ ص ٢٠٥ «في باب ٢٣: الجنّة ...» و ج ٨، ص ٣٢٦ ـ ٣٢٩ «باب ٢٤: النار ...» و ج ٨، ص ٣٥٠ «باب ٢٦: ... والخلود فيهما وعلّته» و ج ١٨، ص ٢٨٩ «الباب الثالث: إثبات المعراج ...» و ج. ٥٤، ص ٢٣٣ «الباب الأوّل: حدوث العالم ...» و ج ٥٤، ص ٣٦٥ «الباب الرابع: القلم والوح ...» و ج ٥٨، ص ١٥٠ و ١٥١ و ١٧٤ «الباب التاسع: الشمس والقمر ...» و ج ٥٦، ص ٢٠٢ و ٢٠٩ و ٢١٦ «باب ٢٣: حقيقة الملائكة ...» و ج ٥٦، ص ٣٩٧ «باب ٢٨: السحاب والمطر...» و ٥٧، ص ٢١ «باب ٢٩: الرياح ...» و ج ٥٧، ص ٦١ «باب ٣١: الأرض وكيفيتها ...» و ج ٥٨، ص ٦١ـ١٠٠ «باب٤٢: حقيقة النفس والروح وأحوالهما» و ج ٥٨، ص ١٩٦ «باب ٤٤: حقيقة الرؤيا...» و ج ٦٠، ص ٢٨٦ «الباب ٣: إبليس لعنه الله ...» إلى غير ذلك من الموارد التي أشرنا إليها في كتاب **مستدرك *سفينة البحار***، ج ٨، ص ٢٩٨ـ٣١٧ مادّه «فلسف».

١. **مستدرك *سفينة البحار***، ج ٨، ص ٢٩٨ ـ ٣١٧ مادّة (فلسف) و ج ٦ مادّة (صوف).

٢. هو الشَّيخ محمّد حسين النجفي.

٣. ***جواهر الكلام***، ج ٦، ص ٤٦ (كتاب الطهارة في نجاسة منكر الضّروري).

ويذكر الفقيه الكامل والعالم العامل، وحيد زمانه، مرجع وملاذ الخواص والعوام، صاحب الكتاب الشريف ***كشف الغطاء***:

ثانيهما: ما يترتّب عليه الكفر بطريق الإستلزام، كإنكار بعض الضّروريات الإسلاميّة والمتواترات عن سيّد البَريّة، كالقول بالجبر والتفويض والإرجاء والوعد والوعيد وقِدَمَ العالَم وقِدَم المجرَّدات والتجسيم والتشبيه بالحقيقة، والحلول والإتّحاد ووحدة الوجود أو الموجود... أو أنّ الأفعال بأسرها مخلوقة لله.[١]

في هذه الأثناء، أخرج الحاج محمَّدعلي السَّاعة من جيبه ونظر إليها وإذا بالوقت ١٠/٣٠ مساءً.

صباحي: أيّها المحترم؛ يبدو أنك تعبت.

الحاج خليل: إذا ترغبون أحضر طعام العشاء؟

الحاج صمد: قبل ذلك، نرغب في شرب الشَّاي.

فناجين الشَّاي وضعت أمام الضُّيوف بعد الإنتهاء من شُرب الشَّاي، نادى الحاج خليل على الكربلائي جعفر: يا كربلائي جعفر؛ مُدَّ السُّفرة في هذه الشرفة لأنّ جوّ الغرفة حارّ.

أحضَرَ سفرة بيضاء، فمُدّت، ووُضعت على أطرافها أقراص الخُبز.

صباحي: يا كربلائي جعفر؛ هات لنا بالملح لكي نبدأ طعامنا به ونختم به.[٢]

جاؤوا بالملح. وضعوا مرقة الباذنجان ومرقة القيمة في أطراف السّفرة، ووضع صحنان من الأُرز الشَّهي اللّذيذ في وسط السفرة. أباريق اللَّبن الرائب

---

١. ***كشف الغطاء***، ج ٢، ص ٣٥٦ (الطبعة الحديثة) وهو الشّيخ جعفر بن خضر الحلي الجناحي.

٢. ذكر الفقهاء في رسائلهم العملية (باب الأطعمة والأشربة... ما يستحب عند الأكل) فقالوا يستحب أن يفتتح الأكل ويختتم بالملح (المترجم).

والسّكنجبين [١] أضفت على المائدة جمالاً اضافياً. أمّا أواني الثّلج، فقد جلبت نحوها الشّفاه العطشىٰ، أربع دجاجات مشوية خطفت قلوب الحاضرين نحوها. كان في وسط المائدة صحن كبير من الفواكه المختلفة.

الحاج خليل: أيّها الأخوة الأعزّاء؛ تفضّلوا. تقدّم الجميع نحو المائدة وانشغلوا بتناول الطعام. حمي سوق المزاح والنّكتة. أصوات ضحك الحضور كانت تتعالى بين الحين والأُخرى، تناولوا الطعام بينهم وهم يتبادلون الطرائف الجميلة ثمّ غسلوا أيديهم، وجلسوا في أماكنهم.

الحاج صمد: يا سيّد صباحي؛ أرجو أن تستمرّ في بحثك وكلامك.

صباحي: الوقت ليل، والأخوة مرهقون، إذا سمحتم نوكل تتمّة الحديث إلىٰ صباح غد.

وافق الجميع علىٰ ذلك، وأمَرَ الحاج خليل بإحضار الفُروش والملاحف، ذهبوا إلىٰ فراشهم وخلدوا إلىٰ النوم.

كانت الساعة تشير إلىٰ الثالثة فجراً. ضوءُ الصَّباح جعل السَّماء شفّافة من زاوية الأفق. تقلب صباحي في فراشه من طرف لآخر وهو يردّد: لا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم، وذهب نحو الجدول للتوضوء.

دوّى صوت أذان الحاج خليل في المكان، استيقض باقي الضّيوف، وذهبوا نحو الجدول، واحداً تلو الآخر، للتوضوء.

الفيلسوف هزبر: يا دكتور؛ الجوّ لطيف.

قال الحاج خليل: نعم؛ بين الطلوعين ساعة من ساعات الجنة.

الحاج خليل رفع أذان الفجر، وأُقيمت صلاة الجماعة، وانشغل الكربلائي بإعداد الفطور.

---

١. مرّ توضيحه فيما مضى.

بعد أداء الفريضة، إنشغل الجميع بتعقيبات الصَّلاة. الحاج خليل كان يقرأ القرآن. صباحي كان مشغولاً بتلاوة دعاء الصَّباح. الفيلسوف هزبر استراح في زاوية بعد التعقيبات. الحاج صمد والحاج محمّدعلي، وبسبب قلة النوم، اتبعا هزبر. وقال الدكتور حسين خان: الأكثرية معنا؛ ثمّ اخفى نفسه تحت ملحفةٍ بيضاء.

قال الحاج خليل لصباحي: يا سيّد صباحي؛ الأصدقاء ناموا قليلاً الليلة الماضية، وان كنت ترغب، استرح قليلاً. الآن اول طلوع الشّمس، الكربلائى جعفر سيحضر لنا الشّاي والفطور، وسيوقضنا.

صباحي، أيّها الحاج؛ يبدو أنّك ترغب في النوم أيضا. نعم، كان نومنا قليلاً البارحة، قال هذا الكلام وانشغل بذكر الشّكر والحمد. ومن بعد فترة، وبسبب مرضه استسلم للنوّم وهو في حالة السجود.

الساعة تشير إلىٰ السّادسة صباحاً والشّمس تشرق في الغرفة من خلال زجاجة النوافذ. الكربلائي جعفر مَدَّ سفرة كبيرة من الكّتان للفطور. وضع في زواية منها الخبز الحلو، والحليب الحارّ، والزبدة، والعسل من خلية نحل قرية الحاج خليل.

هذه هي المرّة الثالثة التي يوقض فيها الكربلائي جعفر الحاج خليل، ولكن ـ وبسبب الوعكة الصحيّة التي ألمَّت به ـ غلب عليه النوم مرّة أُخرىٰ.

إستيقظ صباحي من صوت الكربلائي جعفر، ورفع رأسه من السَّجدة وهو يقول: لا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم، وقد كان واضحاً أثر التّربة علىٰ جبهته، فنادىٰ: يا حاج؛ لقد تعب الكربلائي جعفر من إيقاضك.

فتح الدكتور حسين خان عينيه، وقال: أظن بأنّه لم ينم اللّيلة البارحة.

نهض هزبر من مكانه وقال: اذهبوا لنجدة السيّد محروق، نخشى أن يهلك من قلّة النوم!! ثمّ ذهب الجميع إلىٰ الجدول، وغسلوا أيديهم، وجلسوا في أطراف السُّفرة.

الحاج صمد: أسفاً علىٰ ضفائر شَعر السيِّد محروق!! لقد كان ينشغل في

تمشيط شعره وقت الفطور وكنا نشرب الشاي؛ أخشىٰ أن لا يمهل أحداً هذا اليوم لعدم انشغاله. تعالت اصوات ضحك الحضور.

كان الحاج خليل يصبُّ الشّاي والحليب، أمّا الكربلائي جعفر فكان يضعها أمام الضُّيوف.

الدكتور حسين خان: قل لي يا كربلائي جعفر؛ كيف حال مريضتك؟

الكربلائي جعفر: الحمد لله يا دكتور؛ صحّتها جيّدة.

الدكتور حسين خان: نعم؛ إنّ هذه الأعشاب الطبيّة التي كان الناس يستفيدون منها في الماضي، مفيدة جداً، ولكن وللأسف الشّديد، لم يبق أثر منها في الوقت الحاضر، وأصبح الأطبّاء يعالجون المرضى بهذه الأقراص والحُقن، في حين أنّ الكثير منها مفيد من ناحية ومضر من ناحية أُخرىٰ.

المحروق: يا دكتور؛ إذا تسمح وترغب، دعنا نستفيد من كلام السيّد صباحي بدلاً من ضياع الوقت.

الدكتور حسين خان: يرجوا الأخوة من السيّد صباحي أن يستأنف حديثه. أنّ هذا المقدار كان بسبب نشوة النوم، لأنّ النَّوم له نشوة، أيضا.

المحروق: لقد فهمت مغزاه يا دكتور؛ لقد قلت انت أيضا.[١]

تعالت أصوات ضحك الحضور، وقالوا: أحسنت! أحسنت!

استأنف صباحي كلامه، وبذكر البسملة أوجد سكوناً مِطبقاً في المجلس.

إختلافات الفلاسفة قبل الإسلام

أشار صباحي إلىٰ اختلافات الفلاسفة قبل الإسلام، فقال: بعض الفلاسفة يقول بوحدة الوجود، وبعضهم بالتّباين في الموجودات، وبعضهم يقول بالجبر، وبعضهم يقول بالخفاء والظهور أمثال «انكساغورس» وأتباعه، ويرىٰ البعض بأنّ

---

١. ربّما قصد لقد أدلَيت بدلوك؛ كما يقول المَثَل.

صور المبدَعات أزليّة ولا متناهية، وهذه النظريّة منسوبة إلىٰ «انكسيمانس»[١] وقد اختار هذه النظريّة كلٌّ من «أفلاطون» و «فلوطرفيس»[٢] إلّا أن اكسنوفانس خالف هذه النظريّة فأنكر أزليّة الصور والهيولا.[٣]

أمّا «انباذ قلس»، الذي كان من كبار الفلاسفة، فقد كان يرىٰ بأنّ هويّة الباري تعالىٰ هي عين العلم والإرادة المحضة للوجود، والعزّة، والقدرة، والعلّة التامة. وكان يرىٰ بأنّ المعلول الأوّل هو العنصر، والمعلول الثاني هو العقل، والثالث النفس، وإن هذه الثلاثة بسائط أمّا الباقي فهي مركّبة. وكان يذهب إلىٰ أنّ الله تعالىٰ له حركة وسكون بنحوٍ مّا.

أمّا «فيثاغورس» والفلاسفة الّذين جاءوا بعده، فقد كانوا يقُرّون بهذه النَّظرية حتّى زمان أفلاطون، ثمّ اختلفوا بعده؛ فقال بعضهم بأنّه متحرِّك، وقال آخرون بأنّه ساكن.[٤]

أمّا «ثاليس»، فكان يقول بالإرادة الأزليّة كـ«انباذقلس».[٥]

وأمّا «فرفريوس» الذي كان من أصحاب «أرسطا طاليس» فقد كتب كتاباً في اتحّاد العاقل والمعقول، وقد امتدحه جُلّ حكماء المشّائين.[٦]

وأما «نيقلاوس» فقد كتب كتاباً في الرَّد علىٰ اتّحاد العاقل والمعقول.

---

١. ***الملل والنحل***، ج ٢، ص ٣٨٠؛ ***طرائق الحقائق***، ج ١، ص ٣٣٤؛ ***ناسخ التواريخ*** (هبوط آدم)، ج ١، ص ٢٣٤.

٢. ***الملل والنحل***، ج ٢، ص ٤٠٩ ـ ٤١٧.

٣. ***الملل والنحل***، ج ٢، ص ٤١٨.

٤. ***الملل والنحل***، ج ٢، ص ٣٨٢ و ٣٨٧؛ ***طرائق الحقائق***، ج ١، ص ٣٣٨ و ٣٤٠.

٥. ***ناسخ التواريخ***، ج ١، ص ٤٣٤.

٦. ***ناسخ التواريخ***، ج ١، ص ٥١٤. المشّاؤون هم اتباع فلسفة أرسطو؛ سموا هكذا نسبة إلىٰ زعيمهم الذي كان يلقي تعاليمه وهو يمشي. والمشّائية فلسفة أرسطو (المترجم).

ضرورة الرجوع إلىٰ الكتاب والسُّنَّة

توضيح حول العقل ودلالته في الرَّد على المتصوِّفة والفلاسفة

المحروق: يا سيّد صباحي؛ هل يوجد دليل عقلي في الرَّد على الصوفيّة؟

أشار السيّد صباحي، وهو يقوم لتجديد الوضوء، على الدكتور ليتحدَّث حول العقل ويردّ علىٰ سؤال المحروق.

الدكتور حسين خان: على الرَّغم من أنّه مع السيّد صباحي، فإنّ حديثي يكون كمن «ينقل الكمّون»[1] الى «كرمان»[2]، إلّا أنّني سأتحدّث قليلاً حول الموضوع ريثما ينتهي من تجديد وضوئه.

إنّ مفاد الرِّوايات المذكورة في الكافي وفي الكتب الروائيّة الأُخرى حول العقل هو أنّ نور العقل أحبُّ المخلوقات عند الله.

---

١. الكَمّون: نبات تركستاني الأصل. (عبرانية).

٢. مَثَل إيراني يقابله عند العرب «كمن ينقل التَّمر إلىٰ هجر». وهجر مدينة في البحرين. وقيل هي في نجران وجازان. وهي كذلك بلد في اليمن. (المترجم).

وورد في الأحاديث بأنّ الله خاطب العقل وقال:

خَلقتُكَ خَلقاً عَظِيماً وَ أكرمتُكَ (كَرّمْتُك) عَلى جَمِيعِ خَلقِي. [١]

وروي عن الرّسول الأعظم ﷺ والإمام الكاظم عليه السلام، أنّهما قالا:

مَا قَسَّمَ اللهُ لِلْعِبَادِ شَيْئاً أَفْضَلَ مِنَ الْعَقْل. [٢]

وقال الإمام الكاظم عليه السلام لهشام:

يَا هِشَامُ إنَّ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجَّتَيْنِ حُجَّةً ظَاهِرَةً وَحُجَّةً بَاطِنَةً فَأَمَّا الظَّاهِرَةُ فالرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالْأَئِمَّةُ عليهم السلام وَ أَمَّا الْبَاطِنَةُ فَالْعُقُول. [٣]

وقال عليه السلام:

يَا هِشَامُ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَقُولُ مَا عُبِدَ اللهُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنَ العَقْلِ. [٤]

واستناداً إلى دلالات الرّوايات الشّريفة: فإنّ بالعقل يكمل المؤمن وهو دليله ومُرشِده ومفتاح أمره[٥]، ولا جمال وزينة أفضل من العقل. وأنّ قوام كلّ فرد بعقله. ولا صديق أفضل من العقل. وأساس الدّين والشّرايع قائم على العقل.

---

١. ***المحاسن***، ج ١، ص ١٩٦، ح ٢٢ (الباب الأوّل من كتاب مصابيح الظلم...)؛ ***الخصال***، ج ٢، ص ٥٨٩؛ وورد في بعض الأحاديث «**... ما خَلَقتُ خَلقاً هو أَحبُّ إليَّ مِنْكَ وَلَا أُكْمِلُكَ إلَّا فِيمَن أُحِبُّ ...**» ***بحار الأنوار***، ج ١، ص ٩٢، ح ٢٣، و ص ٩٦، ح ١، و ص ١٠٩، ح ٧، و ص ١٥٨ و ج ٧٥، ص ٣١٦، ح ١.

٢. راجع: ***بحار الأنوار***، ج ١، ص ٩١، ح ٢٢ و ص ١٥٤، ح ٣٠ و ج ٧٨، ص ٣١٢؛ ***الكافي***، ج ١، ص ١٢، ح ١١؛ ***المحاسن***، ص ١٩٣، ح ١١ (الباب الأوّل).

٣. ***بحار الأنوار***، ج ١، ص ١٣٧، ح ٣٠ (الباب الرابع من كتاب العقل والجهل).

٤. ***بحار الأنوار***، ج ١، ص ١٤٠، ح ٣٠.

٥. راجع: الكافي، ج ١، ص ٥٧، ح ٢٣ «الباب الأوّل من كتاب العقل والجهل».

وجميع الكمالات بالعقل. ونظام العالم قائم علىٰ نور العقل. والعقل محبوب جميع الناس وهو سراج منير في قلوبهم وبه يميّزون بين الخير والشَّر وبين الحُسن والقبُح.

إنّ حُسن العدالة والإحسان إلىٰ الناس والمحبّة، والغيرة، والحَمِيّة، والإنصاف، والقناعة، والإطاعة، والإيمان بالخالق الأَحد، وشكره، والأخوّة والمحبّة مع أخوة الدِّين والإيمان، والصّدق في القول والعمل، والإحسان، وحسن المعاشرة مع الناس والصِّفات الحميدة الأُخرىٰ، كلّها أمور يكشفها العقل.

ومن البديهي أنَّ ما ندركه بفضل العقل ليس عين العقل. كما أنّ العقل يميِّز لنا قبح الكفر، والشّرك، والظلم، والإيذاء، والشّر، والطَّمع، والحرص، والقساوة، وهتك حرمات الناس، والتعدي، والمكر، والحيلة، والخيانة، والنفاق، وكفر النّعمة، والإستنكاف، والإستكبار من العبادة، والبخل، والحسد، والتكبّر، والفتنة، والفساد، وتضييع حقوق الناس، والعناد، والعجب، وغيرها من الصفات الرذيلة، كذلك يوضح لنا بأنّ نور العقل المقدَّس ـ الذي يكشف هذه الصِّفات السيّئة ـ غير هذه الصِّفات. ومن المستحيل للعقل الذي هو أشِرف وأفضل الخلق شأناً أن يتَّحد مع الشِّرك وأمثاله.

إذن، فالعقل غير المعقول، والفهم غير المفهوم، وأنّ افتراق العقل عن المعقول، والفهم عن المفهوم، واضح وجليّ بشكل كامل.

وكذلك بنور العقل يظهر أنّ اتّحاد الخالق مع المخلوق وسريان صفات كلّ واحد منهم على الآخر، باطل. وكما أنّ المُعَرِّف للعقل ومُدرَكاته هو العقل ذاته، كذلك الله سبحانه هو الذي يُعرِّف نفسه ويُعَرِّف مخلوقاته، يقول تعالىٰ: ﴿هُوَ

﴿الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾.[١]

ويقول أمير المؤمنينعليه السلام:

هُوَ الدَّالُّ بِالدَّلِيلِ عَلَيْهِ وَالْمُؤَدِّي بِالْمَعْرِفَةِ إِلَيْه.[٢]

في هذه الأثناء، تعالىٰ صوت السَّيد صباحي من جانب الجدول: أحسنت، يا دكتور، أحسنت.

الدكتور حسين خان: يا سيد صباحي؛ أشكرك، إنّني أقلّ من أن أجيب علىٰ سؤال المحروق؛ تفضّل أنت بالإجابة.

صباحي: يا دكتور؛ إنّني مُرهَق، وأنت ضليع في هذا الموضوع وتشرحه بصورة جيّدة.

الدكتور حسين خان: إنّ نور العقل منزَّه عن التَّضاد والتناقض والأضداد والتنَّاقضات تنكشف بنور العقل.

ويظهر من نور العقل، أيضا، بأنّ الشَّيء المفهوم والمعقول ليس في مستوىٰ فهم العقل؛ لأنّ مستوىٰ العقل هو مستوىٰ الكاشفيّة والمُظهِرية والقاهريّة والمحيطيّة، أمّا مستوىٰ الأمور المعقولة والمفهومة فهو مستوىٰ المكشوفيّة والمفهوميّة والمُحاطيّة.

إنّ هذه الحقيقة دليل وحجّة علىٰ قدسيّة الله وتنزّهه، وعلىٰ أنّ الخالق ليس في مستوىٰ المخلوق، لأنّ الخالق في مرتبة القاهريّة والمحيطيّة والفاعليّة والقيّوميّة، أمّا مرتبة المخلوق فهي مرتبة المفهوميّة والمفعوليّة. إذن، اتّضح بأنّ

---

١. غافر، الآية ١٣.

٢. **الاحتجاج**، ج ١، ص ٤٧٦.

ربّ العزّة وربّ الوجود ليس في مستوىٰ المخلوق والموجودات ومعلومٌ أنّه يشترط في التناقض، إتّحاد المرتبة.

ويظهر بنور العقل، أيضا، بأنّ الجهل والباطل لا يمكن أن يكونا مرتبة من مراتب العلم، كما أنّه لا يمكن أن يكون العجز والعاجز، والضعيف والحادث، والمملوك والفقير، والمقهور والمُحاط، وما كان مظلماً في ذاته؛ مرتبة من مراتب القويّ، والقادر، والقديم، والعليم، والمالك، والغنيّ، والقاهر، والمحيط، والقيّوم، ومانح الوجود، وما كان ذاته نوراً؛ كما أنّه من المستحيل أن يكون الموت وما كان ذاته ميّتاً مرتبة من مراتب ما كان حياً بذاته.

الحاج صمد: يا دكتور؛ كنّا مسرورين بأنّ توضيحاتك تفيدنا نحن الأُمّيين، والأن بدأتَ تتحدّث بلغة علميّة معقّدة، أرجو أن تتحدّث ببساطة حتّىٰ نستفيد جميعاً.

الدكتور حسين خان: أنّ ما ذكرتُ هو جواب أشعار شاه نعمة الله وليّ الذي غضبتَ من سماعها. هل يمكن أن يكون العمل القبيح والشرّ مرتبة من مراتب الحُسن والخير، وأن يكون الجهل وأمثاله مرتبة من مراتب العقل؟! هل من الصحيح أن يكون ضدّ الشيء، ونقيضه مرتبة من مراتبه؟!

هنا، قطع الدكتور حسين خان كلام نفسه وتوجّه نحو السيّد صباحي، وطلب منه أن يتحدث حول العقل والعلم ودورهما في معرفة الله.

السيّد صباحي: يرىٰ علماء البشر بأنّ العقل جوهر قديم مجرَّد. وذهبوا إلىٰ أنّ حقيقته هي عين النفس الناطقة والرّوح والقلب، ويعرّفونه علىٰ أنّه فعلية النَّفس وقدرته علىٰ استخراج النظريّات من الضروريّات. ويعتبرون الناتج من البراهين المنطقية أحكاماً عقليّة، ومن جملة تلك الأحكام: ثبوت الجبر في أعمال

العباد، وأنّ الله تعالىٰ علّة لجميع الموجودات، ومن بينها أفعال البشر، وامتناع العقوبة والعذاب، وأنّ المخلوق من أطوار الواجب، وأنّ الله يتجلّىٰ في الشّيطان ومطالب أُخرىٰ من هذا القبيل.[1]

وأمّا في معارف القرآن الكريم والسُّنة الشَّريفة، فقد عُرِّف العقل بأنّه نور مخلوق وحادث ومجعول، وعُبِّر عنه بأنّه حجّة الله الباطنة، وأشرف وأفضل وأكرم المخلوقات؛ وبه يمكن التمييز بين الحُسْن والقُبحْ، وبين الحقّ والباطل، وبين الخير والشر.

والنّاس يُحجبون من ذلك النّور في حالة الطفولة وشدّة الغضب، والشَّهوة، فيرتكبون الأعمال السَّيئة والقبيحة دون أن يكون لهم علم بسوئها وقبحها. وبعد رفع الحجاب، يتنبهون إلىٰ قبح تلك الأعمال فيندمون.

إنّ نور العقل المقدَّس لا يُعرف بغيره، كما أنّ نور الفهم المقدَّس ظاهر بذاته ولا يظهر بغيره. هل يمكن أن تظهر جميع الأشياء للعاقل بنور العقل والفهم والإدراك وفي نفس الوقت يكون العقل والفهم محتاجاً إلىٰ الغير في ظهوره؟! بل إنّ نور العقل ظاهر بذاته، مُحيط بجميع المعقولات والمفهومات والمُدَركات. والواقع أنّ ذلك النور محاط بجميع هذه الأشياء، وواضح أنّ المُحيط غير المُحاط.

إنّ القوّة الدرّاكة في الإنسان ـ والتي يمنحها الله تعالىٰ بالمقدار الذي يشاء

---

١. وحاصل قول صدر المتألهيّن ـ وهو الذي يُعدّ من الفلاسفة الإسلاميين ـ في تفسيره، ج ٣، ص ٧٠: أنّ أشرف الناس هو الذي يتّحد مع العقل الفعّال علىٰ نحو اتّحاد العاقل مع المعقول فيصل إلىٰ مرتبة الملائكة المقرّبين، كما ذهب إليه جمع كثير من الحكماء ويشير إليه كلمات الأولياء ويشهد له مذاق المتصوِّفة وورد البرهان عليه في ***الشواهد الربوبية***، ص ٣١٤.

وليس لأحد مشيئة في هذا الإختيار سواه ـ هو العقل. وأنّ طريق كشف مخلوقيته ومجعوليّته وحدوثه وعدم أزليته يختصّ ببيان القرآن الكريم والرَّسول، والأئمّة عليهم السلام؛ لأنّ هؤلاء فقط همُ العالمون بالماضي وبالمستقبل وعلومهم علوم إلهيّة ولا سبيل للخطأ والإشتباه فيها.

إنّ كشف الحقيقة التي ذكرناها حول العقل لا يمكن عن غير هذا الطريق وكلّ ما يقوله الآخرون فهو من نسج أفكارهم.

إنّنا نجد في القرآن الكريم وفي روايات أهل البيت عليهم السلام بأنّ الله تعالىٰ يقول:

﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾.[1]

ويقول الإمام الباقر عليه السلام:

لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ اسْتَنْطَقَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ، ثُمَّ قَالَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي مَا خَلَقْتُ خَلْقاً هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ وَلَا أَكْمَلْتُكَ إِلَّا فِيمَنْ أُحِبُّ.[2]

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَ خَلَقَ الْعَقْلَ وَهُوَ أَوَّلُ خَلْقٍ مِنَ الرُّوحَانِيِّينَ ... فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: خَلَقْتُكَ خَلْقاً عَظِيماً، وَكَرَّمْتُكَ عَلى جَمِيعِ خَلْقِي.[3]

ويقول الرَّسول الأعظم صلى الله عليه وآله:

---

١. الأنعام، الآية ١.

٢. *الكافي*، ج ١، ص ١٠، ح ١.

٣. *الكافي*، ج ١، ص ٢١، ح ١٤.

مَا قَسَّمَ اللَّهُ لِلْعِبَادِ شَيْئاً أَفْضَلَ مِنَ الْعَقْلِ؛ فَنَوْمُ الْعَاقِلِ أَفْضَلُ مِنْ سَهَرِالْجَاهِلِ. [١]

وقد سأل ابن السكيت رحمه الله الإمام الرضا عليه السلام: فما الحجّة على الخلق، اليوم؟ فقال:

العَقْلُ، يُعْرَفُ بِهِ الصَّادِقُ عَلَى اللَّهِ فَيُصَدِّقُهُ وَالْكَاذِبُ عَلَى اللَّهِ فَيُكَذِّبُهُ. [٢]

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ النَّبِيُّ وَالْحُجَّةُ فِيمَا بَيْنَ الْعِبَادِ وَبَيْنَ اللَّهِ الْعَقْل. [٣]

ويقول عليه السلام أيضا:

دِعَامَةُ الْإِنْسَانِ الْعَقْلُ وَالْعَقْلُ مِنْهُ الْفِطْنَةُ وَالْفَهْمُ وَالْحِفْظُ وَالْعِلْمُ، وَبِالْعَقْلِ يَكْمُلُ وَهُوَ دَلِيلُهُ وَمُبْصِرُهُ وَمِفْتَاحُ أَمْرِهِ، فَإِذَا كَانَ تَأْيِيدُ عَقْلِهِ مِنَ النُّورِ كَانَ عَالِماً حَافِظاً ذَاكِراً فَطِناً فَهِماً. [٤]

ويقول الرَّسول الأعظم صلى الله عليه وآله:

الْعَقْلُ شَرْعٌ مِنْ دَاخِلٍ، وَالشَّرْعُ عَقْلٌ مِنْ خَارِجٍ. [٥]

ونقرأ في تفسير الإمام العسكري عليه السلام حول قصة النبي آدم عليه السلام أنّ الله قال

---

١. ***الكافي***، ج ١، ص ١٢، ح ١١ (كتاب العقل والجهل).

٢. ***الكافي***، ج ١، ص ٢٥، ح ٢٠.

٣. ***الكافي***، ج ١، ص ٢٥، ح ٢٢.

٤. ***الكافي***، ج ١، ص ٢٥، ح ٢٣.

٥. ***مجمع البحرين***، ج ٥، ص ٤٢٥ (لغة العقل)، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

للملائكة حينما ارادت منعه من أكل الشجرة بحرابهم:

فَكِلُوهُ إِلَى عَقْلِهِ الَّذِي جَعَلْتُهُ حُجَّةً عَلَيْهِ.[١]

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام:

الْعَقْلُ وَالشَّهْوَةُ ضِدَّانِ.[٢]

ويقول أيضا:

ذَهَابُ الْعَقْلِ بَيْنَ الْهَوَى وَالشَّهْوَةِ.[٣]

ويقول أيضا:

زَوَالُ الْعَقْلِ بَيْنَ دَوَاعِي الشَّهْوَةِ.[٤]

ويقول أيضا:

لَا عَقْلَ مَعَ شَهْوَةٍ.[٥]

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ، مِنَ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالنُّورِ وَالْمَشِيَّةِ بِالْأَمْرِ فَجَعَلَهُ قَائِماً بِالْعِلْمِ دَائِماً فِي الْمَلَكُوتِ.[٦]

---

١. **تفسير *الإمام العسكري*** عليه السلام، ص ٢٢٣.

٢. **مستدرك *وسائل الشيعة***، ج ١١، ٢١١، ح ٢ {١٢٧٦٩}(الباب التاسع من كتاب الجهاد).

٣. **مستدرك *الوسائل***، ج ١١، ص ٢١١، ح ٢ {١٢٧٦٩}.

٤. **مستدرك *الوسائل***، ج ١١، ص ٢١١، ذيل حديث ٢.

٥. **مستدرك *الوسائل***، ج ١١، ٢١١.

٦. **بحار *الأنوار***، ج ١، ص ٩٨، ح ١٢ (الباب الثاني من أبواب العقل والجهل).

ويقول الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله:

فَإِذَا بَلَغَ كُشِفَ ذَلِكَ السِّتْرُ فَيَقَعُ فِي قَلْبِ هَذَا الْإِنْسَانِ نُورٌ فَيَفْهَمُ الْفَرِيضَةَ وَالسُّنَّةَ وَالْجَيِّدَ وَالرَّدِيءَ، أَلَا وَمَثَلُ الْعَقْلِ فِي الْقَلْبِ كَمَثَلِ السِّرَاجِ فِي وَسَطِ الْبَيْتِ. [١]

وكلّها كما ترىٰ تذكر العاقل بحقيقة العقل وآثاره وبأنّه نور مخلوق مجعول لله تعالىٰ مُحدَث غير قديم ولا أزلي وأنّه أكرم الخلق وأحبّه وأعزّه وأرفعه وأمجده عند الله تعالىٰ وهو حجّة الله على العاقل وهو شرع من داخل وبه يُعرَف الحَسَن والقبيح والجيّد والرّدي والفريضة والسُّنة والصَّادق والكاذب والغاش والناصح ومَثَلُه في القلب كَمَثل السِّراج في البيت وهو المُظهِر والمُعرِّف لنفسه وأنّه غير العاقل وغير المعقولات وأنّه نور يجده العاقل ويفقده وبه يتّضح أنّ العاقل يعمل أعمالا وأفعالا يسنده إلىٰ نفسه وقلبه وروحه ولا يصحّ إسناده إلىٰ نور العقل كالشك والكفر والشّرك والضلال والندامة والرِّضا والغضب والقنوط والطَّمع والحرص والحقد والقساوة والنسِّيان والبُغض والرّيا والحزن والغمّ والهمّ والبخل واليأس من رَوح الله والأمن من مَكْره والرُّكون إلىٰ الظالمين والخوف وسوء الظّن والعُجب والحسد والتشهيّ والنفاق والإغترار بمدح الناس وعدم الرضا بما قسم الله والتأسف بما فات وحُبّ الدّنيا والرّئاسة والغفلة وطول الأمل والموادّة مع الكفّار والعناد وقصد السُّوء ونيّة الشر والحسرة والجهل والحمق والإضطراب إلىٰ غير ذلك من الأفعال الصادرة عن القلب وهي غير مرتبطة

---

١. ***بحار الأنوار***، ج ٩، ص ٩٩، ح ١٤ (الباب الثاني من أبواب العقل والجهل). من هذا المكان إلىٰ قوله تعالىٰ ﴿**فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا ...**﴾ كتبه المؤلف رحمه الله باللغة العربيّة وقد تصرّفنا في بعض العبارات ليسهل فهمها للقاريء.

بالجوارح والأعضاء فيقول العاقل أَنا شككتُ في الله وكفرتُ وضللتُ عن ديني وندمتُ وغضبتُ وطمعتُ ونسيتُ وخفتُ وظننتُ ظَنَّ السُّوء وعجبتُ وحسدتُ واضطربتُ وهكذا ونسبة هذه الأفعال إلىٰ العاقل صحيحة ولا يصحّ نسبتها إلىٰ نور العقل الذي هو أكرم الخلق وأحبّه وأشرفه وأعزّه عند الله وهو حجّة الله على العاقل وهو الكاشف عن ذلك.

فممّا ذكرنا ظهر تباين العقل مع العاقل ومغايرتهما.

والروايات الدالة علىٰ ذلك كثيرة فمنها ما دلّ علىٰ أحوال القلوب من الصِّحة والمرض والموت والحياة والنوم واليَقظة فإنّ هذه الصفات واردة على الروح والقلب ولا يصحّ اسنادها إلىٰ نور العقل ومنها ما دلّ علىٰ مبدء خلقة الأرواح وأنّها من طينة العليين أو السجين وأنّها خلقت قبل الأجساد بألفي عام ومنها ما دلّ علىٰ أحواله بعد الموت فإنّه ينافي تجرّد الأرواح ومنها ما دلَّ علىٰ أنّ الأرواح **(جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ)**[1] فإنّ التّعارف والتّناكر والإئتلاف والإختلاف من صفات الأرواح. وليس من صفات العقول كما هو واضح وغير ذلك من الروايات وسيأتي إن شاء الله تعالىٰ في المجلّد الثاني بفضل الله وتوفيقه.[2]

فممّا ذكرنا ظهر أنّ هذه الأفعال والصفات كلُّها معقولات ومفهومات ومكشوفات ومُدَرَكات بنور العقل للعاقل وأنّه الكاشف لقبح الشك في الله تعالىٰ والكفر والشرك به والقنوط من رحمة الله والأمن من مكره والحقد والعداوة للمؤمنين والظُّلم وسوء الظّن والإستكبار والإستنكاف وغيرها من القبائح. فيا أيّها

---

١. *كتاب من لا يحضره الفقيه*، ج ٤، ص ٣٨٠، ح ٥٨١٨.

٢. توجد النسخة الخطيّة لهذا الكتاب ولم يطبع حتىٰ الآن.

العاقل العارف بالعقل هل يصحّ إتّحاد نور العقل الذي هو حجّة الله تعالىٰ وأشرف خلقه وأكرمه وأعزّه وأحبّه وأرفعه عند الله مع هذه القبايح التي هي مبغوضات مُحرَّمات فالحكم بيننا وبينكم هو العقل الذي هو حجّة الله على العقلاء ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾.[1]

وهذا العقل الذي هو حجّة باطنيّة وشرعٌ من الداخل وقد أودعه الله في العقلاء هو من حجج الله علىٰ خلقه في المعارف الإلهية وهو المَثَل الأعلىٰ ولا يُعرَفُ إلّا بذاته وأنّ تعريفه بغيره إنّما هو تذكر باثباته وإخراجه عن حدّ التعطيل والتشبيه فهو آية لمعرفة الرَّب تعالىٰ وأنّه تعالىٰ لا يُعرَف إلّا بذاته وتعريفه بآياته إنّما هو بالتذكّر به تعالىٰ وإخراجه عن حدّ التعطيل والتشبيه.

وهو كاشف وحجّة علىٰ أنّ المجعولات قسمان نوريّ الذّات كالعقول والأفهام ونور العلم، ومُظلَم الذّات لمَن يجد هذا النور. وأنّه حجّة علىٰ مباينة العقل مع المعقول وبطلان إتّحاد العاقل والمعقول كما أنّه حجّة علىٰ مباينة الخالق مع المخلوق وهو حجّة إلهيّة علىٰ أنّ العقل الذي إصطلحوه في العلوم البشريّة هو حجّة الشيطان لا حجّة الرَّحمٰن وهو من أشعّة ضَلاله وجهله، لأنّ من لوازم هذا العقل الإصطلاحي (الفلسفي) وأحكامه أنّ الله تعالىٰ فاعلٌ بالإيجاب وعلمه علّةُ خلقته ومشيّته وإرادته أزليّتان والجَبرُ حاكم علىٰ أفعاله وأفعال عباده[2] فيستحيل المجازات (على الأفعال القبيحة) والمعاد الجسماني، وعليه لا يبقىٰ معنىً لدعوة النبيّ ﷺ إلىٰ الإيمان ونهيه عن الكفر وتبليغه الأحكام ولا طائل تحت الوعد والوعيد والتخويف والترهيب إلّا حفظ نظام الدُّنيا فقط كما زعموه والأمر الأدهش

---

١. يونس، الآية ١٠٠.

٢. للمزيد الاطلاع راجع إلى كتاب ***سد المفر على القائل بالقَدَر***.

هو إحتمال تطوّر الحقّ تعالىٰ شأنه، وهذه الأمور كلّها عند الفلاسفة مكشوفة بالعقل النَّظري.

وبهذا العقل الإصطلاحي يرتفع الأمان عن كلّ شيء وعليه تنهدم جميع الأديان والملل ويلزم الهرج فإنّ كلّ ما يظهر في العالم بناءً علىٰ ذلك يكون طوراً من أطوار الوجود وهذا كما ترىٰ عين كلام الدهريّين وعليه تكون عبادة الأصنام وعبادة كلّ شيء عبادة الله ويكون الشيطان علىٰ حقٍّ. فبهذا يظهر أنّ العقل الذي يكون حجّة من الله تعالىٰ ليس هو هذا العقل وهو حجّة الشيطان وأهل البغي والطغيان لأنّه يؤمن الناس من الذنوب العظام ولا يعتبر أكبر الجرائم جرماً. والحمدلله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتديَ لولا أن هدانا الله.

حقيقة العلم في القرآن والحديث والعلوم البشريّة

الحاج خليل: يا سيد صباحى؛ أرجو أن تتحدّث للإخوان قليلاً حول علوم البشريّة والعلوم الإلهيّة.

السيد صباحي: العلم في العلوم البشريّة عبارة عن الصورة الحاصلة من الشيء عند النفس أو حضورها لديه ولهذا ينقسم إلىٰ الحصولي والحضوري وينقسم الحصولي إلىٰ التصور والتصديق بالأمر المتصوَّر، وأساس علومهم علىٰ ذلك، مع أنّه واضح أنّ الحصول والحضور والتصوّر والتّصديق من المعلومات، المفهومات، المكشوفات والمدرَكات بنور العلم، والمعلوم غير العلم، والعلم محيط بالمعلوم والمعلوم محاط، وتباينهما واضح ممّا تقدّم في تباين العقل والمعقول، ونتايج علومهم هي كما عرفت.

وأمّا في العلوم الإلهيّة فظاهر لمن راجع القرآن وأهله أنّ أساس القرآن

ومعارفه على نور العلم الحقيقي الذي لا يُعرَف ولا يُوصَف إلّا بنفسه لأنّ كلّ شيء يعرفه إنّما يعرفه بنور العلم فهو المعرِّف للمعلومات وهو الظّاهر بذاته المُظهِر لغيره وهو النّور الذي أنزله الله على نبيّه فقال ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾[1] وهو الذي علّمه الله تعالى أنبيائهَ ورسلَه وملائكته والأئمّة المعصومين، فهم خُزّان علم الله ومعادنه، أمروا شيعتهم بطلبه من مظانّه والإقتباس من أهله. ويقول الله تعالى:

﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾.[2]

ويقول تعالى:

﴿وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً﴾.[3]

ويقول تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً﴾.[4]

ويقول تعالى:

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾.[5]

ويقول تعالى:

﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمْ اللهُ﴾.[6]

---

١. البقرة، الآية ١٤٥.

٢. الكهف، الآية ٦٥.

٣. الأنبياء، الآية ٧٤.

٤. النمل، الآية ١٥.

٥. البقرة، الآية ٢٥٥.

٦. البقرة، الآية ٢٨٢.

ويقول تعالىٰ:

﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ...﴾.[١]

ويقول تعالىٰ:

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾.[٢]

ويقول تعالىٰ:

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً﴾.[٣]

يتّضح من هذه الآيات المباركات بأنّ علوم الملائكة المقرّبين والأنبياء والرّسل علوم إلهيّة، وأنّ معلّمهم هو الله سبحانه وتعالىٰ.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

إِنَ لِلَّهِ عِلْمَيْنِ عِلْمٌ مَكْنُونٌ مَخْزُونٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ، مِنْ ذَلِكَ يَكُونُ الْبَدَاءُ، وَعِلْمٌ عَلَّمَهُ مَلَائِكَتَهُ وَرُسُلَهُ وَأَنْبِيَاءَهُ، فَنَحْنُ نَعْلَمُه.[٤]

إنّ إحدىٰ ثوابت المذهب الشيّعي هو أنّ جميع علوم الأنبياء عليهم السلام وصل إلىٰ

---

١. المائدة، الآية ١١٠.

٢. البقرة، الآية ٣٢.

٣. مريم، الآية ٤٣.

٤. ***الكافي***، ج ١، ١٤٧، ح ٨ (باب البداء)؛ ***بصائر الدرجات***، ص ١٠٩، ح ٢ (الباب الواحد والعشرون من الجزء الثاني)؛ ***بحار الأنوار***، ج ٤، ص ١٠٩، ح ٣ (الباب الثالث البداء والنّسخ) وج ٢٦، ص ١٥٩ ـ ١٧٠، ح ٢ (الباب ١٢) وج ٤٠، ص ١١٠، ح ٢٨ (الباب الثالث البداء والنّسخ).

خاتمهم ﷺ؛ ولم يُعط أيّ كمال وعلم لأيّ مخلوق إلّا واجتمع جميعها عند الرّسول الأعظم ﷺ والإئمّة عليهم السلام؛ بل إنّ علومهم تزداد ليلاً ونهاراً؛ ويُعطون علوماً لم يكونوا عالمين بها من قبل، وخاصّة في كلّ ليلة جمعة؛ إبتداءً للنبي ﷺ، ومن بعد لأمير المؤمنين عليه السلام ومن بعد، لكلّ إمام؛ واحداً تلو الآخر وحتّىٰ الإمام الحجة عليه السلام وأنّ هذه الطريقة في التّعليم لئلّا يكون الإمام اللّاحق أعلم من الإمام الذي سبقه.[1]

وعليه، فإنّ النبي ﷺ والأئمّة الأطهار عليهم السلام أعلم وأقدر من جميع الخلق، ولا يرقى إليهم أحد في عالم الخلقة بل إنّ علم الآخرين مقابل علمهم كالقطرة مقابل البحر. وقد أشار الإمام الصادق عليه السلام إلىٰ هذه الحقيقة في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[2]، حيث يقول:

الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ... مَا كَانَ عِلْمُ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ [وهو آصف بن برخيا] عِنْدَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ إِلَّا بِقَدْرِ مَا تَأْخُذُ الْبَعُوضَةُ بِجَنَاحِهَا مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ.[3]

وقال الخضر عليه السلام للنبي موسى عليه السلام:

مَا عِلْمُنَا وَعِلْمُ سَائِرِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي عِلْمِ وَصِيِّ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ إِلَّا كَهَذِهِ الْقَطْرَةِ فِي هَذَا الْبَحْرِ.[4]

---

١. الأدلة علىٰ هذا المطلب كثيرة في الآيات القرآنية والأحاديث الشّريفة؛ فراجع كتاب: ***أبواب رحمت***.

٢. الرعد، الآية ٤٣.

٣. ***تفسير القمي***، ج ١، ص ٣٦٧.

٤. ***بحار الأنوار***، ج ٤٠، ص ١٨٦، ح ٧١ (الباب الثالث والتسعون)، وقد وردت نظير هذه

لقد أرسل الله النبي ﷺ بالرِّسالة ليُعلِّم النَّاس من علمه. يقول تعالىٰ:

﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾. [١]

ويقول الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: **﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾**:

عِلْمُ الإِمَامِ، وَوَسِعَ عِلْمُهُ الَّذِي هُوَ مِنْ عِلْمِهِ كُلَّ شَيْءٍ. [٢]

ويقول تعالىٰ:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ...﴾. [٣]

وقد أُوِّل «النور» في الآية المباركة، في كثير من الرِّوايات، بـ«نور العلم»، يقول الإمام الباقر عليه السلام:

... ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ وَضَعَ الْعِلْمَ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُ عِنْدَ الْوَصِيِّ وَهُوَ قَوْلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ يَقُولُ: أَنَا هَادِي السَّمَاوَاتِ

الرّواية ومواضيع أُخرى في الصفحة ١٧٧، ح ٦٠ من المجلد المذكور: منها ج ٢٦، ص ٢٠٠، ح ١٢ و ج ١٣، ص ٣١٣، ح ٥٢؛ ***بصائر الدرجات***، ص ٢٣٠، ح ٣ (الباب السادس من الجزء الخامس).

١. آل عمران، الآية ١٦٤.

٢. ***الكافي***، ج ١، ص ٤٢٩، ح ٨٣ (باب فيه نكت ... من كتاب الحجّة).

٣. النور، الآية ٣٥.

وَالْأَرْضِ، مَثَلُ الْعِلْمِ الَّذِي أَعْطَيْتُهُ ـ وَهُوَ نُورِيَ الَّذِي يُهْتَدَى بِهِ ـ مَثَلُ الْمِشْكَاةِ فِيهَا الْمِصْبَاحُ، فَالْمِشْكَاةُ قَلْبُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْمِصْبَاحُ النُّورُ الَّذِي فِيهِ الْعِلْمُ وَقَوْلُهُ: ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ يَقُولُ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَقْبِضَكَ فَاجْعَلِ الَّذِي عِنْدَكَ عِنْدَ الْوَصِيِّ كَما يُجعَلُ المِصبَاح فِي الزُّجَاجَةِ.[1]

ويقول عليه السلام أيضا:

فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ فَالْمِشْكَاةُ صَدْرُ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فِيهِ الْمِصْبَاحُ وَالْمِصْبَاحُ هُوَ الْعِلْمُ فِي الزُّجَاجَةِ وَالزُّجَاجَةُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَعِلْمُ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَه.[2]

ويقول عليه السلام أيضا:

الْمِشْكَاةُ نُورُ الْعِلْمِ فِي صَدْرِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿الْمِصْباحُ فِي زُجاجَةٍ﴾ الزُّجَاجَةُ صَدْرُ عَلِيٍّ عليه السلام.[3]

والخلاصة أنّ نور العلم مصباح مُضيء في عالَم المخلوقات، ومصدر هذا النور المقدَّس هو «المشكاة» وهو قلب رسول الله ﷺ، وقد انتقل هذا المصباح والضّياء إلىٰ «زجاجة» وهو قلب أمير المؤمنين عليه السلام، وعليه تكون روحُ أمير المؤمنين عليه السلام حاملة لِنور علم النبي ﷺ.

مع ملاحظة هذه الرّوايات، تتّضح حقيقة العلم؛ وقد عُبِّر عنها أحياناً بـ «نور

---

١. ***الكافي***، ج ٨، ص ٣٨٠، ح ٥٧٤.

٢. ***التوحيد***، ص ١٥٩، ح ٥ (الباب ١٥).

٣. ***التوحيد***، ص ١٥٤، ح ٤، وهناك روايات أُخرى بهذا المضمون وردت في كتاب ***بحار الأنوار***، ج ٢٣، ص ٣٠٦، ح ٣؛ ج ٤٠، ص ١٥، ح ٤ (الباب الثالث تأويل آية النور).

الولاية»، وأحياناً بـ«نور وجه الله» الذي أُضيء به كلّ شيء وتلألئت به السماوات والأرضين.

يقول الإمام السجادعليه‌السلام في المناجاة الإنجيليّة، حول هذا الموضوع:

أَنَّكَ أَقَمْتَ بِقُدْسِكَ حَيَاةَ كُلِّ شَيْءٍ وَجَعَلْتَهُ نَجاةً لِكُلِّ حَيٍّ.[١]

وهذا النّور ـ نور العلم ـ هو الذي يُعبَّر عنه ـ أحياناً ـ بالعرش، كما ورد في القرآن الكريم: ﴿**رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾.[٢]

وورد في القرآن الكريم، أيضا: ﴿**وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ**﴾.[٣]

وورد في القرآن الكريم، أيضا: ﴿**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ**﴾.[٤]

يقول الإمام الصادقعليه‌السلام:

حَمَلَةُ الْعَرْشِ ـ وَالْعَرْشُ الْعِلْمُ ـ ثَمَانِيَةٌ أَرْبَعَةٌ مِنَّا وَ أَرْبَعَةٌ مِمَّنْ شَاءَ اللَّه.[٥]

ويقول أمير المؤمنينعليه‌السلام في وصف العرش:

وَهُوَ الْعِلْمُ الَّذِي حَمَّلَهُ اللَّهُ الْحَمَلَةَ وَذلِكَ نُورٌ مِنْ عَظَمَتِهِ فَبِعَظَمَتِهِ وَنُورِهِ أَبْصَرَ قُلُوب الْمُؤْمِنِينَ وَبِعَظَمَتِهِ وَنُورِهِ عَادَاهُ الْجَاهِلُونَ ... فَالَّذِيْنَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ هُمُ الْعُلَمَاءُ الَّذِيْنَ حَمَّلَهُمَ اللهُ عِلْمَهُ ....[٦]

---

١. ***بحار الأنوار***، ج ٩١، ص ٩٤، ١٥٧، ح ٢٣ (الباب ٣٢ من كتاب الذكر والدعاء).

٢. النمل، الآية ٢٦.

٣. الحاقة، الآية ١٧.

٤. غافر، الآية ٧.

٥. ***الكافي***، ج ١، ص ١٣٢، ح ٦.

٦. ***الكافي***، ج ١، ص ١٢٩، ح ١ (باب العرش والكرسي).

ويقول الإمام الرضاعليه السلام حول الآية الشّريفة: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ...﴾:

الْعَرْشُ لَيْسَ هُوَ اللّهَ وَالْعَرْشُ اسْمُ عِلْمٍ وَقُدْرَةٍ... وَهُمْ حَمَلَةُ عِلْمِه.... [١]

ويقول الإمام الصادقعليه السلام:

الْعَرْشُ هُوَ الْعِلْمُ الَّذي لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ قَدْرَه. [٢]

ويقولعليه السلام أيضا:

[الْعَرْشُ] هُوَ الْعِلْمُ الَّذِي أَطْلَعَ اللّهُ عَلَيْهِ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ وَحُجَجَه. [٣]

يتّضح من هذه الرّوايات بأنّ أحد معاني العرش هو «العلم» وحَمَلَةُ العرش هم العلماء؛ أي الملائكة والأنبياء والرُّسل وأئمّة الدّين. وهذا عين ما ذكره الأئمّةعليهم السلام في روايات متعددة. قال الإمام الصادقعليه السلام:

إنَ لِلّهِ عِلْمَيْنِ عِلْمٌ مَكْنُونٌ مَخْزُونٌ لَا يَعْلَمُهُ إلَّا هُوَ مِنْ ذَلِك يَكُونُ الْبَدَاءُ وَعِلْمٌ عَلَّمَهُ مَلَائِكَتَهُ وَرُسُلَهُ وَ أَنْبِيَاءَهُ فَنَحْنُ نَعْلَمُه. [٤]

يقول أمير المؤمنينعليه السلام:

إنَّ رَسُولَ اللّهِصلى الله عليه وآله أَسَرَّ إِلَيَّ أَلْفَ حَدِيثٍ، فِي كُلّ حَدِيثٍ أَلْفُ بَابٍ، لِكُلّ بَابٍ

---

١. ***الكافي***، ج ١، ص ١٣٠، ح ٢ (باب العرش والكرسي).

٢. ***التوحيد***، ص ٣٢٧، ح ٢ (الباب ٥٢).

٣. ***بحار الأنوار***، ج ٥٥، ص ٢٩، ح ٤٧ (باب العرش والكرسي).

٤. ***الكافي***، ج ١، ص ١٤٧، ح ٨ (باب البداء)؛ ***بصائر الدرجات***، ج ١، ص ١٠٩، ح ٣؛ ***بحار الأنوار***، ج ٤، ص ١١٠، ح ٢٧ (الباب الثالث من كتاب التوحيد) و ج ٢٦، ص ١٣٦، ح ٩ (الباب الثاني عشر من كتاب الإمامة).

أَلْفُ مِفْتَاح.[١]

وهناك روايات كثيرة تدلّ علىٰ أنّ علم الأنبياء والرّسل والملائكة المقرّبين والأئمّة المعصومين عليهم السلام، علم الهي؛ نذكر بعضها علىٰ سبيل المثال لا الحصر:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: تَذَاكُرُ الْعِلْمِ بَيْنَ عِبَادِي مِمَّا تَحْيَا عَلَيْهِ الْقُلُوبُ الْمَيْتَةُ إِذَا هُمُ انْتَهَوْا فِيهِ إِلَى أَمْرِي.[٢]

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

مَنْ دَانَ اللَّهَ بِغَيْرِ سَمَاعٍ مِنْ عَالِمٍ صَادِقٍ أَلْزَمَهُ اللَّهُ التِّيهَ إِلَى الْفَنَاءِ، وَمَنِ ادَّعَى سَمَاعاً مِنْ غَيْرِ الْبَابِ الَّذِي فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَلْقِهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ، وَذَلِكَ الْبَابُ هُوَ الْأَمِينُ الْمَأْمُونُ عَلَى سِرِّ اللَّهِ الْمَكْنُونِ.[٣]

ويقول الرّسول الاعظم صلى الله عليه وآله:

طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِ مُسْلِمٍ، فَاطْلُبُوا الْعِلْمَ مِنْ مَظَانِّهِ وَ اقْتَبِسُوهُ مِنْ أَهْلِهِ فَإِنَّ تَعْلِيمَهُ لِلَّهِ حَسَنَةٌ وَطَلَبَهُ عِبَادَةٌ وَ الْمُذَاكَرَةَ بِهِ تَسْبِيحٌ وَ الْعَمَلَ بِهِ جِهَادٌ وَتَعْلِيمَهُ مَنْ لَا يَعْلَمُهُ صَدَقَةٌ وَبَذْلَهُ لِأَهْلِهِ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّهُ مَعَالِمُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَمَنَارُ سُبُلِ الْجَنَّةِ وَالْمُونِسُ فِي الْوَحْشَةِ وَ الصَّاحِبُ فِي الْغُرْبَةِ وَالْوَحْدَةِ وَالْمُحَدِّثُ فِي الْخَلْوَةِ... إِنَّ الْعِلْمَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ مِنَ الْجَهْلِ وَضِيَاءُ

---

١. ورد في ***بحار الأنوار***، ج ٤٠، ص ١٢٧ ـ ١٣٧ (الباب ٩٣ من كتاب أمير المؤمنين عليه السلام) روايات كثيرة بهذا المضمون.

٢. ***الكافي***، ج ١، ص ٤١، ح ٦ (باب سؤال العالم وتذاكره).

٣. ***بحار الأنوار***، ج ٢، ص ١٠٥، ح ٦٨ (الباب ١٤ من كتاب العلم).

الْأَبْصَارِ مِنَ الظُّلْمَةِ وَقُوَّةُ الْأَبْدَانِ مِنَ الضَّعْفِ يَبْلُغُ بِالْعَبْدِ مَنَازِلَ الْأَخْيَارِ وَمَجَالِسَ الْأَبْرَارِ وَالدَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، الذِّكْرُ فِيهِ يَعْدِلُ بِالصِّيَامِ وَمُدَارَسَتُهُ بِالْقِيَامِ، بِهِ يُطَاعُ الرَّبُّ وَيُعْبَدُ وَبِهِ تُوصَلُ الْأَرْحَامُ وَبِهِ يُعْرَفُ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، الْعِلْمُ إِمَامُ الْعَمَلِ وَ الْعَمَلُ تَابِعُهُ يُلْهِمُهُ السُّعَدَاءَ وَيَحْرِمُهُ الْأَشْقِيَاءَ فَطُوبَى لِمَنْ لَمْ يَحْرِمْهُ اللَّهُ مِنْهُ حَظَّهُ.[1]

وقال صلى الله عليه وآله أيضا:

الْعَالِمُ بَيْنَ الْجُهَّالِ كَالْحَيِّ بَيْنَ الْأَمْوَاتِ وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى حِيتَانُ الْبَحْرِ وَ هَوَامُّهُ وَسِبَاعُ الْبَرِّ وَ أَنْعَامُهُ فَاطْلُبُوا الْعِلْمَ فَإِنَّهُ السَّبَبُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ.[2]

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

لَيْسَ الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ إِنَّمَا هُوَ نُورٌ يَقَعُ فِي قَلْبِ مَنْ يُرِيدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَهْدِيَه.[3]

ويقول الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله:

إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ نَادَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ فَوْقِ الْعَرْشِ: مَرْحَباً بِكَ يَا عَبْدِي، أَ تَدْرِي أَيَّ مَنْزِلَةٍ تَطْلُبُ وَأَيَّ دَرَجَةٍ تَرُومُ؟ تُضَاهِي مَلَائِكَتِي الْمُقَرَّبِينَ لِتَكُونَ لَهُمْ قَرِيناً، لَأُبَلِّغَنَّكَ مُرَادَكَ وَلَأُوصِلَنَّكَ بِحَاجَتِكَ. فَقِيلَ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام: مَا مَعْنَى مُضَاهَاةِ مَلَائِكَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْمُقَرَّبِينَ لِيَكُونَ لَهُمْ

---

١. **بحار الأنوار**، ج ١، ص ١٧١، ح ٢٤ (الباب الأوّل من كتاب العلم).

٢. **بحار الأنوار**، ج ١، ١٧٢، ح ٢٥ (الباب الاول من كتاب العلم).

٣. **بحار الأنوار**، ج ١، ص ٢٢٥، ح ١٧ (الباب الأوّل من كتاب العلم).

قَرِيناً ؟ قَالَ : أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَ ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّـهُ لَا إِلهَ إِلَّا هُـوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فَـبَدَأَ بِنَفْسِهِ وَثَنَّى بِمَلَائِكَتِهِ وَثَلَّثَ بِأُولِي الْعِلْمِ الَّذِينَ هُمْ قُرَنَاءُ مَلَائِكَتِهِ، وَسَيِّدُهُمْ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وَثَانِيهِمْ عَلِيٌّ عليه السلام وَثَالِثُهُمْ أَهْلُهُ وَأَحَقُّهُمْ بِمَرْتَبَتِهِ بَعْدَهُ، قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام : ثُمَّ أَنْتُمْ مَعَاشِرَ الشِّيعَةِ الْعُلَمَاءُ بِعِلْمِنَا تَأولُونَ [تالُونَ لَـنَا] مَقْرُونُونَ بِنَا وَبِمَلَائِكَةِ اللَّهِ الْمُقَرَّبِين شُهَدَاءَ لله بِتَوحِيدِهِ وَعَدلِهِ وَكَرَمِهِ وَجُودِهِ قَاطِعُونَ لِمَعَاذِيرِ المُعَانِدِينَ ....[1]

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام:

إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالْأَنْبِيَاءِ أَعْلَمُهُمْ بِمَا جَاءُوا بِهِ ثُمَّ تَلا عليه السلام : ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[2].[3]

ويقول عليه السلام أيضا:

يَا كُمَيْلُ ... النَّاسُ ثَلَاثَةٌ عَالِمٌ رَبَّانِيٌّ وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ وَهَـمَجٌ رَعَـاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ فَيَهْتَدُوا....[4]

وينقل الإمام العسكري عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال:

مَنْ كَانَ مِنْ شِيعَتِنَا عَالِماً بِشَرِيعَتِنَا فَأَخْرَجَ ضُعَفَاءَ شِيعَتِنَا مِنْ ظُلْمَةِ جَهْلِهِمْ إِلَى نُورِ الْعِلْمِ الَّذِي حَبَوْنَاهُ بِهِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى رَأْسِهِ تَاجٌ مِنْ نُورٍ يُضِيءُ

---

١. **بحار الأنوار**، ج ١، ص ١٨٠، ح ٦٨ (الباب الأوّل من كتاب العلم).

٢. آل عمران، الآية ٦٨.

٣. **بحار الأنوار**، ج ١، ص ١٨٣، ح ٧٩ (الباب الأوّل من كتاب العلم).

٤. **بحار الأنوار**، ج ٢٣، ص ٤٥، ح ٩١ (الباب الأوّل من كتاب الإمامة).

لِأَهْلِ جَمِيعِ الْعَرَصَاتِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ لَا يَقُومُ لِأَقَلِّ سِلْكٍ مِنْهَا الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ يَا عِبَادَ اللَّهِ هَذَا عَالِمٌ مِنْ تَلَامِذَةِ بَعْضِ عُلَمَاءِ آلِ مُحَمَّد. [١]

إنّ جميع هذه الرّوايات تمدح علماء الدّين الذين ورثوا علوم الأنبياء عليهم السلام واستفادوا من أنوارهم المقدّسة.

قال الإمام الرضا عليه السلام ذات مرة:

رَحِمَ اللَّهُ عَبْداً أَحْيَا أَمْرَنَا فَقُلْتُ لَهُ: وَكَيْفَ يُحْيِي أَمْرَكُمْ؟ قَالَ: يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاس. [٢]

وأخيراً، قال الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله:

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَجْمَعُ الْعُلَمَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَقُولُ لَهُمْ: لَمْ أَضَعْ نُورِي وَحِكْمَتِي فِي صُدُورِكُمْ إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ بِكُمْ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَة. [٣]

يتّضح من هذه الآيات والرّوايات الواردة حول العلم بأنّ العلم نور إلهي، ومَثَلُه كالمصباح وقد استقرّ في قلب الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله المقدّس، وانتقل منه إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام. وقد عُبّر عنه بالعرش، وأنّ الأنوار كلّها أُخذت منه وكل شيء ظاهر به وأنّ العلماء حملة العرش وهو السبب في إحياء القلوب الميّتة وبه تبصر القلوب وتقدر الأبدان وبه المعرفة والتوحيد وإطاعة الله تعالىٰ وعبادته وهو السبب في تقرّب العباد إلىٰ الله وكلّما إزداد علم البشر إزداد تقرّباً بالأنبياء والأولياء

---

١. **بحار الأنوار**، ج ٢، ص ٢، ح ٢ (الباب الثامن من كتاب العلم).

٢. **بحار الأنوار**، ٢، ص ٣٠، ح ١٣ (الباب التاسع من كتاب العلم).

٣. **بحار الأنوار**، ٢، ص ١٦، ح ٣٧ (الباب الثامن من كتاب العلم) و ج ٧، ص ٢٢٦، ح ٤٥ (الباب الثامن من كتاب العدل والمعاد).

وإنّ خلفاء الأحكام الإلهيّة والقوانين الرُّبوبيّة هم الأنبياء في المرتبة الأُولىٰ ومن ثمّ أوصيائهم وخلفائهم الأئمّة سلام الله عليهم في المرتبة الثانية، وفي المرتبة الثالثة العلماء العاملين والفقهاء الكاملين.

إنّ أئمّة الحقّ قد عرَّفوا مقامَ النبوَّة والإمامة بكلّ وضوح، وبيّنوا آثار وصفات أهل هذين المقامين في أحاديث كثيرة لكي يفتضح من يدَّعي النبوة والإمامة كذباً وزوراً، ولكي لا يبتلى الناس بالشَّك والتَّرديد. كما أنّهم بيّنوا، في هذه الرّوايات وفي روايات أُخرىٰ، حقيقة العلم ومنشأ الحصول عليه، وخزّانه وآثاره وصفاته، حتّىٰ لا يكون هناك شكّ أو شُبهة في معرفة العلماء الرَّبانييّن.

وبعبارة أُخرى، كما إدّعى البعض، كذباً، مقام النّبوة والإمامة، إدّعىٰ البعض مقام العلم، كذباً وسيدَّعونه. أمّا الأئمّة عليهم السلام فقد أوضحوا الطريق جيّداً وأتمّوا الحُجّة.

ويتّضح، بنور العلم أيضا، بأنّ تلك الصّورة الحاصلة من الأشياء في النَّفس والقلب ـ والذي يُطلق عليه العلم خطأً ـ ليست علماً، وليست نوراً بذاتها ـ سواءً كانت مطابقةً للواقع أو مخالفةً له ـ بل إنّ الصُّورة وصاحبها إنّما يُكشفان ويُعرفان ويُفهمان ويُدركان بالعلم. إنّ العلم نور بذاته، والصُّورة الذِّهنيّة مظلمَة بذاتها، وإنّما تضاء بنور العلم.

حينما وصل البحث إلىٰ هنا، قال الحاج صمد: يا حاج خليل؛ تفضّل بالأمر بتوزيع الشَّاي مرة أُخرىٰ حتّىٰ يستريح السيد صباحي وباقي الأصدقاء قليلاً. جاؤا بالشَّاي وتمّ تقديمه، وكانت فرصة قصيرة للإستراحة وشُرب الشَّاي.

الحاج خليل: يا سيّد صباحي؛ بعد إذن الأخوة، أرجو أن تتحدّث قليلاً حول الرُّجوع إلىٰ القرآن والسُّنة في معارف وأصول الدِّين الإسلامي الحنيف.

إلتفت السيّد صباحي إلىٰ الدكتور حسين خان وقال: يا دكتور؛ إنّني مُرهَق؛ فإذا أمكن، أرجو أن تقوم أنت بشرح هذا الموضوع.

الدكتور حسين خان: إذا حضر الماء بطل التيمّم. ولكن أَقبلُ ذلك لأنّني أراك مُرهَقاً.

نعم؛ إنّ الّذين عَمِيَت بواطنهم من رؤية الحقائق الإلهيّة، وابتعدوا عن الهداية الإلهيّة، يطلبون المعارف والعلوم الإسلامية من غير الباب الذي فتحه الله علىٰ عباده، وتمسّكوا بالآيات المتشابهة بدون الرجوع إلىٰ أهل بيت النبوة عليهم السلام - الّذين عندهم علم القرآن - فأضلّوا، وضلّوا الآخرين.

إنّني أستأذن من السيّد صباحي وباقي الأخوة لأذكر عدّة جُمَل حول ضرورة الرُّجوع إلىٰ القرآن الكريم والرِّوايات في الأصول والفروع وذلك بهدف التذكير والترغيب والتأكيد.

فقال الجميع: تفضّل.

لزوم الرّجوع إلىٰ الكتاب والسُّنة في الأصول والفروع

الدكتور حسين خان: إنّ الله تعالىٰ يحذّر عباده، فيقول:

﴿أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا غَافِلِينَ﴾.[1]

ويقول تعالىٰ أيضا:

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.[2]

---

١. الأعراف، الآية ١٧٢.

٢. الملك، الآية ١٠.

ويقول أيضا:

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ﴾.[١]

عندما وصل كلام الدكتور حسين خان إلىٰ هنا، تعالىٰ صوت بكاء المحروق. رفع يديه إلىٰ السَّماء، وأكمل الآية المباركة مع الدكتور ودموعه تجري:

﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً﴾.[٢]

تأثّر الدّكتور والآخرون كثيراً، ثمّ تلا آيات أُخرى:

﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلاَ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُجْرِمِينَ﴾.[٣]

قال صباحي: يا دكتور؛ هذه الآية مناسبة، أيضا:

﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ ...﴾.[٤]

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ...﴾.[٥]

عند ذلك، توجّه الدكتور حسين خان إلىٰ المحروق، وقال:

---

١. الأحزاب، الآية ٦٧.

٢. الأحزاب، الآية ٦٨.

٣. سبأ، الآيتان ٣١ـ ٣٢.

٤. البقرة، الآية ١٦٦.

٥. إبراهيم، الآية ٢٣.

إنّك ما دَخَلت في البيت الذي جعله الله معدن الوحي والعلم والنور والحكمة، ولهذا حُجِبْت عن الأنوار الإلهيّة اللّامعة، وتِهت في ظلمات الضَّلال، وابتعدت عن طريق الهداية، وسلكت طريق أهل الضَّلال.

لقد جعلتم قادتكم أولئك الذين أسّسوا دينهم على الهَوىٰ والرَّأي والقياس وواضح بأنّ تعاليم الدِّين وأصول الشَّريعة لا تنسجم مع هوى النَّفس والقياس.

ففي حياة الرَّسول الأعظمﷺ يجب الرُّجوع إليه للوصول إلىٰ الأصول والمعارف الدِّينية، ومن بعده يجب الرَّجوع إلىٰ الحُجّة المنصوب من قِبَل الله عزوجل ومن قِبَل رسولهﷺ.

إنّ حجّة الله بعد الرّسول الأعظمﷺ خليفتاه، وهما: القرآن الكريم، وأهل بيته، ولا يجوز التَّعدّي علىٰ هذين الخليفتين، ومن يتجاوزهما، يضلّ ويخزى.

يقول تعالىٰ:

﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.[١]

ويقول أيضا:

﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.[٢]

ويقول أيضا:

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾.[٣]

تغيَّر حال الحضور وهم ينظرون إلىٰ المحروق. وأمّا المحروق، ففي الوقت الذي كانت عيناه شاخصتين إلىٰ السَّماء ويحتضن رُكبتيه كانت قطرات دموعه

تستقرّ علىٰ وجنتيه.

الدكتور حسين خان: إذا توجّه الإنسان إلىٰ المخلوقات بفطرته الأوّليّة سيجد الإختلاف والتبّاين بينها. سيجد بأنّ الإنسان مع الحيوان والجمادات مع النباتات ليسوا من جنس واحد؛ المرأة غيرُ الرَّجُل، والظُّلم غير العدل، والمرض غير الصِّحة، والفقر غير الغنى.

إنّ كلّ فرد يَجِدُ، بفطرته السَّليمة، بأنّ له ولباقي المخلوقات خالقاً غيره وغير الموجودات التي يتفاعل معها.

كما يَجِدُ كلّ فرد، بفطرته السَّليمة، بأنّ أفعاله تصدر منه وبإختياره، ولهذا السَّبب نرىٰ بأنَّ النَّاس يلوم، أو يمدح، بعضهم بعضاً، أو أنّهم يعترفون بأعمالهم السَّيئة فيعتذرون، أو أنّهم يظهرون النَّدامة من أعمالهم السَّيئة والقبيحة؛ هذه هي طريقة القرآن الكريم والعترة الطاهرة، وأمّا طريقة الصُّوفيّة ـ وكما أسلفنا ـ تختلف عن كلّ هذه الأُمور.

السيِّد صباحي: يا دكتور؛ بالإضافة إلىٰ هذا، فإنّ أساس القرآن الكريم، وتعاليم الأئمّة الأطهار عليهم السلام، مبنيّ علىٰ رفع الإختلاف، ولأنّ أفراد البشر كانوا مختلفين في إعتقاداتهم وأصول عقائدهم، أرسل الله تعالىٰ الأنبياء لرفع الإختلاف فيما بين الناس وإيصالهم إلىٰ الحقائق ودفع الفساد عنهم. يقول تعالىٰ:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.[1]

١. البقرة، الآية ٢١٣.

في هذه الآية المباركة، يعتبر القرآن الكريم بأنّ الإختلاف خاصّ بالعلماء، وأنّ مهمّة الأنبياء هي رفع هذا الإختلاف، وأنّ الهداية الحقيقيّة تكون من نصيب أتباع الأنبياء والمؤمنين، لا من نصيب الّذين يتشبّثون بكلمات الآخرين، ويدخلون في دين الله بالرأي والقياس والفكر، ويُعرضون عن مجاري الوحي الإلهي.

يقول تعالىٰ:

﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ❁ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾.[١]

أي أنّ الإختلاف كان موجوداً في البشر ويبقىٰ إلّا في الّذين يرحمهم الله ويلطف بهم، وأولئك هم أتباع الأنبياء والأئمّة عليهم السلام الصّادقون والمخلصون فقط.[٢]

إنّ كلّ من يتمسّك بغير القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام لا يكون تابعاً للقرآن الكريم والعترة عليهم السلام.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

كَذَبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَعْرِفُنَا وَهُوَ مُتَمَسِّكٌ بِعُرْوَةِ غَيْرِنَا.[٣]

ويقول الإمام الباقر عليه السلام:

كُلَّمَا لَمْ يَخْرُجْ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ فَهُوَ بَاطِلٌ.[٤]

---

١. هود، الآية ١١٨ ـ ١١٩.

٢. راجع: ***الكافي***، ج ١، ص ٤٢٩، ح ٨٢ (باب فيه نكت و... من كتاب الحجة)؛ ***بحار الأنوار***، ج ٢٤، ص ٢٠٤، ح ١ (الباب ٥٤ من كتاب الإمامة).

٣. ***معاني الأخبار***، ص ٣٩٩، ح ٥٧ (باب نوادر المعاني).

٤. ***بحار الأنوار***، ج ٢، ص ٩٤، ح ٣٤ (الباب ١٤ من كتاب العلم).

ومن المُسَلَّم به أنّ من يختار طريق علماء البشر ويتّبعهم يكون قد دخل في الإسلام من باب غير آل محمّدﷺ وابتعد عن بيوتهم.

يقول تعالىٰ:

﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.[1]

في هذه الآية المباركة، تأكيد علىٰ أنّ الله تعالىٰ أنزل القرآن الكريم على الرّسول الأعظمﷺ لرفع الإختلاف، والهداية، والرّحمة بين المؤمنين. ويظهر من هذا البيان بأنّ وظيفة الرّسول الأعظمﷺ هي رفع الإختلاف وإخراج البشر من ظلمات الضَّلال إلىٰ نور هداية القرآن؛ كما يقول في آية أُخرى:

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.[2]

إنّ الله تعالىٰ أودع علمه في كتابه الكريم، وأنزله على الرّسول الأعظمﷺ؛ ويقول تعالىٰ:

﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾.[3]

ويقول أيضا:

﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾.[4]

---

١. النحل، الآية ٦٤.

٢. إبراهيم، الآية ١.

٣. النساء، الآية ١٦٦.

٤. البقرة، الآية ١٤٥.

ويقول أيضا:

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾.[1]

بما أنّ القرآن الكريم مشتمل علىٰ علم الله، فلا يستطيع الجنّ والأنس أن يأتوا بمثله ولو اجتمعوا له. وقد نزل هذا العلم علىٰ رسول الله ﷺ، ليرفع الإختلاف من بين الناس، وقد أبلغ الرّسول ﷺ الرّسالة ولم يقصّر فيه. ولكن نظراً لعدم وجود قابليّة لدىٰ جميع الأفراد لِتَلَقِّي علم القرآن والإستفادة منه، فقد أودع رسول الله ﷺ ـ بأمرٍ مِنَ الله ـ علم القرآن عند أمير المؤمنين عليه السلام ومن بعده وصل (ذلك العلم) إلىٰ الأئمّة عليهم السلام من ولده.

فجعل الرّسول الأعظم ﷺ الأئمّة عليهم السلام مع القرآن الكريم خليفتين في أُمّته من بعده، وأمر بالتّمسك بهما معاً، وقال إنّ النّجاة في التمسُّك بهما معاً. إنّ الله تعالىٰ عَرّف القرآن الكريم بأنّه نور، وحكمة، وموعظة، وشفاء لما في الصُّدور، ورحمة، وذكر، وهداية، وتذكرة، وذكرىٰ، وبيّنات، وميزان، وفرقان بين الحقّ والباطل، والقول الفصل بين البشر، وأوجب إتبّاعَه.

وبالإضافة إلىٰ كلّ ذلك، وصف القرآن الكريم بأنّه «حديث»[2] و «أحسن الحديث»[3] وذلك مقابل العلوم القديمة التي لا تزيد إلّا ظلمةً وضلالاً.

وقد وصُف القرآن الكريم بهذه الأوصاف في كلمات وأحاديث الرَّسول

---

١. هود، الآية ١٤.

٢. الجاثية، الآية ٦: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾.

٣. الزمر، الآية ٢٣: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً ...﴾.

الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السلام يقول الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله:

مَنِ ابْتَغَى الْعِلْمَ فِي غَيْرِهِ أَضَلَّه الله.[1]

ويقول الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

مَنْ طَلَبَ الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ الله.[2]

ويقول تعالىٰ:

﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْراً * مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْراً﴾.[3]

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾.[4]

الحاج صمد: يا سيّد محروق؛ فعلت فعلاً حسناً إذ رفعت يدك عن «المُرشديّة» وإلّا لكنت في الآخرة من الحمّالين.[5]

تعالت أصوات ضَحك الحُضور، وخَرَج المجلس عن وِقاره وانفتح باب المزاح، وبدأ الجميع بتبادل الطَّرائف فيما بينهم.

الحاج خليل: يا كربلائي جعفر؛ هاتِ لنا الشّاي، دخلت «صينيّة» الشّاي، وأمسك كلّ واحد منهم بيده فنجان الشّاي.

وبدأ صباحي بالحديث، وفنجان الشّاي بيده، فقال: قال الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله

---

١. ***بحار الأنوار***، ج ٨٩، ص ٢٧، ح ٣٠ (الباب الأوّل من كتاب القرآن).

٢. ***بحار الأنوار***، ج ٨٩، ص ٣١، ح ٣٤ (الباب الأوّل من كتاب القرآن).

٣. طه، الآيتان ٩٩ ـ ١٠٠.

٤. الزخرف، الآية ٣٦.

٥. مثل معروف يُضرب لمن يحمل وزر عمل غيره كما يحمل الحَمّال بضاعة غيره (المترجم).

لأمير المؤمنين عليه السلام:

يَا عَلِيُّ أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَأَنْتَ بَابُهَا فَمَنْ أَتَى مِنَ الْبَابِ وَصَلَ. يَا عَلِيُّ أَنْتَ بَابِيَ الَّذِي أُوتَى مِنْهُ وَأَنَا بَابُ اللَّهِ، فَمَنْ أَتَانِي مِنْ سِوَاكَ لَمْ يَصِلْ إِلَيَّ وَمَنْ أَتَى اللَّهَ مِنْ سِوَايَ لَمْ يَصِلْ إِلَى اللَّهِ. [١]

وقد نُقلت هذه الرّواية بصورة متواترة من العامّة والخاصّة؛ كما صَرَّح به ***صاحب الوسائل*** [٢] في ذيل الحديث.

يقول الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله:

مَعَاشِرَ النَّاسِ أَنَا دَارُ الْحِكْمَةِ وَعَلِيٌّ مِفْتَاحُهَا وَلَنْ يُوصَلَ إِلَى الدَّارِ إِلَّا بِالْمِفْتَاحِ. [٣]

إذن، من أراد النَّجاة والهداية، عليه أن يرجع إلىٰ القرآن الكريم وعترة الرَّسول الأعظم صلى الله عليه وآله لأنّ الله ورسوله جعلا هذين (القرآن والعترة) معاً طريقاً للسَّعاة والهداية وأنّهما لن يفترقا إلىٰ يوم القيامة.

وقد ورد في كتاب ***وسائل الشيعة*** الشَّريف (باب القضاء) أكثر من (٣٠) رواية، وفي كتاب ***مستدرك الوسائل*** نحو (٢٠٠) رواية، مضمونها: إنّه يجب التَّمسك بعترة الرَّسول صلى الله عليه وآله والقرآن في أصول الدين وفروعه، ولا يجوز تفسير القرآن من غير الرجوع إلىٰ أحاديث أهل البيت عليهم السلام الذين هم حَمَلة عِلْم القرآن،

---

١. ***وسائل الشيعة***، ج ٢٧، ٧٦، ح ٤٠ [٣٣٢٤٢] (الباب السَّابع من أبواب صفات القاضي من كتاب القضاء).

٢. هو: الشّيخ محمّد بن حسن الحرالعاملي.

٣. ***بحار الأنوار***، ج ٣٨، ص ١٠٢، ح ٢٤ (الباب ٦١ من كتاب تاريخ أمير المؤمنين).

وأنّ النجاة والسعادة لكلّ فَرْدٍ مرهون باتّباع هذين الثّقلين القيّمين.

إنّ الله تعالىٰ بعث أشرف المخلوقات ومنقذ البشريّة الأوحد لنجاتهم من وادي الضَّلالة والخسارة الملتوية المرعبة التي أوجدها قُطّاع طريق عالم الإنسانية، وأنزل معه كتاباً يحمل جميع الكمالات والعلوم والمعارف والقوانين المحكمة التي لا يسعد البشر إلّا بها، وبدون تلك التّعاليم لا يستطيع أن يدخل عالم الإنسانية والشّرافة.

ولكن، أصبح هذا الكتاب المقدَّس والتعاليم الإلهيّة المحكمة مهملة من قِبَل المُسلمين ـ حتّىٰ أنّ أبناءهم يدرسون (١٦) عاماً في المدارس ولكنّهم لا يعرفون شيئاً عن التوّحيد ومعرفة الله كما يريد القرآن الكريم، لأنّهم لا يعلّمونهم القرآن، وحتّىٰ إذا علّموهم، فإنّهم يعلّمونهم القرآن الذي يخرج تفسيره من أفواه علماء البشر والفلاسفة والعرفاء.

لا شكَّ أنّ هذا الأمر لا يخصّ زماننا هذا؛ بل إنّ القرآن أصبح غريباً وابتعد البشر عن علومه منذ أن انتشار الفلسفة والعرفان بين المسلمين، في حين أنّ القرآن ذاته يقول:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾.[1]

ويقول أيضا:

﴿هٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾.[2]

---

١. البقرة، الآية ١٨٥.

٢. آل عمران، الآية ١٣٨.

ويقول أيضا:

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾.[١]

ويقول أيضا:

﴿إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾.[٢]

ويقول أيضا:

﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَىٰ﴾.[٣]

ويقول أيضا:

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾.[٤]

ويقول أيضا:

﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾.[٥]

إنّ الله تعالىٰ يصف القرآن الكريم في هذه الآيات المبارَكات بأنّه سبيل للهداية وإرشاد الضالين، وأنّه البيان والميزان والمفرِّق بين الحقّ والباطل، وأنّ من يتّبعه لا يضلّ ولا يشقىٰ.

---

١. النحل، الآية ٨٩.

٢. الإسراء، الآية ٩.

٣. طه، الآية ١٢٣.

٤. الشورى، الآية ١٧.

٥. الطارق، الآية ١٣.

وبالتأكيد، يجب أن يكون هذا الإتّباع عن طريق إرشاد قادة الدِّين، الذين هم معلّموا القرآن الكريم ومعرّفوه الحقيقيّون حتّىٰ يستطيع الفرد النَّجاة من ظلمات الجهل، ويتنوّر قلبه ونفسه بنور العلوم الإلهيّة، ويعيش في الحياة سعيداً وشريفاً، وينال مقام القُرب الإلهي في الآخرة.

ولكن ـ ومع الأسف الشديد ـ ظَنَّ جمع من المسلمين بأنّ اتّباع القرآن الكريم يتعلّق بفروع الدِّين فقط، وأمّا في الأُصول وأساس الشَّريعة، كمعرفة الله، فيجب الإتّكال علىٰ عقولهم ويكون معرفة أصول الدِّين بالبراهين الفلسفيّة أو المكاشفة والشُّهود العرفاني!!!

لقد ركن هؤلاء إلىٰ البرهان والمكاشفة والشُّهود والتي لا تترتّب عليها أيّة فائدة، ولا يمكن التفريق بين ما هو الحقّ والباطل منها.

إنّ لَمِن العجب حقّاً بأنّه ـ مع هذه الإختلافات الموجودة بين علماء البشر ببراهينهم هذه ـ كيف يمكن للعالِم أن يستأنس بها في أصول الدين الإلهي؟!!

في هذه الأثناء، قال الحاج خليل: الوقت يقترب من الزَّوال[1]، فإذا كنتم ترغبون، نذهب إلىٰ الشُّرفة الأَمامية للبناية، لأن الجوّ هناك ألطف والمنظر أجمل.

قال جميع الضُّيوف نعم؛ مكان جيّد جدّاً.

نادى الحاج خليل: يا كربلائي جعفر؛ أُفرش الشُّرفة.

نهض الضُّيوف من أماكنهم، وذهبوا إلىٰ الشُّرفة. الكل يمزح. قال أحدهم؛ من الجيّد أن نقضي كلّ فَصل الصَّيف هنا.

الحاج صمد: بشرط أن يبقىٰ السيّد المحروق معنا لأنّه سبب الخير والبركة

---

١. الزوال: الظهر؛ وهو ميل الشمس عن كبد السماء، ويحل ذلك عند الظهر الشرعي. نقول: الساعة الرابعة زوالاً، أي الرابعة بعد الظهر (المترجم).

لنا!!

استعدّ الحاج خليل للأذان بعد رفع الأذان، إصطفّ الحضور لصلاة الجماعة، وبعد أداء الصَّلاة وتناول الغداء، وأخذِ قسط من الرَّاحة، اتّكأ كلُّ واحد منهم علىٰ مسندة، وكان «السَّماور» يفيض على المجلس دِفْئاً إضافيّاً.

الدكتور حسين خان: يا سيّد صباحي؛ الأخوة يرغبون لإستماع تتمّة حديثك ليستفيدوا.

السيَّد صباحي: لقد بَيَّنَ الله تعالىٰ في هذه الآية المباركة بأنّ علم الكتاب موجود لدىٰ شخص مُعيَّن:

﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾.[١]

ونُقل في روايات متواترة، من العامّة والخاصَّة، بأنَّ المراد من قوله: ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ هو أمير المؤمنين عليه السلام.[٢]

ويقول في مكان آخر:

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾.[٣]

وورد في الرِّوايات بأنّ المراد من ﴿إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ في الآية المباركة هو أمير

---

١. الرعد، الآية ٤٣.

٢. ***بصائر الدرجات***، ص ٢٣٢ و ٢١٢ ـ ٢١٦ (الباب الأوّل من الجزء الخامس)؛ ***الكافي***، ج ١، ص ٢٢٦، ح ٦ (باب أنّه لم يجمع علم القرآن كلّه إلّا الأئمّة)؛ ***تفسير القمي***، ج ١، ص ٣٦٧؛ ***بحار الأنوار***، ج ٢٦، ص ١٦٠، ح ٦ (الباب ١٢ من كتاب الإمامة) و ج ٣٥، ص ٣٩١، و ٤٢٩ و ٤٣٠ و ٤٣١؛ ***شواهد التنزيل***، ج ١، ص ٤٠٠، ح [٤٢٢ ـ ٤٢٤]؛ ***زاد المسير في علم التفسير***، ج ٢، ص ٥٠٢؛ ***الكشف والبيان***، ج ٥، ص ٣٠٣ و....

٣. يٓس، الآية ١٢.

المؤمنين عليه السلام[١]، كما ورد عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام بالتواتر بأنّ جميع علوم القرآن الكريم موجودة عندهم وهو من ضروريّات المذهب الشّيعي.[٢]

فمن اتّبع الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السلام في دينه يكون قد اتّبع الله ووصل إلىٰ السّعادة والنّجاة. وأمّا إذا اتّبع الشّخص في دينه، هوى النفس، والرّأي، والقياس، فقد ضَلَّ. ويقول الله عنه:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ﴾.[٣]

وقد ورد في الرِّوايات، تفسير هذه الآية المباركة:

مَن أَضَلّ مِمَّن أَخَذَ دِينَهُ مِنْ غَيْرِ الإمَامِ الهُدَىٰ بِالحَقِّ.[٤]

كما ورد في تفسير قوله تعالىٰ: **﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾.**[٥]

مَنْ قَالَ بِالْأَئِمَّةِ وَاتَّبَعَ أَمْرَهُمْ وَلَمْ يَجُزْ طَاعَتَهُم.[٦]

يقول الإمام الباقر عليه السلام:

إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلِمْنَا وَمِنْ حُكْمِهِ أَخَذْنَا وَمِنْ قَوْلِ الصَّادِقِ سَمِعْنَا

---

١. ***بحار الأنوار***، ج ٢٤، ص ١٥٨، ح ٢٤ (الباب ٤٦ من كتاب الإمامة).

٢. راجع: ***تفسير الصافي***، ج ١، ص ١٩ (المقدمة الثانية)؛ ***منهاج البراعة***، ج ٢، ص ٢٢١ (التذييل الثالث).

٣. القصص، الآية ٥٠.

٤. ***بصائر الدرجات***، ص ١٣ (الجزء الأوّل من الباب الثامن).

٥. طه، الآية ١٢٣.

٦. ***بصائر الدرجات***، ص ١٤، ح ٢ (الجزء الأوّل من الباب الثامن)؛ ***بحار الأنوار***، ج ٢، ص ٩٣، ح ٢٥ (الباب ١٤ من كتاب العلم).

فَإِنْ تَتَّبِعُونا تَهْتَدُوا.[١]

ويقول أيضا:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ﴾[٢] يَعْنِي مَن اتَّخَذَ دِينَهُ رَأْيَهُ مِنْ غَيْرِ إِمَامٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْهُدَى.[٣]

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام:

وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللهِ، فَإِنَّهُ الحَبْلُ المَتِينُ، وَالنُّورُ المُبِيْنُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، وَالرِّيُّ النَّاقِعُ، وَالعِصْمَةُ لِلمُتَمَسِّكِ، والنَّجَاةُ لِلمُتَعَلِّقِ.[٤]

ويقول أيضا:

وَاعْلَمُوا أَنَّ هذا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ، وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ، وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ ... فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ وَالْغَيُّ وَالضَّلَالُ ... وَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَداً بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ؛ فَإِنَّهُ حَبْلُ اللهِ المَتِيْنُ وَسَبَبُهُ الأَمِيْنُ، وَفِيْهِ رَبِيْعُ القَلْبِ، وَيَنَابِيْعُ العِلْمِ، وَمَا لِلْقَلْبِ جَلَاءٌ غَيْرُهُ.[٥]

ويقول أيضا:

فَالْقُرْآنُ آمِرٌ زَاجِرٌ، وصَامِتٌ ناطِقٌ. حُجَّةُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ.[٦]

---

١. ***بصائر الدرجات***، ص ٥١٤، ح ٣٤ (الجزء العاشر من الباب السابع عشر).

٢. القصص، الآية ٥٠.

٣. ***بصائر الدرجات***، ص ١٣، ح ١ و ٢ و ٣ و ٥ (الجزء الأوّل من الباب الثامن)؛ ***بحار الأنوار***، ج ٢، ص ٩٣، ح ٢٣ (باب ١٤ من كتاب العقل والعلم ...).

٤. ***نهج البلاغة***، الخطبة ١٧٦، ص ٢٩٠.

٥. ***نهج البلاغة***، الخطبة ١٧٦، ص ٣٣٦.

٦. ***نهج البلاغة***، الخطبة ١٨٣، ص ٣٥٢.

ويقول أيضا:

ابـتَعَثَهُ بِـالنُّورِ الـمُضِيءِ، وَالـبُرْهَانِ الـجَلِيِّ، وَالْـمِنْهَاجِ الْـبَادِي وَالْكِـتَابِ الْهَادِي ... أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ وَدَعْـوَةٍ مُـتَلَافِيَةٍ، أظْـهَرَ بِـهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ، وَقَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَةَ، وَبَيَّنَ بِهِ الأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ. [1]

ويقول الإمام الرضاعليه السلام:

هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ وَعُرْوَتُهُ الْوُثْقَى وَطَرِيقَتُهُ الْمُثْلَى الْمُؤَدّي إِلَـى الْـجَنَّةِ وَ الْمُنْجِي مِنَ النَّارِ لَا يَخْلُقُ مِنَ الْأَزْمِنَةِ وَلَا يَغِثُّ عَلَى الْأَلْسِنَةِ لِأَنَّهُ لَمْ يُـجْعَلْ لِزَمَانٍ دُونَ زَمَانٍ بَلْ جُعِلَ دَلِيلَ الْبُرْهَانِ، وَحُجَّةً عَـلَى كُـلِّ إِنْسَـانٍ لا يَأْتِـيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ. [2]

ويقول الإمام الصادقعليه السلام:

كِتابُهُ وَهُو نُورُهُ وَحِكْمَتُهُ. [3]

ويقول الإمام السجادعليه السلام في دعاء ختم القرآن كما ورد في ***الصحيفة السَّجادية*** لمباركة:

وَقُرْآناً أَعْرَبْتَ بِهِ عَنْ شَرَائِعِ أَحْكَامِكَ وَكِتَاباً فَصَّلْتَهُ لِعِبَادِكَ تَفْصِيلاً، وَوَحْياً أَنْزَلْتَهُ عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ - صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ - تَنْزِيلاً. وَجَعَلْتَهُ نُوراً نَهْتَدِي (بِهِ) مِنْ ظُلَمِ الضَّلَالَةِ وَالْجَهَالَةِ بِاتِّبَاعِهِ، وَشِفَاءً لِمَنْ أَنْصَتَ بِفَهْمِ التَّصْدِيقِ

---

١. ***نهج البلاغة***، الخطبة ١٦١، ص ٣٠٢.

٢. ***بحار الأنوار***، ج ٨٩، ص ١٤، ح ٦ (الباب الأوّل من كتاب القرآن).

٣. ***الخصال***، ج ١، ص ١٤٦ ـ ١٧٤؛ ***بحار الأنوار***، ج ٨٣، ص ١٢، ح ١ (البـاب الأوّل مـن أبواب فصله وأحكامه).

إِلَى اسْتِمَاعِهِ، وَمِيزَانَ قِسْطٍ لَا يَحِيفُ عَنِ الْحَقِّ لِسَانُهُ، وَنُورَ هُدًى لَا يُطْفَأُ عَنِ الشَّاهِدِينَ بُرْهَانُهُ، وَعَلَمَ نَجَاةٍ لَا يَضِلُّ مَنْ أَمَّ قَصْدَ سُنَّتِهِ، وَلا تَنَالُ أَيْدِي الْهَلَكَاتِ مَنْ تَعَلَّقَ بِعُرْوَةِ عِصْمَتِهِ....[١]

فاتَّضح، إذن، بأنّ القرآن الكريم هو الكتاب المبين وحبل الله المتين، وسبيله العظيم، وصراطه المستقيم، الذي من إقتدىٰ به، سينجح ويسعد ويدخل الجنّة، ومن طلب الهداية والعلم والمعرفة من غيره، يُضِلّه الله لأنّ الله جَعَلَه هدايَةً للضّاليّن، وسراجاً للمُبصِرين، ومعيناً للذين غرقوا في الظُّلُمَات.

إنّ القرآن الكريم سبب لترقّي المساكين، وشفاء لقلوب المرضىٰ، وعبرة للجاهلين، وعِلاج لِمَرض الكفر والشرك والطغيان ومانع من الوقوع في التهّلكة والضَّلال.

من تمسّك به هداه الله ونجّاه من الضَّلالة، ومن يطلب النُّور منه، نوّره الله. مَن يقدّمه علىٰ غيره، يَهدِيه الله، ومن يقدِّم غيرَه عليه، يضلّه الله، لأنّ القرآن الكريم حُجَّة الله علىٰ خلقه، ولا يجوز أن يتقدَّم أيُّ شيء علىٰ حُجّة الله.

انّ القرآن الكريم ميزان الحقّ والحقيقة، والقسط، والعدل. إذن يجب التَّمسُّك به في الأصول والفروع والإقتداء به، ولا يمكن التَّمَسُّك به إلّا لمن يأخذ تأويله من النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته صلى الله عليه وآله لأنهما غير مفترقين، ولن يفترقا حتّىٰ يردا علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله الحوض. ولهذا يقول الأئمّة الأطهار عليهم السلام:

بِنَا عُبِدَ اللهُ، وَبِنَا عُرِفَ اللهُ، وَبِنَا وُحِّدَ اللهُ، لَوْلَانَا مَا عُبِدَ اللهُ، وما عُرِفَ اللهُ،

---

١. *الصحيفة السّجاديّة*، ص ١٧٦، الدعاء ٤٢.

وَمَا وُحِّد اللهُ. [١]

ولأنّ توضيحات القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام، حول معرفة الله ومعارف الدّين كافية، فقد حَرَّمَ أولئك العِظام من أن يتَحدَّث الناس بفكرهم ورأيهم حول الله وصفاته؛ إنهم يقولون:

إيَّاكُمْ وَالكَلامُ فِي اللهِ، تكَلَّمُوا فِي عَظَمَتِهِ وَلَا تَكَلَّمُوا فِيهِ فإِنَّ الكَلَامَ فِي اللهَ لَا يَزِيدُ إلَّا تِيْهاً. [٢]

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام:

مَنْ فَكَّرَ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَزَنْدَق. [٣]

من هنا فإنّهم مَنَعوا المؤمنين من الرُّجوع إلىٰ غير الرّسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام في الأصول والمعارف، وأكَّدوا علىٰ ضرورة اتّباع القرآن والعترة في أصول الدِّين وفروعه، وأمروهم بعدم التَعَدِّي والتّجاوز عن مفادّ القرآن الكريم لأنّهم إذا فعلوا ذلك سيضلّون وسيهلكون.

يقول الإمام الصادق عليه السلام خطاباً لعبد الرحيم القصير:

---

١. ***بحار الأنوار***، ج ٢٣، ص ١٠٢، ح ٨ (الباب السّادس من كتاب الإمامة)؛ ج ٢٥، ص ٢١، ح ٣١ (الباب الأوّل)؛ ج ٢٦، ص ٢٤٦، ح ١٤ (الباب الخامس).

٢. ***التوحيد***، ص ٤٥٧، ح ١٧؛ راجع: ***بحار الأنوار***، ج ٦٢، ص ٣٢١، ذيل حديث الثالث (الباب ٨٠ من كتاب الايمان والكفر)؛ ج ٣، ص ٢٥٩، ح ٤ (الباب التاسع من كتاب التوحيد).

٣. ***الكافي***، ج ٨، ص ٢٢ (خطبة الوسيلة)؛ ***بحار الأنوار***، ج ٧٤، ص ٢٨٥، ح ١ (الباب ١٤).

فَتَعَالَى اللّهُ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، تَعَالَى عَمَّا يَصِفُهُ الْوَاصِفُونَ الْمُشَبِّهُونَ اللّهَ بِخَلْقِهِ الْمُفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ. فَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللّهُ أَنَّ الْمَذْهَبَ الصَّحِيحَ فِي التَّوْحِيدِ مَا نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ مِنْ صِفَاتِ اللّهِ جَلَّ وَعَزَّ، فَانْفِ عَنِ اللّهِ تَعَالَى الْبُطْلَانَ وَ التَّشْبِيهَ، فَلَا نَفْيَ وَلَا تَشْبِيهَ، هُوَ اللّهُ الثَّابِتُ الْمَوْجُودُ، تَعَالَى اللّهُ عَمَّا يَصِفُهُ الْوَاصِفُونَ وَلَا تَعْدُوا الْقُرْآنَ فَتَضِلُّوا بَعْدَ الْبَيَانِ. [١]

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام:

مَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَاتَّبِعْهُ لِيُوصِلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ وَائْتَمَّ بِهِ وَاسْتَضِئْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ وَحِكْمَةٌ أُوتِيتَهُمَا فَخُذْ مَا أُوتِيتَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ وَمَا دَلَّكَ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ مِمَّا لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ عَلَيْكَ فَرْضُهُ، وَلَا فِي سُنَّةِ الرَّسُولِ وَ أَئِمَّةِ الْهُدَى أَثَرُهُ، فَكِلْ عِلْمَهُ إِلَى اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللّهِ عَلَيْكَ.... [٢]

والظّاهر أنّ كلمة «من» في قوله عليه السلام «**مِمَّا لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ**» بيانيّة. إذن، فما يدلّ عليه الشّيطان هو ـ في الواقع ـ من الأمور التي لا توجَد في القرآن الكريم ولا في سُنّة رسول الله وأئمّة الهدى عليه وعليهم الصّلاة والسلام.

ويُستفاد من هذا البيان، بأنّ ما يدلّ عليه القرآن الكريم والسُّنة النبويّة الشّريفة فهو من الله تعالىٰ؛ وغيره يكون من الشّيطان. من هنا، فإنّ الأمر لا يخلو من وجهين: فإمّا أن يكون من الله أو أن يكون من الشّيطان. والشّاهد علىٰ هذا

---

١. ***الكافي***، ج ١، ص ١٠٠، ح ١ (بابُ النهيِ عن الصِّفة بغير ما وصف به نفسه تعالىٰ).

٢. ***التوحيد***، ص ٥٥، ح ١٣ (الباب الثاني).

الموضوع، ما يرويه الإمام الرضاعليه‌السلام عن رسول الله بهذه الصّورة:

مَنْ أَصْغَى إِلَى نَاطِقٍ فَقَدْ عَبَدَهُ فَإِنْ كَانَ النَّاطِقُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ عَبَدَ اللَّهَ وَإِنْ كَانَ النَّاطِقُ عَنْ إِبْلِيسَ فَقَدْ عَبَدَ إِبْلِيس.... [1]

كما رُوي عن الإمام الجوادعليه‌السلام حديث بهذا المضمون. [2]

وقال الإمام الكاظمعليه‌السلام مخاطباً «ابن أبي عمير»:

يَا أَبَا أَحْمَدَ لَا تَتَجَاوَزْ فِي التَّوْحِيدِ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ فِي كِتَابِهِ فَتَهْلِكَ ... وَأَنَّهُ [تعالىٰ] لَا تُقَدِّرُهُ الْعُقُولُ وَلَا تَقَعُ عَلَيْهِ الْأَوْهَامُ وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْأَقْطَارُ وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ وَلا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء..... [3]

ويقول الإمام الرضاعليه‌السلام:

سُبْحَانَكَ ! مَا عَرَفُوكَ وَلَا وَحَّدُوكَ، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَصَفُوكَ.

سُبْحَانَكَ ! لَوْ عَرَفُوكَ، لَوَصَفُوكَ بِمَا وَصَفْتَ بِهِ نَفْسَكَ. سُبْحَانَكَ كَيْفَ طَاوَعَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يُشَبِّهُوكَ بِغَيْرِكَ ؟.

اللَّهُمَّ [إلَهِي] لَا أَصِفُكَ إِلَّا بِمَا وَصَفْتَ بِهِ نَفْسَكَ، وَلَا أُشَبِّهُكَ بِخَلْقِكَ. أَنْتَ أَهْلٌ لِكُلِّ خَيْرٍ، فَلَا تَجْعَلْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.

[ثُمَّ ... فَقَالَ:] مَا تَوَهَّمْتُم مِنْ شَيْءٍ فَتَوَهَّمُوا اللهَ غَيْرَهُ. [4]

---

١. ***بحار الأنوار***، ج ٢٦، ص ٢٣٩، ح ١ (الباب الرّابع من كتاب الإمامة).

٢. ***بحار الأنوار***، ج ٢، ص ٩٤، ح ٣٠ (الباب الرابع عشر من كتاب العلم).

٣. ***التوحيد***، ص ٧٦، ح ٣٢ (الباب الثاني).

٤. ***التوحيد***، ص ١١٤، ح ١٣ (الباب الثامن).

ويقول عليه السلام، حول القرآن الكريم:

كلام الله لا تَتَجاوَزه، ولا تطلبوا الهُدَى في غيره، فَتَضِلّوا.[١]

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام:

إنَّ الْمُؤْمِنَ أَخَذَ دِينَهُ عَنْ رَبِّهِ وَلَمْ يَأْخُذْهُ عَنْ رَأْيِه.[٢]

ومن الواضح أنّ أخذ الدِّين عن الرَّبّ يعني أخذ الأُصول والفروع من كلامه وكلام خلفائه وهم حَمَلَة الكتاب وترجمانِ وَحيهِ؛ في مقابل أخذ الدِّين من غيرهم، اعتماداً على الرأي والقياس وهوىٰ النفس.

معرفة الله فعل الله[٣]

المحروق: السيِّد صباحي لو سمحت تكلّم قليلاً عن معرفة الله تعالىٰ في الآيات والروايات.

السيِّد صباحي: لقد تكلمنا عن هذا الأمر قليلاً، إلّا إنّ الكلام في هذا الباب كثير نتطرق إلىٰ بعض المطالب ههنا.

يقول الله سبحانه وتعالىٰ:

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾.[٤]

---

١. *التوحيد*، ص ٢٢٤، ح ٢ (الباب الثلاثون).

٢. **بحار الأنوار**، ج ٦٥، ص ٣٠٩، ح ١ (الباب ٢٥ من كتاب الإيمان والكفر).

٣. من هذا المكان إلى آخر الكتاب كتبه المؤلف رحمه الله باللغة العربيّة وقد تصرّفنا في بعض العبارات ليسهل فهمها للقاريء (المترجم).

٤. مؤمن، الآية ١٣.

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام:

هُوَ الدَّالُ بِالدَّلِيلِ عَلَيْهِ وَالْمُؤَدِّي بِالْمَعْرِفَةِ إِلَيْهِ .[١]

ونقرأ في دعاء الصباح أيضا:

يَا مَنْ دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ وَتَنَزَّهَ عَنْ مُجَانَسَةِ مَخْلُوقَاتِه .[٢]

الإمام الصادق عليه السلام يطلب من الشيعة في زمن الغيبة أن يقرئوا هذا الدعاء:

اللَّهُمَ عَرِّفْنِي نَفْسَكَ....[٣]

ونقرأ في دعاء آخر:

تَعَرَّفْتَ لِكُلِّ شَيءٍ فَما جَهِلَك شَيءٌ .[٤]

يقول محمّد بن حكيم قلت للصادق عليه السلام:

اَلْمَعْرِفَةُ مِنْ صُنْعِ مَنْ هِيَ ؟ قال : مِنْ صُنْعِ اللهِ لَيْسَ لِلْعِبادِ فيها صُنْعٌ .[٥]

يقول عبدالأعلىٰ قلت للإمام الصادق عليه السلام:

أَصْلَحَكَ اللَّهُ هَلْ جُعِلَ فِي النَّاسِ أَدَاةٌ يَنَالُونَ بِهَا الْمَعْرِفَةَ ، قَالَ : فَقَالَ لَا ، قُلْتُ : فَهَلْ كُلِّفُوا الْمَعْرِفَةَ ؟ قَالَ : لَا ، عَلَى اللَّهِ الْبَيَانُ ، لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا

---

١. ***بحار الأنوار***، ج ٤، ص ٢٥٣، ح ٧ (الباب الرابع من كتاب التوحيد).

٢. ***بحار الأنوار***، ج ٨٤، ص ٣٣٩، ح ١٩ (الباب ١٤ من كتاب الصَّلاة).

٣. ***بحار الأنوار***، ج ٥٢، ص ١٤٦، ح ٧٥ (الباب ٢٢ من تاريخ الإمام الثاني عشر).

٤. ***بحار الأنوار***، ج ٦٤، ص ١٤٢ (الباب الرابع من كتاب الايمان والكفر)؛ ***بحار الأنوار***، ج ٩٥، ص ٢٢٧، ح ٣ (الباب الثاني أعمال يوم عرفة).

٥. ***الكافي***، ج ١، ص ١٦٣، ح ٢ (باب البيان والتعريف ...).

وُسْعَها وَلا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا ما آتاهَا .[١]

قال الإمام الصادقعليه السلام:

سِتَّةُ أَشْيَاءَ لَيْسَ لِلْعِبَادِ فِيهَا صُنْعٌ ، الْمَعْرِفَةُ وَالْجَهْلُ وَالرِّضَا وَالْغَضَبُ وَالنَّوْمُ وَالْيَقَظَةُ.[٢]

وقال أيضا:

لَيْسَ لِلَّهِ على خَلْقِهِ أَنْ يَعْرِفُوا، وَلِلْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُعَرِّفَهُمْ، وَلِلَّهِ عَلَى الْخَلْقِ إِذَا عَرَّفَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا.[٣]

وقال أيضا:

لَمْ يُكَلِّفِ اللَّهُ الْعِبَادَ الْمَعْرِفَةَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ إِلَيْهَا سَبِيلاً.[٤]

يقول فضل أبو العباس بَقْباق سألت الإمام الصادقعليه السلام عن قول الله: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾[٥]:

هلْ لَهُمْ غَيْرَ ذَلِكَ صُنْعٌ ؟ قال : لا.[٦]

يقول حسن بن زياد سألت أبا عبداللهعليه السلام عن الايمان:

---

١. *الكافي*، ج ١، ص ١٦٣، ح ٥ (باب البيان والتعريف ...).

٢. الكافي، ج ١، ص ١٦٤، ح ١ (باب اختلاف الحجّة على عباده).

٣. *الكافي*، ج ١، ص ١٦٤، ح ١ (باب حجج الله على خلقه).

٤. *المحاسن*، ج ١، ص ١٩٨، ح ٢٦.

٥. المجادلة، الآية ٢٢.

٦. *المحاسن*، ج ١، ص ١٩٩، ح ٢٧؛ قد ورد في *بحار الأنوار*، ج ٥، ص ٢٢٢، ح ٦ لفظ

هَلْ لِلْعِبَادِ فِيهِ صُنْعٌ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَا كَرَامَةَ بَلْ هُوَ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلِهِ. [١]

ويقول أيضا سألت الإمام الصادقعليه‌السلام عن قول الله:

﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ هَلْ لِلْعِبَادِ بِمَا حَبَّبَ صُنْعٌ ؟ قَالَ : لا ، وَلَا كَرَامَةَ. [٢]

إلىٰ غير ذلك من الروايات الكثيرة الدالة علىٰ ذلك. [٣]

وكلّها كما ترىٰ تدلّ علىٰ أنّ المعرفة من صنع الله في قلوب عباده وهو تطوّل وتفضّل من الله تعالىٰ عليهم وإحسان منه تعالىٰ إليهم، كما ورد في تفسير قوله تعالىٰ **﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ﴾** حديث عن أميرالمؤمنينعليه‌السلام عن الرسولصلى‌الله‌عليه‌وآله أنّه قال:

إنّ اللهَ ـ عزَّوَجَلَّ ـ قَالَ مَا جَزَاءُ مَنْ أنعمتُ عَلَيهِ بِالتَّوحِيدِ إلَّا الجَنَّةَ. [٤]

فأصل المعرفة من الله تعالىٰ والإستدلالات والإحتجاجات والتذكرات كلّها مقتضيات وأسباب فإنّه (أبىٰ الله إلّا أن يجري الأمور بأسبابها) فعند وجودها يفيض تبارك وتعالىٰ المعرفة ويزيد ما يشاء.

لقد منّ الله تعالىٰ علىٰ عباده بأن أخذ عليهم الميثاق في عالم الذّر وأراهم

---

١. ***المحاسن***، ج ١، ص ١٩٩، ح ٢٨.

٢. ***المحاسن***، ج ١، ص ١٩٩، ح ٢٩. راجع: في هذا الموضوع إلىٰ ***بحار الأنوار***، ج ٣، ص ٢٧٠، ح ٦ ـ ٩؛ ***بحار الأنوار***، ج ٥، ص ٢٢٠، ح ١٢ و ص ٣٠٢.

٣. راجع: ***بحار الأنوار***، ج ٣، ص ٢٧٠، ح ٦ و ٧ و ٨؛ وقد ذكر العلّامة المجلسيرحمه‌الله في، ج ٥، ص ٢٢٠، ثلاث عشر رواية حول هذا الموضوع.

٤. ***التوحيد***، ص ٢٨؛ ***بحار الأنوار***، ج ٣، ص ٢، ح ٢ (باب ثواب الموحدين والعارفين من كتاب التوحيد).

نفسه وعاينوا ربّهم وتكلّم تعالىٰ مع جميعهم فقال ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [١] وذلك حيث عرّفهم نفسه وأشهدهم علىٰ نفسه فأثبت المعرفة في قلوبهم وأنساهم رؤيته وهذه هي فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم.

نعم هذه هي صبغة الله تعالىٰ، صبغهم علىٰ معرفته ومن أحسن من الله صبغة ولذلك ﴿لَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ و ﴿لَئِن سَأَلْتَهُم مَن نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ و ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾.

والآيات المتظافرة والأخبار المتكاثرة الدالة علىٰ ذلك أكثر من أن نذكرها هنا إلّا أنّه نشير إلىٰ بعضها:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ...﴾. [٢]

سئل عن أبي عبدالله عليه السلام عن ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ﴾ في هذه الآية قال:

التَّوْحِيدُ. [٣]

وقال في رواية أُخرىٰ:

فَطَرَهُم جَميعاً عَلَىٰ التَّوْحِيد. [٤]

وقال عليه السلام في حديث آخر في هذا المقام:

... هِيَ الإِسْلَامُ فَطَرَهُمُ اللَّهُ حِينَ أَخَذَ مِيثَاقَهُمْ عَلَى التَّوْحِيدِ. قَالَ: ﴿أَلَسْتُ

---

١. الأعراف، الآية ١٨٢.

٢. الروم، الآية ٣٠.

٣. *الكافي*، ج ٢، ص ١٢، ح ١ (باب فطرة الخلق على التوحيد).

٤. *الكافي*، ج ٢، ص ١٣، ح ٣.

بِرَبِّكُمْ﴾ وَفِيهِ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ.[١]

وقال الإمام الباقر عليه السلام عن قوله ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾:

هُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيٌّ، اللَّهِ إِلَى هَاهُنَا التَّوْحِيد.[٢]

وفي كتاب التوحيد[٣] ذكر تسعة أحاديث بمضمون هذه الروايات، منها ما ذكره زرارة عن الإمام الصادق عليه السلام قال قلت له: أصلحك الله ما هو قول الله عزوجل في كتابه ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ﴾ قال:

فَطَرَهُمْ عَلَى التَّوْحِيدِ عِنْدَ الْمِيثَاقِ عَلَى مَعْرِفَتِهِ أَنَّهُ رَبُّهُمْ. قُلْتُ وَخَاطَبُوهُ قَالَ فَطَأْطَأَ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ: لَوْ لَا ذَلِكَ لَمْ يَعْلَمُوا مَنْ رَبُّهُمْ وَلَا مَنْ رَازِقُهُمْ.[٤]

وفي النبوي المشهور:

كُلُ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَواه يُهَوِّدَانَهُ أَو يُنَصِّرَانَهُ ويُمَجِّسَانَهُ.[٥]

وقال الإمام الرضا عليه السلام:

بِالْفِطْرَةِ تَثْبُتُ حُجَّتُه.[٦]

---

١. ***الكافي***، ج ٢، ص ١٢، ح ٢؛ ***البرهان في تفسير القرآن***، ج ٣، ص ٢٣٦، ح ٦.
٢. ***تفسير القمي***، ج ٢، ص ١٥٥.
٣. ***التوحيد***، ص ٣٢٨ (الباب ٥٣: فطرة الله عزوجل...).
٤. ***التوحيد***، ص ٣٣٠، ح ٨.
٥. ***بحار الأنوار***، ج ٥٨، ص ١٨٧، ح ٥٢ (الباب ٤٤ من كتاب السماء والعالم).
٦. ***التوحيد***، ص ٣٥، ح ٢ (الباب الثاني)؛ ***بحار الأنوار***، ج ٤، ص ٢٢٨، ح ٣ (الباب الرابع من كتاب التوحيد).

٢ ـ يقول الله تعالىٰ:

﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً...﴾.[١]

يقول الإمام الصادقعليه السلام في تفسير هذه الآية:

صَبَغَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْوَلَايَةِ فِي الْمِيثَاق.[٢]

ويقول أيضا:

الصِّبْغَةُ مَعْرِفَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَعليه السلام بِالْوَلَايَةِ فِي الْمِيثَاقِ.[٣]

وروايات أُخرىٰ في هذا المجال مذكورة في كتاب ***البرهان***.[٤]

٣ ـ يقول الله تعالىٰ:

﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾.[٥]

قال الإمام الصادقعليه السلام في تفسير هذه الآية:

الْحَنِيفِيَّةُ مِنَ الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ قَالَ فَطَرَهُمْ عَلَى الْمَعْرِفَةِ بِهِ....[٦]

---

١. البقرة، الآية ١٣٨.

٢. ***البرهان في تفسير القرآن***، ج ١، ص ٣٣٩، ح ١.

٣. ***بحار الأنوار***، ج ٣، ص ٢٨١، ح ٢٠ (الباب ١١ من كتاب التوحيد).

٤. ***البرهان في تفسير القرآن***، ج ١، ص ٣٣٩، ح ١ ـ ٧.

٥. الحج، الآية ٣١.

٦. ***الكافي***، ج ٢، ص ١٣، ح ٤ (باب فطرة الخلق على التوحيد)؛ ***بحار الأنوار***، ج ٦٤، ص ١٣٥، ح ٧ (الباب الرابع من كتاب الايمان والكفر) وهو مروي عن الإمام الباقرعليه السلام، والمذكور في الكافي هذه العبارة (الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها).

وقد وردت روايات أخرى في كتاب **البرهان** ذيل هذه الآية.[١]

وكذلك توجد روايات بهذا المضمون ذيل قوله تعالىٰ ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾.[٢]

٤ ـ يقول الله تعالىٰ:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا...﴾.[٣]

يقول الإمام الباقر عليه السلام في تفسير هذه الآية:

أَخْرَجَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ ذُرِّيَّتَهُ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَخَرَجُوا كَالذَّرِّ، فَعَرَّفَهُمْ وَأَرَاهُمْ نَفْسَهُ، وَلَوْلَا ذٰلِكَ لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ رَبَّهُ....[٤]

وقال الإمام الصادق عليه السلام أيضا:

أَوَّلُ مَنْ سَبَقَ مِنَ الرُّسُلِ إِلَى «بَلَى» رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله ... كَانَ الْمِيثَاقُ مَأْخُوذاً عَلَيْهِمْ للهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَلِرَسُولِهِ بِالنُّبُوَّةِ وَلأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَئِمَّةِ بِالإِمَامَةِ، فَقَالَ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ وَمُحَمَّدٌ نَبِيَّكُمْ وَعَلِيٌّ إِمَامُكُمْ وَالْأَئِمَّةُ الْهَادُونَ أَئِمَّتَكُمْ؟ فَقَالُوا: بَلَى....[٥]

يقول ابن مُسكان سألت الإمام الصادق عليه السلام:

مُعَايَنَةً كَانَ هٰذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، فَثَبَتَتِ الْمَعْرِفَةُ وَنَسُوا الْمَوقِفَ وَسَيَذْكُرُونَهُ؛

---

١. ***البرهان في تفسير القرآن***، ج ٤، ص ٣٤١ ـ ٣٤٦، ح [٨٣٢٦ ـ ٨٣٥٣].

٢. ***البرهان في تفسير القرآن***، ج ٢، ص ١٧٧ ـ ١٧٩، ح [٢٧٥٧].

٣. الأعراف، الآية ١٧٢.

٤. ***الكافي***، ج ٢، ص ١٣، ح ٤ (باب فطرة الخلق على التوحيد)؛ ***بحار الأنوار***، ج ٦٤، ص ١٣٥، ح ٧؛ ***البرهان في تفسير القرآن***، ج ٣، ص ٢٣٦، ح ٣.

٥. ***بحار الأنوار***، ج ٥، ص ٢٣٦، ح ١٢ (الباب العاشر من كتاب العدل والمعاد).

وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَدْرِ أَحَدٌ مَنْ خَالِقُهُ وَرَازِقُهُ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَقَرَّ بِلِسَانِهِ فِي الذَّرِّ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِقَلْبِهِ، فَقَالَ اللهُ: ﴿فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾.[١]

يقول الإمام الباقر عليه السلام في تفسير آية الذّر:

ثَبَتَتِ الْمَعْرِفَةُ فِي قُلُوبِهِمْ وَنَسُوا الْمَوْقِفَ، وَسَيَذْكُرُونَهُ يَوْماً وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَدْرِ أَحَدٌ مَنْ خَالِقُهُ، وَلَا مَنْ رَازِقُه.[٢]

قال الإمام الصادق عليه السلام:

لَمَّا أَرَادَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يَخْلُقَ الخَلقَ خَلقهُمْ وَنَشَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ. ثُمَّ قالَ لَهُمْ: مَنْ رَبُّكُمْ؟ فَأَوَّلُ مَنْ نَطَقَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وَأَمِيرُ المُؤْمِنِينَ وَالأَئِمَّة صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أجْمَعِينَ فقالوا: أنتَ رَبُّنَا فَحَمَّلَهُمُ العِلْمَ والدِّينَ، ثُمَّ قَالَ: لِلْمَلائِكَةِ هَؤُلَاءِ حَمَلَةُ دِينِي وَعِلمِي وَأَمَنَائِي فِي خَلقِي وَهُمُ المَسْؤلُونَ. ثُمَّ قالَ: لِبَنِي آدَمَ أَقِرُّوا لِلَّهِ بالرُّبُوبيَّةِ: وَلِهَؤُلاءِ النَّفَر بِالطَّاعَةِ وَالوَلايَةِ، فقالوا: نَعَمْ رَبَّنَا أَقْرَرْنَا. فَقَالَ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ لِلمَلَائِكَةِ: اشْهَدُوا. فقالتِ المَلائِكَة: شَهِدْنَا عَلَى أنْ لَا يَقُولوا غَدّاً إنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ .... وِلَايَتُنَا مُؤَكَّدَةٌ عَلَيْهِمْ فِي المِيثاق.[٣]

وقال عليه السلام أيضا في تفسير آية الذّر:

---

١. **بحار الأنوار**، ج ٥، ص ٢٣٧، ح ١٤؛ ***البرهان في تفسير القرآن***، ج ٣، ص ٢٣٩، ح ١٣.

٢. **بحار الأنوار**، ج ٣، ص ٢٨٠، ح ١٦ (الباب ١١ من كتاب التوحيد)؛ ***تفسير العياشي***، ج ٢، ص ٤٠.

٣. **بحار الأنوار**، ج ٥، ص ٢٤٤، ح ٣٣ (الباب العاشر من كتاب العدل والمعاد).

أَخْرَجَ اللهُ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ ، فَخَرَجُوا كالذَّرِّ فَعَرَّفَهُمْ نَفْسَهُ وَأَرَاهُمْ نَفْسَهُ ؛ وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا عَرَفَ أَحَدٌ رَبَّهُ وَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ .[١]

وقال عليه السلام أيضا في تفسير آية الذّر:

كَانَ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ وَآلِهِ السَّلَامُ أَوَّلَ مَنْ قَالَ بَلَى ، قُلْتُ : كَانَتْ رُؤْيَةَ مُعَايَنَةٍ ؟ قَالَ : ثَبَتَتِ الْمَعْرِفَةُ فِي قُلُوبِهِمْ وَأُنْسُوا ذَلِكَ الْمِيثَاقَ وَسَيَذْكُرُونَهُ بَعْدُ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَدْرِ أَحَدٌ مَنْ خَالِقُهُ وَلَا مَنْ يَرْزُقُهُ .[٢]

٥ ـ يقول الله تعالىٰ:

﴿هٰذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولَىٰ﴾ .[٣]

يقول الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية:

إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا ذَرَأَ الْخَلْقَ فِي الذَّرِّ الأَوَّلِ فَأَقَامَهُم صُفُوفاً وَبَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً فَآمَنَ بِهِ قَوْمٌ ، وَأَنْكَرَهُ قَوْمٌ ؛ فَقَالَ اللهُ هذا ﴿نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولى﴾ ، يَعْنِي بِهِ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله حَيْثُ دَعَاهُمْ إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِي الذَّرِّ الأَوَّلِ .[٤]

---

١. **بحار الأنوار**، ج ٥، ص ٢٥٨، ح ٦؛ **بصائر الدرجات**، ص ٧١ و ٧٢، ح ٦ و ٩ (الباب السابع من الجزء الثاني).

٢. **بحار الأنوار**، ج ٥، ص ٢٥٧، ح ٥٨. الروايات في هذا المجال وفي تفسير آية الذّر كثيرة وانّ مداركها مذكورة في كتاب **مستدرك سفينة البحار**، ج ٣، ص ٤١٥، فراجع.

٣. النجم، الآية ٥٦.

٤. **تفسير القمي**، ج ٣، ص ٣٤٠؛ وقد ورد المقطع الأخير من هذه الرواية في **بصائر الدرجات**، ج ١، ص ٨٥، ح ٦ (الباب الرابع عشر).

إنّ صريح هذه الرّوايات المباركات المتواترة، الموافقة للكتاب العزيز ـ اللَّذَين هما خليفتا رسول الله ﷺ علىٰ أمّته ومن تمسّك بهما لا يضلّ أبداً ـ أنّ الله فطر الناس جميعاً علىٰ معرفته ومعرفة رسوله ﷺ ومعرفة الأئمّة صلوات الله عليهم وأنّه إلىٰ ههنا يكون التوحيد وأنّه أراهم نفسه فعاينوا ربّهم وكلّمهم وخاطبهم وخاطبوه فقال ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، فقالوا بلى، فبعضهم قال طوعاً وبعضهم كُرهاً. وأوّل من أجاب، رسول الله ﷺ. فثبتت المعرفة في قلوبهم وأنساهم الرؤية والمعاينة وأنّه صبغ المؤمنين بولاية أمير المؤمنين والأئمّة صلوات الله عليهم وأنّه بعث محمّداً ﷺ إليهم فآمن به قوم وأنكره قوم آخرون وأنّه سبحانه وتعالىٰ سمّىٰ عليّاً عليه السلام أميرالمؤمنين في عالم الميثاق كما صُرّح بذلك في الروايات المباركات[١] فثَمَّ ثبّتت الطاعة والمعصية ولولا ذلك لم يَدرِ أحدٌ مَن خالقه ومَن رازقه.

ظهور المعرفة الفطريّة في الشّدائد

قال الله عزّوجلّ:

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾.[٢]

وقال تعالىٰ:

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ

---

١. *تفسير العياشي*، ج ٢، ص ٤١، ح ١١٣؛ **بحار الأنوار**، ج ٣٧، ص ٣٣٢، ح ٧٥.

٢. العنكبوت، الآية ٦٥.

فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾.[١]

وقال تعالىٰ:

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَاتُشْرِكُونَ﴾.[٢]

وقال تعالىٰ:

﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنداداً﴾.[٣]

وقال تعالىٰ:

﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً * وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُوراً﴾.[٤]

فحيث أنّ الأساس في الشرائع مبنيّ على المعرفة الفطريّة، بعث الله تعالىٰ أنبيائه للتذكرّ بها، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام:

فَبَعَثَ فيهِمْ رُسُلَهُ، وَواتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبياءَهُ لِيَسْتَأْدُوهُمْ ميثاقَ فِطْرَتِهِ ويُذَكِّرُوهُمْ

١. لقمان، الآية ٣٢.

٢. الأنعام، الآية ٤٠ ـ ٤١.

٣. الزمر، الآية ٨.

٤. الإسراء، الآية ٦٦ ـ ٦٧.

مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفائِنَ الْعُقُولِ ....[١]

إلىٰ أن بعث الله محمّداً رسول الله ﷺ أشرف خلقه وأفضل بريّته وأرسل إليه كتابه المجيد للتذكّر به سبحانه وتعالىٰ، وعرّف كتابه بأنّه ذكر وذكرىٰ فقال تعالىٰ:

﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْراً﴾.[٢]

وقال تعالىٰ:

﴿وَهٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾.[٣]

وقال تعالىٰ:

﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾.[٤]

وقال تعالىٰ:

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.[٥]

وقال تعالىٰ:

﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.[٦]

وقال تعالىٰ:

﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.[٧]

---

١. *نهج البلاغة*، الخطبة الأولىٰ، ص ٣٨.

٢. طه، الآية ٩٩.

٣. الأنبياء، الآية ٥٠.

٤. عبس، الآية ١١ ـ ١٢.

٥. القمر، الآية ٢٢.

٦. ق، الآية ٣٧.

٧. الأعراف، الآية ٢.

وقال تعالىٰ:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.[١]

وقال تعالىٰ:

﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾.[٢]

فظهر من هذه الآيات أنّ القرآن تذكرة إلىٰ المعروف بالفطرة والنبي صلى الله عليه وآله والأئمّة صلوات الله عليهم مذكِّرون بذلك.

قال الإمام العسكري صلوات الله عليه في تفسيره:

اللهُ، هُوَ الَّذِي يَتَأَلَّهُ إِلَيْهِ عِنْدَ الْحَوَائِجِ وَالشَّدَائِدِ كُلُّ مَخْلُوقٍ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَاءِ مِنْ كُلِّ مَنْ دُونَهُ وَتَقَطُّعِ الْأَسْبَابِ مِنْ جَمِيعِ مَنْ سِوَاهُ تَقُولُ بِسْمِ اللهِ أَيْ أَسْتَعِينُ عَلَى أُمُورِي كُلِّهَا بِاللهِ الَّذِي لَا تَحِقُّ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، الْمُغِيثُ إِذَا اسْتُغِيثَ وَالْمُجِيبُ إِذَا دُعِيَ، وَهُوَ مَا قَالَ رَجُلٌ لِلصَّادِقِ عليه السلام يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ دُلَّنِي عَلَى اللهِ مَا هُوَ؟ فَقَدْ أَكْثَرَ عَلَيَّ الْمُجَادِلُونَ وَحَيَّرُونِي، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ هَلْ رَكِبْتَ سَفِينَةً قَطُّ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَهَلْ كُسِرَ بِكَ حَيْثُ لَا سَفِينَةَ تُنْجِيكَ وَلَا سِبَاحَةَ تُغْنِيكَ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَهَلْ تَعَلَّقَ قَلْبُكَ هُنَالِكَ أَنَّ شَيْئاً مِنَ الْأَشْيَاءِ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ وَرْطَتِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: فَذَلِكَ الشَّيْءُ هُوَ اللهُ الْقَادِرُ عَلَى الْإِنْجَاءِ، حَيْثُ لَا مُنْجِيَ وَعَلَى الْإِغَاثَةِ حَيْثُ لَا مُغِيثَ.[٣]

---

١. الحجر، الآية، ٩.

٢. المدّثر، الآية، ٣١.

٣. ***بحار الأنوار***، ج ٣، ص ٤١، ح ١٦ (الباب الثالث من كتاب التوحيد).

بعض النظريات حول عالم الذَّرّ

أنّ للعلماء في آيات الميثاق والأخبار الواردة في ذلك مسالك:

فيقول المحدِّثون المتورّعون نؤمن بظاهر الآيات بلا تأويل.

وبعض آخر يحملونها على الإستعارة والمجاز والتمثيل.

وبعض آخر حملها علىٰ أخذ الميثاق في عالم التَّكليف بعد إكمال العقل والبرهان.

والنَّظريتين الأخيرتين تخالف ظاهر الآيات والروايات.

الإشكالات علىٰ عالم الميثاق

إن المستشكلين علىٰ عالم الذّر أشكلوا عليه بإشكالات ـ وكلّها موهومة مردودة ـ نذكرها بإيجاز:[1]

١ ـ أنّه يلزم من القول بوجود عالم الميثاق تعلّق الأرواح بأبدان غير هذه الأبدان الدّنيويّة وهذا عين التّناسخ.

٢ ـ أنّ هذه الذُّريّة التي إستُخرجَت من ظهر آدم وخوطبت وأقرَّت، إمّا أن تكون كاملة العقول مستوفية لشروط التكليف أو لا تكون كذلك؛ فإن كانت علىٰ الصّفة الأوُلىٰ وجب أن يذكر هؤلاء بعد خلقهم وإنشائهم وإكمال عقولهم ما كانوا عليه في تلك الحالة، وإن كانوا على الصِّفة الثانية مِن فقد العلم وشرائط التكليف لم يصحّ خطابُهُم وإقرارهم وإشهادهم كما هو واضح.

---

١. للمزيد راجع: سد المفر على منكر عالم الذَّر.

٣ ـ استبعاد اتّساع ظهر آدم جميع ذُرّيته إلىٰ يوم القيامة.

٤ ـ البُنية (البدن الدُّنيوي) شرط لحصول الحياة والعقل والفهم.

٥ ـ إنّ الهدف من هذا الميثاق إمّا ليكون حجّة عليهم في ذلك الوقت أو ليكون حجّة عند دخولهم في الدّنيا، والأوّل باطل لعدم كفاية ذلك القدر من الميثاق في صيرورتهم مستحقين للثواب والعقاب والمدح والذمّ والثاني أيضا كذلك لأنّهم لا يذكرونه في الدّنيا فكيف يصير حجّة عليهم؟

الجواب عن الإشكال الأوّل:

إنّ هذا الإشكال مبني علىٰ توهم كون الأبدان الذّريّة غير الأبدان الدُّنيويّة، والتغاير غير ثابت. بل مقتضى الأخبار بطلان هذا التّوهّم لأنّ هذه الأبدان الدنيويّة عين تلك الأبدان الذريّة ولأنّ الإنسان خُلق من قبل في عالم الذرّ وأنّ روحه خُلقت قبل جسده بألفي عام وبهذا الروح ينتقل في الأصلاب والأرحام، إلىٰ أن يقدّر الله خروجه عن الرّحم فينمو بالتّغذية، وما يتغذى به وينمو عليه في هذه الدنيا خارج عن حقيقته كما سيجيء في محلّه إن شاء الله تعالىٰ.

الجواب عن الإشكال الثاني:

ظاهر الأخبار والآيات أنّهم كانوا كاملي العقول جامعي لشرائط التكليف وأنّ نسيانهم من صنع الله كما هو صريح الروايات وأنّه تعالىٰ «**أَنسَاهُمْ رُؤْيَتَهُ وَأَثْبَتَ فِي قُلُوبِهِم مَعْرِفَتَهُ**»[1]؛ وذلك نظير نسيان الإنسان في عالم النوم كُلّما أدركه في حال اليقظة «**النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا إِنْتَبَهُوا**»[2] وإنّ صريح الروايات أنّهم سيذكرون هذه

١. *بحار الأنوار*، ج ٥، ص ٢٥٤، ح ٥١.

٢. *بحار الأنوار*، ج ٤، ص ٤٣، ح ٥.

الرؤية يوماً.

الجواب عن الإشكال الثالث:

لا يبعد من قدرة الله تعالىٰ أن يجعل جميع الذّرات في ظهر آدم فإنّ الله علىٰ كلّ شيء قدير.

الجواب عن الإشكال الرابع:

إنّ البُنية ليست شرطاً لحصول الحياة والعقل والفهم بل شرطه إعطاء الله تعالىٰ ما يشاء لمن يشاء.

ورد في الحديث أنّه سئل عن الصادقعليه السلام:

كَيفَ أَجَابُوا وَهُم ذرٌّ؟ قَالَ: جَعَلَ فِيهِم إِذَا سَأَلَهُم أَجَابُوهُ يَعْنِي فِي الْمِيثَاقِ.[1]

وعن العياشي عن الصادقعليه السلام قال:

صُنِعَ فِيهِم مَا اكْتَفَىٰ بِهِ.[2]

الجواب عن الإشكال الخامس:

إنّ الله أخذ الميثاق ليكون حجّة على الخلق في ذلك الوقت وفي دار الدّنيا، حيث أنّ المعرفة ثبتت في قلوبهم ولا يكون النسيان مانعاً لإتمام الحُجّة كما مرّ وباقي الإشكالات موهونة واهية أوهن من بيت العنكبوت.

---

١. ***الكافي***، ج ٢، ص ١٢، ح ١؛ ***بحار الأنوار***، ج ٥، ص ٢٥٧، ح ٥٧ (الباب العاشر من كتاب العدل والمعاد).

٢. ***تفسير العياشي***، ج ٢، ص ٤٠، ح ١١٠؛ ***بحار الأنوار***، ج ٦٤، ص ١٠٢، ح ٢٠.

وإحتمال حملها على التّقية، فاسد لاشتمالها علىٰ ما ينافي التقية كما هو واضح. قال العلّامة الفهامة ـ غواص **بحار الأنوار** ـ المجلسي رحمه الله في **مرآة العقول** بعد نقل كلمات شيخنا المفيد رحمه الله:

> طرح ظواهر الآيات والأخبار المستفيضة بأمثال تلك الدلائل الضعيفة والوجوه السخيفة جرأة علىٰ الله تعالىٰ وعلىٰ أئمّة الدِّين ولو تأملتَ فيما يدعوهم إلىٰ ذلك من دلائلهم وما يرد عليها من الإعتراضات الواردة لعرفت أنّ بأمثالها لا يمكن الإجتراء علىٰ طرح خبر واحد، فكيف يمكن طرح تلك الأخبار الكثيرة الموافقة لظاهر الآية الكريمة، بها وبأمثالها.[1]

ثمّ ذكر كلمات السيّد المرتضى رحمه الله في ذلك وما ذكره الرازي في تفسيره من الروايات النبوية الدالة علىٰ ثبوت عالم الذّر وإشكالات المعتزلة وأجاب عنها بأحسن وجه. زاد الله في علو درجاته.

وعن كتاب **حقّ اليقين** للمجلسي رحمه الله في باب المعاد الجسماني عن بعض أنّه [يعني المفيد رحمه الله] رجع عما قاله في أخبار العهد والميثاق وتاب منه.[2]

فلمّا أتمّ كلامه الصباحي هنا إرتفع صوت أحسنت أحسنت من جميع الحضّار وتشكرّ الحاج خليل والآخرين منه.

فتمّ هذا المجلس مع كلمات الصباحي وقال الحمد لله ربّ العالمين كما هو أهله حمداً كثيراً طيّباً دائماً أبداً علىٰ كلّ حال علىٰ ما هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي

---

١. ***مرآة العقول***، ج ٧، ص ٤٤.

٢. ***حق اليقين***، ص ٣٣٧.

لولا أن هدانا الله تعالىٰ وصلّى الله علىٰ محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين من الآن إلىٰ يوم لقاء الله، رَبنا تقبل منّا بفضلك وجودك واجعل لنا لسان صدق في الآخرين واجعلنا من ورثة جنة النعيم واغفر لنا ولوالدينا وللمؤمنين والمؤمنات يا أرحم الراحمين.

جمادي الثاني ١٣٧٧ هق

الأحقر علي النمازي الشاهرودي

فهرس الآيات

سورة النساء (٤)

سورة المائدة (٥)

سورة الأنعام (٦)

الآية		الصفحة
	الحج (٢٢)	
٣١	حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ	٢٤٤
	النور (٢٤)	
٣٥	اللَّهُ نُورُ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ	٢٠٩، ٢١٠
	سورة الشعراء (٢٦)	
١١٦	فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ	٨٥، ١٢٥
٢٢١_٢٢٢	هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ	٩٨
	سورة النمل (٢٧)	
٦٣	تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ	١٠٤
١٥	وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَـانَ عِلْماً	٢٠٦
٢٦	رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ	٢١١
	سورة القصص (٢٨)	
٨٨	كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ	١٦٣، ١٦٤
٥٠	وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً	٢٣١
	سورة العنكبوت (٢٩)	
١٧	وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً	١٢٤

فهرس الروايات

فهرس المصادر

القرآن الكريم

نهج البلاغة

الصَحيفة السجادية

التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه‌السلام.

١ ـ ابن جوزي، أبوالفرج عبدالرحمن بن علي. ***زاد المسير في علم التفسير***. بيروت: دار الكتب العربي. الطبعة الأولى: ١٤٢٢ ق.

٢ ـ ابن طاووس، سيّد عليّ بن موسى بن جعفر. ***إقبال الأعمال***. بمساعي جواد القيومي الاصفهاني. قم: مؤسسة بوستان كتاب. الطبعة الأولىٰ: ١٣٧٦ ش.

٣ ـ ــــــــــ. ***الملهوف علىٰ قتلى الطفوف***. تحقيق: الشّيخ فارس تبريزيان (الحَسُّون). قم: منشورات الأسوة. الطبعة الأوّلىٰ: ١٤١٤ ق.

٤ ـ ــــــــــ. ***مصباح الزائر***. قم: مؤسسة آل البيت عليهم‌السلام. ١٤١٧ ق.

٥ ـ ابن عربى، محيي الدين. ***الفتوحات المكية***. بيروت: دار الصادر.

٦ ـ ــــــــــ. ***كتاب محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في ادبيات نوادر والأخبار***.

٧ ـ ــــــــــ. ***فصوص الحِكَمْ***. قم: منشورات الزهراء عليها‌السلام ـ الطبعة الثانية: ١٣٧٠ ش.

٨ ـ البحراني، السيد هاشم بن سليمان. ***البرهان في تفسير القرآن***. قم: مؤسسة البعثة. الطبعة الأولىٰ: ١٤١٦ ق.

٩ ـ ــــــــ حسن بن علي. ***تُحَف العقول***. تحقيق علي أكبر الغفاري. قم: مؤسسة النشر الإسلامي. ١٤١٦ ق.

١٠ ـ البرقي، أحمد بن محمّد. ***المحاسن***. تحقيق: السَّيد جلال الدِّين المحدِّث. قم: دار الكتب.

١١ ـ بروجردي، سيد إبراهيم. ***تفسير جامع***. مشهد: منشورات جليل. الطبعة الأولىٰ: ١٣٨٠ش.

١٢ ـ بهاء الدين العاملي، محمد بن حسين بن عبدالصمد. ***الكشكول***.

١٣ ـ تميمی آمدي، عبدالواحد بن محمد. ***غرر الحكم ودرر الكلم***. قم: منشورات دار الكتب الإسلامي. الطبعة الثانية: ١٤١٠ ق.

١٤ ـ ثعلبي نيشابوري، أبوإسحاق أحمد بن إبراهيم. ***الكشف والبيان عن تفسير القرآن***. بيروت: دار إحياءِ التراث العربي. الطبعة الأولىٰ: ١٤٢٢ ق.

١٥ ـ الجزائري، نعمة الله بن عبدالله. ***الأنوار النُّعمانية***. تبريز: منشورات شركة طباعة. ١٣٧٩ ق.

١٦ ـ الحُرّالعاملي، محمّد بن حسن. ***الاثنى عشريّة في الرَّد على الصوفيّة***. قم: دار الكتب العلمية. ١٤٠٨ ق.

١٧ ـ ــــــــ ***أمل الآمل***. تحقيق: السيّد أحمد الحسيني. قم: دار الكتاب الإسلامي. ١٣٦٢ ش.

١٨ ـ ــــــــ ***تفصيل وسائل الشيعة إلىٰ تحصيل مسائل الشَّريعة***. تحقيق: قم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، ١٤١٦ ق.

١٩ ـ حسكاني، عبيدالله بن أحمد. ***شواهد التنزيل لقواعد التفضيل***. طهران: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي. الطبعة الأولىٰ: ١٤١١ ق.

٢٠ ـ حسن زاده آملی، حسن. ***ممد الهمم في شرح فصوص الحكم***. طهران: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي. الطبعة الأولىٰ: ١٣٧٨ ش.

٢١ ـ الحلّي، جعفر بن الشّيخ خضر الحلّي الجناحي. **كشف الغطاء**. طباعة حجرية: ١٣١٧ ق.

٢٢ ـ الخراساني الكرباسي، محمد جعفر بن محمدطاهر. **اكليل المنهج في تحقيق المطلب**. تحقيق: سيدجعفر اشكوري. قم: منشورات دار الحديث. الطبعة الأولىٰ: ١٣٨٣ ش.

٢٣ ـ الخواجة عبدالله المغربي. **رساله نور وحدت**. ضمن مجموعة عوارف المعارف. طباعة طهران شركة أُفست. الطبعة الأولىٰ: ١٣٦٣ ش.

٢٤ ـ الخوانساري، محمّدباقر. **روضات الجنّات**. تحقيق: أسدالله إسماعيليان. قم: مكتبة إسماعيليان.

٢٥ ـ خوئي، ميراز حبيب‌الله. **منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة**. طهران: منشورات الإسلاميّة. الطبعة الرابعة: ١٤٠٠ ق.

٢٦ ـ رايورت، ا. س. **أصول الفلسفة**. ترجمة الدّشتستاني، مكتبة المروّج. ١٣١٧ ش.

٢٧ ـ رضوي قمي، السيد أبوالفضل. **التفتيش در هويت عارف وصوفي وحكيم وشاعر ودرويش**. طهران: ١٣٧٧ ق.

٢٨ ـ السبزواري، هادي بن مهدي. **أسرار الحِكَم**. مع تقديم وهوامش الحاج ميرزا أبو الحسن الشعراني. طهران: الإسلامية. ١٣٨٠ ش.

٢٩ ـ ــــــــ. **شرح المثنوي**. بمساعي مصطفى البروجردي. طهران: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي. ١٣٧٣ ش.

٣٠ ـ السدهى الاصفهاني، سيد أبوالقاسم الواعظ. **دلائل الربوبيّة في شواهد الأولوهية**. الطبعة الحجرية.

٣١ ـ الشبستري، محمود بن عبدالكريم. **حقّ اليقين**. في ضمن مجموعة رسائل عوارف المعارف، طباعة طهران شركة أفست. ١٣٦٣ ش.

٣٢ ـ ــــــــــ. ***گلشن راز***. منشورات اشراقيّة.

٣٣ ـ ***مرآة المحققين***. في ضمن مجموعة رسائل عوارف المعارف طباعة طهران. شركة أفست. ١٣٦٣ ش.

٣٤ ـ الشهرستاني، أبوالفتح محمّد بن عبدالكريم. ***المِلَل والنحل***. بمساعي عبدالأمير علي المهنّا وعلي حسن فاعور، بيروت: دار المعرفة.

٣٥ ـ الشيرازي، معصوم عليشاه. ***طرائق الحقائق***. تصحيح: محمّد جعفر محجوب، مكتبة سنائي.

٣٦ ـ الصدَّوق، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي. ***الأمالي***. تحقيق: قسم الدِّراسات الإسلامية. طهران: مؤسسة البعثة. ١٤١٧ ق.

٣٧ ـ ــــــــــ. ***التّوحيد***. بمساعي السيّد هاشم الحسيني الطهراني. طهران: منشورات الصَّدوق. ١٣٨٧ ق.

٣٨ ـ ــــــــــ. ***الخصال***. بمساعي علي أكبر الغفاري. قم: مؤسسة النشر الإسلامي.

٣٩ ـ ــــــــــ. ***عِلَل الشَّرائع***. مع مقدَّمة السيّد محمّدصادق بحر العلوم. قم: مكتبة الداوري.

٤٠ ـ ــــــــــ. ***عيون أخبار الرضا***عليه السلام. بمساعي السيد مهدي الحسيني اللاجوردي. قم: منشورات رضا مشهدي. ١٣٦٣ ق.

٤١ ـ ــــــــــ. ***كتاب من لا يحضره الفقيه***. بمساعي على أكبر الغفاري. قم: مؤسسة النشر الإسلامي. ١٤١٣ ق.

٤٢ ـ ــــــــــ. ***معاني الأخبار***. بمساعي علي أكبر الغفارى، قم، مؤسسة النشر الإسلامي. ١٣٧٩ ش.

٤٣ ـ الصفّار القمي، أبو جعفر محمّد بن حسن بن فرّوخ. ***بصائر الدَّرجات***. الميرزا محسن كوچه باغي التبريزي. قم: مكتبة آية الله المرعشي النجفي.

١٣٨٠ق.
٤٤ ـ الطبرسي، أبو علي فضل بن حسن. **مجمع البيان**. طهران: منشورات ناصر خسرو.
٤٥ ـ الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب. **الإحتجاج على أهل اللّجاج**. مشهد: نشر المرتضى. الطبعة الأولى: ١٤٠٣ ق.
٤٦ ـ طريحي، فخرالدين بن محمد. **مجمع البحرين**. طهران: منشورات مرتضوي. الطبعة الثالثة: ١٤١٧ ق.
٤٧ ـ الطوسي، أبوجعفر محمّد بن حسن. **اختيار معرفة الرجال (رجال الكشيّ)**. بمساعي حسن مصطفوي. مطبعة جامعة مشهد. ١٣٤٨ ش.
٤٨ ـ ــــــــ. **تهذيب الأحكام**. بمساعي السيّد حسن الموسوي الخِرسان. طهران: منشورات الإسلامية. ١٣٩٠ ق.
٤٩ ـ الفروغي، محمّد حلي. **سير حكمت در اُروپا**. طهران: منشورات الزوار. ١٣٦٧ش.
٥٠ ـ القمّي، الشّيخ عباس. **سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار**. مشهد: منشورات آستان قدس رضوي. الطبعة الأولى: ١٤١٨ ق.
٥١ ـ القمي، المولى محمّد طاهر. **تحفة الأخبار**. بمساعي داود الهامي. قم: مدرسة أمير المؤمنين. ١٣٦٩ش.
٥٢ ـ القمي، الميرزا أبو القاسم بن الحسن الجيلاني. **جامع الشتات**. طهران: منشورات شركة الرضوان.
٥٣ ـ القمي، أبو الحسن علي بن إبراهيم. **تفسير القمي**. تصحيح: السيّد طيّب الجزائري. قم: منشورات مؤسسة دار الكتاب. ١٤٠٤ ق.
٥٤ ـ الكاشاني، محمود بن علي. **مصباح الهداية**. بمساعي جلال الدين الهمايي. مطبعة المجلس. ١٣٢٥ ش.

٥٥ ـ الكليني، محمّد بن يعقوب. ***الكافي***. بمساعي على أكبر الغفاري. طهران: المكتبة الإسلامية. الطبعة الثالثة: ١٣٨٨ ق.

٥٦ ـ المامقاني، عبدالله. ***تنقيح المقال في علم الرجال***. طهران: منشورات الجهان. ١٣٥٣ ش.

٥٧ ـ المجلسي، محمّدباقر. ***بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الإئمة الاطهار*** عليهم السلام. بيروت: دار إحياء التراث العربي. الطبعة الأولىٰ: ١٤٠٣ ق.

٥٨ ـ ـــــــ. ***حق اليقين***. طهران: منشورات الرشيدي.

٥٩ ـ ـــــــ. ***عين الحياة***. طهران: منشورات القائم، ١٣٤١ ش.

٦٠ ـ ـــــــ. ***مرآة العقول***. بمساعي سيد هاشم الرَّسولي، طهران، المكتبة الإسلامية، ١٣٦٣ ش.

٦١ ـ المحدِّث الخراساني، علي. ***خورشيدتابان در علم قرآن***. تحقيق وتصحيح: مرتضى الأعدادي الخراساني. مشهد: منشورات الولاية. الطبعة الأولىٰ: ١٣٨٩ ش.

٦٢ ـ المحلّاتي، ذبيح الله. ***كشف الإشتباه دركجروى اصحاب خانقاه***. ١٣٧٧ ق.

٦٣ ـ المدرِّس، محمّدرضا بن مؤمن. ***جنّات الخلود***. طهران: منشورات المكتبة الأدبية. ١٣٧٨ ش.

٦٤ ـ المفضل بن عمر. ***توحيد المفضل***. قم: منشورات داوري. الطبعة الثالثة.

٦٥ ـ المقدَّس الأردبيلي، أحمد بن أحمد. ***حديقة الشّيعة***. طهران، منشورات گلي.

٦٦ ـ المولوي، جلال الدين محمّد بن محمّد. ***المثنوي المعنوي (على اساس نسخة نيكلسون)***. طهران: منشورات محمد. الطبعة الرابعة: ١٣٨٥ ش.

٦٧ ـ ـــــــ. ***ديوان شمس الحقائق***. طهران: طباعة اخوان الكتابجي. ١٣١٦ ش.

٦٨ ـ النجاشي، أحمد بن علي أحمد بن عباس. ***رجال النجاشي***. تحقيق: السيّد موسى الشبيري الزنجاني. قم: مؤسسة النشر الإسلامي. ١٤٠٧ ق.

٦٩ ـ النجفي، محمّد حسن. ***جواهر الكلام***. تحقيق: الشّيخ عباس القوچاني. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٧٠ ـ النمازي، علي بن محمّد. ***مستدرك سفينة البحار***. قم: مؤسسة النشر الإسلامي. ١٤١٨ ق.

٧١ ـ النّوري، ميرزا حسين. ***خاتمة المستدرك***. قم: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث. الطبعة الأولىٰ: ١٤١٥ ق.

٧٢ ـ ــــــــ. ***مستدرك الوسائل***. قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث الطبعة الأُولىٰ: ١٤٠٨ ق.

٧٣ ـ سپهر، محمّد تقي. ***ناسخ التواريخ (هبوط آدم وحضرت عيسى عليهما السلام)***. طهران: منشورات الإسلاميّة. ١٣٥٢ ش.

٧٤ ـ سيدان، سيد جعفر. ***السنخيّة أم الإتحاد والعينيّة أم التباين؟***. ترجمة: ماجد الكاظمي. مشهد: منشورات پارسيران. الطبعة الأولىٰ.

٧٥ ـ سيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي‌بكر. ***تاريخ الخلفاء***. تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد. مصر. مبطعة السعادة. الطبعة الأولىٰ: ١٣٧١ ق.

٧٦ ـ شاه نعمة الله ولي الكرماني. ***رساله مراتب شاه نعمة الله ولي الكرماني***.

٧٧ ـ ــــــــ. ***كلّيات ديوان شاه نعمة الله ولي الكرماني***. مكتبة ملك.

٧٨ ـ شمس الدِّين الآملي، محمّد بن محمود. ***نفائس الفنون***. تصحيح السيّد إبراهيم الميانجي وأبو الحسن الشّعراني. طهران: الإسلامية. ١٣٧٩ ق.

٧٩ ـ صدر المتألّهين، محمّد بن إبراهيم. ***اسرار الآيات***. طهران: منشورات المجمع الإسلامي للحكمة والفلسفة الإيرانيّة.

٨٠ ـ ــــــــ. ***الحكمة المتعالية في الأسفار الأربعة***. قم: منشورات المصطفوي.

٨١ ـ ـــــــــ. **تفسير القرآن الكريم**. قم: منشورات بيدار. الطبعة الثانية: ١٣٦٦ش.

٨٢ ـ ـــــــــ. **تفسير سورة الواقعة**. مع ترجمة وتصحيح محمّد الخواجوي. منشورات المولى. الطبعة الأولىٰ: ١٤٠٤ ق.

٨٣ ـ ـــــــــ. **شواهد الرّبوبيّة**. تصحيح: السيِّد جلال الدين الآشتياني. طباعة جامعة مشهد، ١٣٤٦ ش.

٨٤ ـ ـــــــــ. **مفاتيح الغيب**. طهران: منشورات مؤسسة تحقيقات الثقافية. الطبعة الأوّلىٰ: ١٣٦٣ ش.

٨٥ ـ صدرزاده، محمّد. **فلسفة وعرفان از نظر اسلام**. طهران: مؤسسة الخدمات الثقافية. الطبعة الثانية: ١٣٧٧ ش.

٨٦ ـ صنعي، حسن. **ديوان الصُّنعي. مع ملحق حول مختصر تاريخ التصوّف**. بقلم: على أكبر القويم. طهران: ١٣٢٨ ش.

٨٧ ـ عطار نيشابوري، فريد الدين. **جوهر الذات**. طهران: منشورات الإسلامية ١٣١٥ ش.

٨٨ ـ علم الهدى، محمدباقر. **سدّ المفر على القائل بالقدر**. تقريرات: سيدعلي الرضوي، حسن الكاشاني، اميرالفخاري: طهران: منشورات مُنير. الطبعة الأوّلى: ١٣٨ ش.

٨٩ ـ ـــــــــ. **سدّ المفر على منكر عالم الذّر**. تقريرات: سيدعلي الرضوي. بيروت: منشورات دار العلوم. الطبعة الأولىٰ: ١٤٣٤ ق.

٩٠ ـ عيّاشي، ابن النّصر. **تفسير العياشي**. بيروت: مؤسسة الأعلمي، الطبعة الأولىٰ: ١٤١١ق.

٩١ ـ غزالي، أبو حامد. **احياء علوم الدين**. بيروت: منشورات دار الكتاب العربي.

٩٢ ـ فيض كاشاني، محمد بن مرتضى. **تفسير الصافي**. طهران: منشورات مكتبة

الصدر. الطبعة الثانية: ١٤١٥ ق.
٩٣ ـ كاشف الغطاء، جعفر بن خضر. ***كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء***. قم: بوستان كتاب. الطبعة الأولىٰ.
٩٤ ـ لاهيجي، محمّد. ***شرح گلشن راز***. مع مقدمة كيوان السميعي. منشورات مكتبة المحمودي.
٩٥ ـ ـــــــــ. ***گوهرمراد***. طهران: المكتبة الإسلامية. ١٣٦٥ ش.
٩٦ ـ ملكي الميانجي، محمّدباقر. ***توحيد الإمامية***. ترجمة: محمّد بياباني الأسكوئي وسيد بهلول السجادي. طهران: مؤسسة نبأ. الطبعة الأولىٰ: ١٣٧٨ ش.
٩٧ ـ موسوي الخوانساري الاصفهاني، محمدباقر. ***روضات الجنّات في احوال العلماء والسادات***. تحقيق: اسد الله اسماعيليان. قم: مكتبة اسماعيليان. ١٣٩١ ق.
٩٨ ـ نمازي شاهرودي، علي. ***إثبات الولاية***. بيروت: مؤسسة الأعلمي. الطبعة الأولىٰ: ١٤٣٢ ق.
٩٩ ـ ـــــــــ. ***اركان دين***. طهران: منشورات سعدي. الطبعة الأوّلىٰ: ١٣٨٦ ش.
١٠٠ ـ ـــــــــ. ***أبواب رحمت***. قم: منشورات بوستان. الطبعة الأوّلىٰ: ١٣٨٢ ش.
١٠١ ـ ـــــــــ. ***مقام قرآن وعترت***. طهران: منشورات سعدي. الطبعة الأوّلىٰ: ١٣٨٢ ش.
١٠٢ ـ هدايت، رضاقلي خان. ***رياض العارفين***. بمساعي محمّد علي الگرگاني. مكتبة المحمودي. ١٣٤٤ ش.
١٠٣ ـ الكوفي، محمّد بن محمّد بن أشعث. ***الجعفريّات (الأشعثيّات)***. طهران: مكتبة نينوى الحديثة.

This book discusses the credibility of the worldriew of two schoold of thought: philosphy and Mysticism, and how they came about. The approach undertaken by the author is from an Islamic perspective, of which he proves that conclusions and the outcomes of those two schools contradict very basis of religion along with the rational human intellect.

He also argues the validity of the philosphical and mystical methods for seekIng cognition and comprehension, and alternatively explains the method introduced by the Quran and The Ahlulbayt (AS).

يتناول الكتاب ستة محاور أساسية، فيمايلى إشارة إليها باقتضاب:

١. في بيان طريقة الصوفية والمرتاضين فـي كسب المـعرفة وبـيان تـضاد هـذه الطريقة مع تعاليم الشريعة المقدسة.

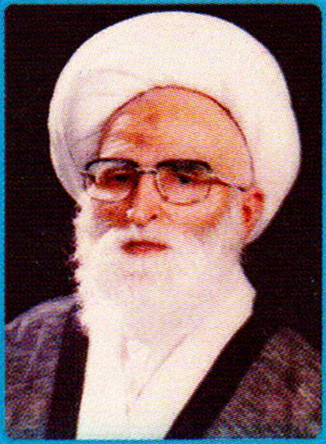
٢. في الكلام في مسألة وحدة الوجود، وإيراد بعض النصوص من كلمات كبار الفلاسفة والصوفية في هذا الشأن.

٣. في الحديث عن أسلوب الشرائع السماوية في مسألة الهداية، وبيان الفرق بين طريقة هداية الأنبياء والطريقة البشرية (على رأسها طريقة الفلاسفة والعرفاء).

٤. في المعرفة الفطرية، وقد تعرض الماتن في مطاوي هـذا البـحث إلى نـقض نظرية الجبر في الإنسان، وإلى كيفية انتشار الأفكار البشرية الضالة في الأوساط الدينية.

٥. في الرد على الفلاسفة والصوفية وإثبات انحرافهم عبر النصوص الدينية، وبيان ضلالتهم وتأويلاتهم للنصوص والإشارة إلى بعض تحميلاتهم للأفكار اليونانية على الآيات والروايات، والتعرض إلى اختلافات الفلاسفة قبل الإسـلام وذكـر ردود العلامة المجلسي وغيره من علماء الإسلام على الفلاسفة.

٦. في بيان لزوم الرجوع إلى الكتاب والسنة في اصول الدين وفروعه، وأشار فيه إلى بحوث أخرى مثل كون معرفة الله هي فعله تعالى وأن منشأ المعرفة هو العوالم السابقة، وبيان بعض النظريات بالنسبة إلى عالم الذر وتحليلها والجواب عنها.



وُلد العالم الجليل العلّامة الحاج الشيخ علي النّمازي عام ١٣٣٣ وترعرع في احضان العلم والفضيلة.

تتلمذ على يد العالم الفاضل آية الله الميرزا مهدي الغروي الإصفهاني قدس سره فنهل منه العلم بمختلف حقوله ،حيث درس على يديه المعارف والفقه والأصول.

فكان بحقّ عالماً فاضلاً عرف بغزارة العلم و صفاء الذهن ، فعدّ من أبرز الفقهاء المعاصرين، وقد قطع اشواط العلم فوصل إلى مرحلة الإجتهاد في وقت مبكر من عمره.

كان قدس سره يرى أنّ طريق العلم والمعرفة وبالأخص في العقائد منحصر في الآيات القرآنية وروايات أهل البيت عليهم السلام ، فعكف على دراسة الرّوايات والتأمّل فيها ودرايتها ، وكانت ثمرة ذلك عشرات الموسوعات والمؤلفات الغنية بالعلم والمعرفة ،حتّى أطلق عليه المرجع آية الله العظمى المرعشي النجفي قدس سره لقب (مجلسي هذا العصر).

دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

عالم آل محمد
مؤسسة عالم آل محمد المعارفية